نفحات النسرين والريحان

فيمن كان بطرابلس من الأعيان

لأحمد بن الحسين النائب الأنصاري



دار الفرجاني
للنشر والتوزيع

نفحات النسرين والريحان

فيمن كان بطرابلس من الأعيان

من الدراسات المغربية والفقهية

نفحات النسرين والريحان

فيمن كان بطرابلس من الأعيان

لأحمد بن الحسين النائب الأنصاري

تقديم وتعليق

د. محمد زينهم محمد عزب

دار الفرجاني للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ، وبعد .

إن الدراسات المغربية من الدراسات الهامة فى أمتنا العربية ، فلهذا نقدم للمكتبة العربية كتابًا هاما وهو « نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان » لأحمد الأنصارى .

والكتاب يحتوى على طبقات علماء ليبيا منذ القرن الثانى الهجرى حتى قيام الدولة العثمانية ومَدِّ نفوذها للمغرب .

فمن المعروف أن ليبيا مصطلح حديث يطلق على واحدة من أهم دول العالم العربى فى العصر الحديث وهى تتألف من ثلاثة أقاليم هى : برقة وكانت تسمى قبل الفتح الإسلامى سيرينايكا وهى تسمى اليوم بنى غازى ، وطرابلس ، المعروفة اليوم بطرابلس الغرب ، وفزان وهى ولاية كبيرة داخلية كانت ـــ دائمًا ـ جزءًا من ليبيا ، وكلها انفصلت عنها خلال عصور الفوضى السياسية التى أصابت ليبيا ـ والمغرب الإسلامى كله ابتداء من العصر الفاطمى ، ثم عادت إلى الانضمام إليها بفضل رجال السنوسية الذين جددوا شباب القطر الليبى ومهَّدوا الطريق لتوحيده على النحو الذى نراه عليه اليوم .

وسنتتبع الآن على وجه الاختصار تاريخ الأقطار الثلاثة التى تكونت منها ليبيا ابتداء من العصر الفاطمى ، أى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وهو العصر الذى بدأت شخصبنها تظهر فيه ، وقبل ذلك كانت برقة إما تابعة لمصر أو غير واضحة التبعية وطرابلس كانت جزءًا من ولاية إفريقية التى كانت تشمل أيضًا شرقى الجزائر الحالية إلى نهر

شلف ، أمـا فزان فكـان لها تاريخ آخـر غير واضح وإن كانت العـلاقة بينهـا وبين برقـة وطرابلس ظلت دائما قائمة ، علاقات علم وثقافة وتجارة ، والقوافل لم تتوقف قط بين هذه الأقاليم الثلاثة ، ومع أنـه لم توجد فى تلك العصور علاقات سياسيـة بين برقة أو طرابلس من نـاحية ، وفـزان من ناحيـة أخرى ، فإن أهل فـزان ـ ومثلهم فى ذلك مثل أهل واحـة الكفرة وجبل نفـوسة وغدامس وغـات وزوبلة ووادى والفطـران ـ كانـوا يحسُّون دائمًا أنهم أقاليم من إقليم واحد ، وقد قال اليعقوبى فى كتاب البلدان :

إن ودان كانت مضـافة إلى أعمال سرت (على شاطـىء البحر المتوسط) وإنـه كان بها قوم مسلمـون يدَّعُـون أنهم عرب يمن ، وأكثرهم مـن مزانة ، وهـم الغـالبون عليهـا وأكثر مايحمل منها التمر ، وإنه كان ينولى أمرها رجل من أهلها ، وإنه لم يكن لها خراج .

أما زويلـة فقد قـال عنها اليعقوبى : إن أهلهـا قوم مسلمـون إباضيـة كلهم يحجون البيت الحرام ، وقـال : إنهم يخرجون الرقيق السـودان من المبريين والزغـاويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم ، وهم إما يسبونهم سبيًا أو يشترونهم من ملوك السودان من غير حرب ، وزويلة أرض نخل ومزارع ذرة وغيرها ، وتشتهر بالجود الزويلية ، وبها أخلاط من أهل خراسان ومن البصرة والكوفة بالإضـافة لأهلها الأصليين من البربر ، وبزويلة قبر دعبل الخزاعى الشاعر فقد قال الشاعر بكر بن حماد :

الموت غـــادر دعبًــلا بـــزويلـــة   وبأرض بــــرقــــة أحمد بـن خصيب

وذكر اليعقوبى كذلـك أنه كان بين زويلة ومدينة كوار (جنـوبى فزان وفى الطريق إلى تشاد) ثم مايلى زويلة إلى طريق أوجلة وأجدابيـة قوم يقال لهم : لمطة أشبه شىء بالبربر ، وهم أصحاب الدرق اللمطية البيضاء .

وكان هناك جنس يعرف بفزان هم عبـارة عن أخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومـدينة عظيمـة ، وبنهم وبين مزانة حـرب لاقح أبدا « كـذا فى الأصل الذى

نرجع إليه » ولاشك أن بعض مناطق فزان التى انتشر فيها المذهب الإباضى تبعت إلى حين الدولة الرسمية و إمامة جبل نفوسة .

وفى القرن الثالث الهجرى وقبل العصر الفاطمى والغزوة الهلالية السلمية كانت تسكن المنطقة كلها قبائل بربرية مستعربة أصلها كلها من لواتة وهوارة ومزانة ونفوسة ، وبقايا العرب المهاجرة من الجزيرة من بلى ومدلج وجهينة ، ولكن السكان كانوا على الجملة قليلىن ، وإن كانوا نشيطين لهم أثر واضح فى مجرى الحوادث ، وخاصة الإباضيين منهم ، وكان مركزهم الكبير فى جبل نفوسة ، وكانوا يعمرون المناطق الممتدة من جبل نفوسة إلى المغرب الأوسط الذى قامت فيه دولة الرستميين الخارجية الإباضية .

وقد اشتهر أهل هذه النواحى كلها بالعلم والصلاح والفضيلة والغنى النسبى واستقلال الشخصية ، وكان استعرابهم قد تم ، فكانوا ـ فى جملتهم ـ يتكلمون العربية ويكتب بها أهل الكتابة منهم ، وكانت الحياة فى مجموعها رخية مقبولة ، وعماد الناس على رعى الغنم من ناحية وتمر النخيل من ناحية أخرى وشىء من التجارة من ناحية ثالثة .

ليبيا فى العصر الفاطمى فى المغرب
٢٩٦ هـ ـ ٣٦١ هـ / ٩٠٩ م ـ ٩٧١ م

بعد فيام الدولة الفاطمية فى إفريقية سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م دخلت طرابلس فى أيديهم فى السنة نفسها ، وعين عبيد الله المهدى عليها واليا هو ماكنون بن ضبارة اللحيانى سنة ٢٩٨ هـ/ ٩١٠ م ـ ٩١١ م ، ثم أرسل المهدى حملة استولت على برقة بقيادة حباسة ابن يوسف الكتانى سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م ، وبهذا أصبحت برقة وطرابلس ملكا للفاطميين .

وقد درسنا الفاطميين وعرفنا نوع حكمهم ، ورأينا أنه حكم ظلم واستبداد ونهب

والليبيون ـ مابين زناتين وهواريين ونفوسيين ـ الذين عاشوا إلى الآن فى عِزٍّ وكرامة رغم الفقر والحاجة سيعرفون الآن على يد الفاطميين الظلم والذل والقهر والسلب ، ولقد عرفت طرابلس إلى ذلك الحين حكم التبعية لإفريقية ، أما برقة التى كانت جزءًا من مصر ومن الدولة العباسية فقد كانت تمثل الحكم السنى العباسى ، وكانت بعيدة جدًّا عن دولة بنى العباس فلم تعرف من التبعية إلا أقلها ومن الظلم إلا أيسره ، ولكنها من الآن فصاعدًا ستعرف الظلم والذل .

وقد أبدى الفاطميون بعض الجهد فى نشر المذهب الشيعى فى ليبيا ، وقام فيها دعاة من أمثال أبى العباس المخطوم أخى أبى عبد الله الشيعى وأبى جعفر الخزرى ، وظهر فيها متشيعون على المذهب الإسماعيلى من أمثال خليل بن إسحاق ، ولكن الحقيقة هى أن هَمَّ الفاطميين الأول كان موجهًا إلى المال والسلطان السياسى .

وفى سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ أقام أبو عبيد الله الشيعى ماقنون أو ماكنون بن ضبارة الأجانى الكتامى واليًا على طرابلس ، فأنكر ذلك الطرابلسيون لأنهم زناتيون فى حين كان ماقنون كتاميًّا ونصَّبُوا على أنفسهم أبا هارون الهوارى ، فأرسل إليهم عبيد الله قائده أبا زاكى تمام بن معارك الأجانى الكتامى فهزمهم وقتل منهم الكثيرين وبعث برءوسهم إلى رقادة .

وبدأ بذلك صراع طويل قتل فيه من الطرابلسيين والبرقيين كثيرون وغرموا أموالاً طائلة أولها غرامة قدرها ثلاثمائة أو أربعمائة ألف دينار سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ، وتوالت غزوات الفاطميين على طرابلس يقودها أبو القاسم محمد بن عبيد الله الشيعى وأحمد بن قرهب والى صقلية للفاطميين ، وكان خارجًا عليهم وقد انضم إلى الفاطميين أبو القاسم خليل ابن إسحاق بن ورد واشترك فى تعذيب أهل بلده لحسابهم .

وقد اهتم الفاطميون بإخضاع برقة وطرابلس ؛ لأنهما خطوتان فى الطريق إلى مصر وهى كانت حلم الفاطميين البعيد ، ولهذا فلم يكن صالح أهل هذه البلد ليعنيهم فى

شىء ، ولم يُنشِئُوا فيها شيئًا ذا فائدة ، بل هم لم يبنوا مسجدًا واحدًا ولكنهم ـ ودون أن يشعروا ـ آذوا أهل برقة وطرابلس أذى بالغًا ، فقد كان الناس هناك زناتية (لواتة وهوارة ونفوسة) فأتى الفاطميون بالكتاميين ، وهم من البرانس المعادين للزناتيين وحكَّموهم فى رقاب الناس ، والكتاميون كانوا يرون أنهم أصحاب الدولة الفاطمية ، وكانوا قومًا بدائيين فيهم عنف وقوة ونزوع إلى السلطان ونهم إلى المال والنساء ، ولهذا فقد والوا الغزوات على برقة وطرابلس حتى كسروا شوكتهم وأقفروهم بتوالى القتل والسلب والنهب فاستكانوا فى النهاية ، أما جبل نفوسة فقد وجدوا من أهله الإباضية مقاومة عنيفة جدًّا فاكتفوا منهم بالطاعة الأسمية وكان الإباضيون ـ وهم أهل الجبل ـ قد آنسوا من الكتاميين هذا الجشع فلجأوا إلى تخفيف غلواء الفاطميين ورجالهم من كتامة فتركوا لقب الإمام الذى اختص به رئيسهم واكتفوا له بلقب الرئيس الذى يقوم بكل مهام الحكم ، وولوا على أنفسهم أبا عبد الله بن أبى عمرو حفيد الإمام إلياس بن منصور النفوسى ، ورغم ذلك كله فقد قام القائد الفاطمى على بن سليمان بمهاجمتهم وكَسْر شوكتهم فى معركة جادو فى شعبان سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ونهب وقتل وسبى فلأن القوم وخضعوا ، وبذلك اطمأن الفاطميون إلى خضوع ليبيا كلها (عدا فزان) سياسيًّا وسهل الطريق من إفريقية إلى مصر ، وهذا كان غرض الفاطميين .

ومضت جيوشهم تخترق هذا الطريق ذهابًا وجيئة دون أن يلقوا من الناس أى مقاومة ، ولكن ليبيا افتقرت وذلت وفقدت رخاءها القليل الماضى ، والإباضية فقدوا عزة نفوسهم التى طالما كانت مفخرتهم ، واطمأن الفاطميون من ناحيتهم ، وعلى طول العصور الوسطى كانت سعادة الحاكم معناها شقاء الرعية ، لأن الرعية الشقية فقيرة كسيرة الجناح لاحول لها ولاطول والحاكم يصنع بها مايشاء ، وهذا ـ فى ذاته ـ كان سببًا رئيسيًّا من أسباب ضعف دول الإسلام .

وبلغ يأس أهل طرابلس وعجزهم عن المقاومة أنه عندما قام واحد من أهلها وهو ابن طالوت القرشى تنكروا له ورفضوا إيواءه إيثارًا للعاقبة ، وانتهى أمره أن قتلوه وأرسلوا

رأسه إلى أبى القاسم القائم بأمر الله الفاطمى حوالى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م وحتى عندما قامت على الفاطميين الثورة الكبرى التى قادها أبو يزيد مخلد بن كنداد صاحب الحمار (٣١٦ هـ ـ ٣٣٦ هـ / ٩٢٨ م ـ ٩٤٧ م) وهى ثورة شاملة كادت تطيح بالدولة الفاطمية ، ولم ينتهز أهل ليبيا فرصة هذه الثورة وانصرفوا عن أبى يزيد انصرافًا تامًّا لأسباب كثيرة يذكرها المؤرخون منها : أنه كان أباضيًّا نكاريًّا ، وأنه كان قاسيًا عنيفًا مع أهل المدن التى دانت له ، ولكن السبب الرئيسى أنه كان شيخًا مسنًّا خرج من صفوف معلمى الصبيان ولا خبرة له بسياسة أو حرب ، وقد تحدثنا عنه بما فيه الكفاية فى كلامنا عن الفاطميين .

وقد توالى عمال الفاطميين على بلاد ليبيا ولنذكر منهم : أبا الفتوح زيان الصقلى ولاه إسماعيل المنصور على طرابلس سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م وكان واليًا محسنًا أنشأ بعض المبانى ، وخَلَفه فى ولاية طرابلس نصير الخازن باسيل الصقلى ولاه المعز لدين الله على سرت سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، ابن كافى الكتامى ولاه فى الوقت نفسه على أجدابية . وأفلح الناشب (أو الناسب) على برقة ، وعبد الله بن يخلف الكتامى ولاه المعز على طرابلس وسرت عندما عزم على الانتقال إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٥ م وظل عليها إلى وفاة المعز سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٥ م .

وكان جوهر القائد الصقلى قد أتم فتح مصر للفاطميين وبدأ يحكمها من سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، وبدأ المعز فى المسير إلى مصر فى أول صفر ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ، وكان رحيله من المنصورة جنوبى القيروان ، وخلف على إفريقية بلكين بن زيرى الصنهاجى بعد أن أقام فى سردانية ـ قرب القيروان ـ أربعة أشهر ، ورافقه بلكين إلى قابس ثم رجع ووصل المعز الإسكندرية ودخل مصر ـ كما رأينا ـ وانتهى ـ بذلك ـ الدور المغربى من تاريخ الفاطميين .

وكان المعز قد أخذ فى ركابه نفرًا من الإباضيين رغمًا عنهم فلما وصل الركب إلى أجدابية

فروا إلى جبل نفوسة ، وكان فى ركابه ـ كذلك ـ جوهر الصقلى الكاتب فاتح مصر وكان من المقربين إلى المعز ، وكان جوهر معتلاً فلما وصل إلى طلميتة ثقل عليه المرض فنقلوه إلى برقة حيث توفى ، وقد لحق بالمعز فى مصر الشاعر ابن هانىء الأندلسى ، ولكنه قُتِلَ فى برقة فى ٢٣ رجب سنة ٣٦٢ هـ / مارس ٩٧٣ م شغب عليه بعض أصحابه فقتلوه .

ليبيا فى أيام بنى زيرى الصنهاجيين

عندما انتقل الفاطميون إلى مصر خلفوا على إفريقية وما دان لهم من بلاد المغرب الأوسط بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى واستثنى من ذلك صقلية وطرابلس وأجدابية وسرت ، أما برقة فقد اعتبرها الفاطميون جزءًا من دولتهم فى مصر فجعلوا على صقلية الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى رأس الدولة الكلبية ، وجُعل على طرابلس عبد الله ابن يخلف الكتامى ، وكان أثيرًا على المعز ، وجُعل على جباية أموال إفريقية زيادة الله ابن القديم ، وعلى الخراج عبد الجبار الخرسانى وحسين بن خلف الموصدى وأمرهم بالطاعة لأبى الفتوح يوسف بلكين بن زيرى الصنهاجى .

وإذًا فقد أصبحت ليبيا كلها تابعة للخليفة الفاطمى فى مصر ، وكذلك كانت صقلية وهذا النعقيد فى الحكم كان سمة من سمات الإدارة الفاطمية فهم أنانيون لاترضى نفوسهم أن يتركوا لأحد سلطانًا صريحًا ، والمسائل المالية كانت عندهم فى المكان الأول ، وكانت هذه السياسة ضررًا على الجميع فإن الخليفة الفاطمى من موقعه فى القاهرة لم يكن ليستطيع سيادة صقلية ، وكان سلطان الفاطميين على طرابلس وسرت وأجدابية أوضح ولكنه كان فى الحقيقة ضعيفًا ، وأبو الفتوح بلكين بن زيرى لم يكن سعيدًا بهذا الوضع وهو فى الفيروان وكانت نفسه طامحة لضم طرابلس إلى ولايته الإفريقية ، أما صقلية فقد انفصلت عن إفريقية ومصر فى الواقع ،وأصبحت دويلة مستقلة وضعيفة يحكمها بنو الحسين الكلبيون .

وفى أيام الخليفة العزيز نزار بن المعز ثانى خلفاء الفاطميين فى مصر (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) طلب بلكين إليه أن ينضم إلى طرابلس فوافق على ذلك سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م فبادر بلكين فولى على طرابلس وسرت وأجدابية يحيى بن خليفة الملياني ثم استبدل به عوصلة بن بكار وكان قبل واليًا على بونة (عنابة) ، ولم يسترح هذا الرجل إلى تلك الولاية فاستقال ولحق بالبلاط الفاطمى فى القاهرة ، وكان عوصلة هذا رجلاً ضخمًا له من الولد حوالى الستين ومن النساء خمس وثلاثون وكان مقربًا إلى العزيز فأقامه على دمشق فذهب إليها وفيها توفى .

أما طرابلس فقد ولى عليها يانس الصقلى من كبار رجال الخليفة الفاطمى ولم يكد يستقر بها حتى كتب إليه باديس بن بلكين بن زيرى يستفسر منه عن حقيقة وضعه فى طرابلس وكان قد ضاق به فَرَدَّ يانس رَدَّ رجل مستكبر مترفِّع ، ولم تلبث الحرب أن وقعت بين الجانبين وانهزم يانس وقتل وكان الذى هزمه وقتله هو جعفر بن حبيب من رجال باديس ابن بلكين الصنهاجى ، وتقدم ليحتلها ولكنه فوجىء بمسير فلفل بن سعيد الزناتى فانصرف إلى قابس ومنها عاد إلى القيروان ودخل فلفل طرابلس وقامت فيها دويلة ليبية زناتية صغيرة .

بنو خزرون الزناتيون فى طرابلس
(٣٩١ ـ ٥٤٠ هـ / ١٠٠١ ـ ١١٤٥م)

وكان استيلاء فلفل بن سعيد رأس بنى خزرون الزناتيين على طرابلس مظهرًا مما أشرنا إليه من نفور زناتة من صنهاجة ، وكان سعيد بن خزرون والد فلفل قد أمن فترة قصيرة لبلكين بن زيرى وتزوج ابنته ، ولكن عندما مات كل من سعيد وبلكين وجاء فلفل ابن سعيد وباديس بن بلكين وقعت النفرة بين الجانبين ، وجمع فلفل الزناتيين وسار إلى

طـرابلس وملكها سنـة ٣٩١ هـ/ ١٠٠١ م وأقـام بها دولة بنى خـزرون التى ظلت تحكم طرابلس حتى الغزوة الهلالية السّلبمية وهجرتهم إلى المغرب .

وخـــــــلال هـذه المدة ملك طـرابلس من بنى سعيـد بن خـزرون ستـة أمـراء إليك تسلسلهم :

سعيد بن خزرون

النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى

وهـذه الدولـة كـانت لها وظيفة واحـدة سبق أن ذكـرناهـا وهى حمايـة الزنـاتيين من الصنهاجيين أولاً ومن الفاطميين ثـانيًا ، وقد كانت دويلـة صغيرة اقتصر همها فى السيطرة على مدينة طرابلس وماحولها ، والصنهاجيون كانوا ـ كما رأينا ـ قساة وعتاة فى معاملتهم مع الزناتيين ، وكذلك كان الزناتيـون فى معاملتهم للصنهاجيين أما الفاطميون فكان جشعهم إلى الأموال عظيماً و إدراكهم للعدل كان منعدمًا تقريبًا .

وكان فلفل بن سعيد ـ أول أمـراء هذه الدويلة ـ يدرك هذه الحقيقـة فكتب بعد تَولِّيه السلطة إلى الخليفة الفـاطمى الحاكم يعرض عليه الدخول فى طـاعته فقَبِلَ الحاكم ولكنه ـ على طريقة الفـاطميين فى الالتواء ـ لم يقر « فلفل » على ولايـة طرابلس ، بل أرسل لها واليًا من عنده يسمى يحيـى بن على بن حمدون ، وكان من الواضـح أن الخلاف لابد أن يقع بين هذين الرجلين وبالفعـل هذا هو ما كان الحاكم يرمى إليه وعنـدما وصل يحيى إلى طرابلس وجد أن « فلفل » قد تولى أمرهـا بنفسه ولكنه أحسن استقبال يحيى بن على بن حمدون على أنـه الممثل الشخصى للسلطان الفـاطمى ، وبعـد بضعة شهـور نهض الاثنان إلى قـابس لانتزاعها مـن واليها للصنهاجيين سنة ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٣ م ولكنهما لم يستطيعا الاستيلاء عليها لمناعة أسوارها ، وكان يحيى بن على بن حمدون يعتمد على جند من بنى قرة وهـم ـ كما ذكـرنا ـ عرب من بنى هـلال تسربوا إلى ليبيـا من وقت مبكـر ، وكانـوا أهل فوضى وقلـة

انضباط ، ثم استولى فلفل بن سعيد على ماستطاع الاستيلاء عليه من خيل يحيى فاضطر الرجل إلى العودة إلى مصر ، وقد غضب عليه الحاكم وأراد أن يعاقبه ولكنه قَدَّرَ ظروفه وعفا عنه ، وقبل أن يقوم الحاكم بشيء آخر حيال فلفل كان أبو ركوة قد ثار على الفاطميين فى برقة سنتى ٣٩٦ ـ ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ ــ ١٠٠٧ م فانقطع الطريق بين مصر وطرابلس ، وأراد فلفل أن يقوّى مركزه فبعث إلى الخليفة الأموى محمد بن عبد الجبار المهدى فى قرطبة بطاعته ، وكان الزناتيون فى المغرب يربطون أنفسهم ببنى أمية الأندلسيين ولكن الخليفة المهدى الأموى ــ الذى كان قد قام ثائرًا على العامريين المستبدين بالعرش ــ كان فى حال يرثى لها فاكتفى بإحسان استقبال وفد فلفل فى شوال ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م فعاد الوفد إلى طرابلس ، وفى أثناء ذلك كان فلفل قد توفى ، وخَلَفه أخوه وهاجمه باديس بن حبوس ودخل طرابلس فلما وصل الوفد وقع فى يد باديس فقتلهم .

واجتمعت كلمة الزناتيين إلى وروا أخى فلفل ولكن باديس انقض على زناتة وانتهى الأمر بأن صالح باديس وروا فولاه زناتة بشرط أن ينصرفوا عن طرابلس وأعمالها ، وولى أمر طرابلس رجلاً يسمى محمد بن حسن ، ففقدت زناتة طرابلس وقد حاول وروا استعادة طرابلس فلم يوفَّق بسبب انشقاق أخويه خزرون ومقاتل عليه ، وانتهى الأمر بخضوع وروا لباديس سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ، بل إن باديس سمح له بالإقامة فى طرابلس حتى وفاته سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م .

خليفة بن وروا (٤٠٩ ـ ٤٢٩ هـ / ١٠١٨ ـ ١٠٣٧ م)

استطاع خليفة بن وروا أن يجمع كلمة الزنانة على شخصه رغم مؤامرات أقاربه ومحمد ابن حسن رجل باديس ، وبعد مؤامرات وأحداث كبيرة استطاع أن يدخل طرابلس ويقتل كل من وجده بها من صنهاجة ، وطال النزاع بين خليفة بن وروا وباديس بن المعز ثم رضى الخليفة الظاهر الفاطمى عن خليفة ، لأنه أحسن القيام بالأمر وأمَّن الطرقات

وأظهر الطاعة فأقره على طرابلس ، ثم أوفد خليفة أخاه حمادًا بهدية إلى باديس فصالحه وتركه على طرابلس وظل واليًا عليها حتى قتل سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، ثم خلفه عليها سعيد بن خزرون سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م فحكمها سنة وقُتِلَ سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ولم يطل فيها حكمه إذ انتصر عليه وحل محله المنتصر بن خزرون بن سعيد .

المنتصر بن خزرون بن سعيد (٤٣٠ هـ - ٤٦٠ هـ / ١٠٣٨م - ١٠٦٧م) وبدء دخول الهلاليين والسُّليْميين المغرب (٤٤٢ هـ / ١٠٥٠م) ومابعدها

كان المنتصر واحدا من أولاد خزرون الثلاثة الذين نشأوا فى مصر ، وقد تولى أمر طرابلس سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م وهاجمه المعز بن باديس الصنهاجى فانتصر عليه مرتين ولكنه خسر الثالثة وانتهى الأمر بخضوع المنتصر للمعز ، ثم لم تلبث أولى موجات العرب الهلالية أن دخلت المغرب وبدأ الصراع بينها وبين المنتصر وبعد حين قصير تبين للمنتصر أنه لايستطيع الثبات للهلالية وكان الذين وردوا منهم إلى طرابلس بنو زغبة وانتهى الأمر بأن صالحهم على الاكتفاء بطرابلس المدينة وترك مايقع خارجها لهم ، ثم تحالف مع بنى عدى الهلاليين على حرب ناصر بن حماد الصنهاجى صاحب قلعة بني حماد ولكن «ناصر» هزمهم واضطر المنتصر إلى الهرب إلى أشير ثم صالحه ناصر على أن يقطعه ضواحى الزاب وريفه ، وعندما وصل إلى بسكرة دبر عليه ناصر بن حماد وأوعز عروس بن سندى صاحب بسكرة بقتله سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ويبدو أن هذه كانت النهاية الفعلية لبنى خزرون لأن مابقى من تاريخهم لا يكاد يذكر .

وكان رجار التانى صاحب صقلية قد استولى على المهدية وصفاقس ثم هاجم طرابلس القائد النورماندى جرجى بن ميخائيل ، واستولى عليها وأخرج منها بقية بنى خزرون وولى على البلد خليفة له يسمى أبا يحيى بن مطروح التميمى .

وبهذا انتهى أمر بنى خزرون بعد أن ظلوا يكافحون فى سبيل حماية زناتة وبلادها من

الصنهاجيين ولم يكونوا موفّقين دائمًا وكان دورهم ـ فى جملته ـ صغيرًا رغم طول عمر دولتهم وكـان معظم سلطـانهم على دواخل بلـدة طـرابلس دون ريفها ، وقـد استـولى الأسطـول الصقلى على طرابلس نهائيًّا سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م .

تاريخ برقة حتى دخول العرب الهلالية
٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م

بينما كـانت طرابلس مـركـز صراع وتَنافُـس بين الزنـاتيين والصنهـاجيين ظلت برقـة خاضعة مباشرة للخليفـة الفاطمى يولى عليها من عنده ، وقد سبق أن ذكـرنا واليها يانس الصقلى الذى قتل فى محاولة الاستيلاء على طرابلس ، وفى المحرم سنة ٣٩٤ هـ/ ١٠٠٣ م ولى الحاكم بأمـر الله صنـدل الأسود على بـرقة ،وفى الـوقت نفسه كـانت بنو قـرة طلبت الهلاليين قد وصلت إلى برقة واستقرت فيها وكان يرأسها مختار بن القاسم .

أبـو ركـوة

فى ذلك الوقت ظهر فى برقـة الوليد أبو ركوة وهو مغامـر مجهول الأصل ولكنه زعم أنه ولد هشام بن الحكم وادعى أنـه من بنى أمية الأندلسيين وأنه هرب من يـد المنصور محمـد ابن أبى عـامر المســتبد بأمـر الأندلس وكـان يطلب ذوى الشأن من بنى أميـة ويقضى عليهم ، وفر هـو فيمن فر منهم من يده وقصـد مصر وكانت سنه تناهـز العشرين ، وقد قصـد مصر ودرس فيهـا وكتب الحديث ، ثم ذهـب إلى الحجـاز ثم إلى اليمن ثم عـاد إلى مصر وكتب إلى بنى قرة فى بـرقة يدعوهم لنفســه ، وكان بنو قرة غـاضبين على الحاكم لأنه كان شـديدًا عليهم وقد أخـذ نفرًا من أعيـانهم وحبسهم وقتل بعضهـم ، ثم إن قواد مصر كانوا غاضبين عليه لسوء سيرته معهم وقتله بعضهم ، وقصد أبو ركوة برقة ، فاجتمع عليه

بنو قرة وصالحوا زناتة ، واجتمع الفريقان عليه لحماية أنفسهم من الحاكم وتظاهر أبو ركوة بالنسك والطهارة وافتتح كتابًا يعلم الصبيان فيه ثم عرفهم بنفسه وقال لهم ، إنه يجد فى الكتب التى عنده أنه يفتح مصر ، فاجتمعت كلمتهم عليه وسمع بأمره والى برقة للحاكم فأرسل إليه يخبره ويستأذنه فى المسير إليه فاستمهله ، وفى تلك الأثناء كان أبو ركوة قد رَتَّبَ أموره واتفق مع بنى قرة على أن يكون له ثلث مايغنمون ولهم الثلثان ، ثم سار إلى برقة وتصدى لها الوالى فهزمه ودخل برقة واستقر أمره بها وخافه الحاكم فأصلح من سيرته مع القواد والناس ، وخاف على نفسه وملكه وأرسل إلى أبى ركوة قوة من خمسة آلاف فارس يقودها إينال الطويل فدبر أبو ركوة أمره واسترضى الكثيرين من كتامة ؛ لأنه كان يعرف أنهم غاضبون على الحاكم خائفون منه وكان معه ألف فارس فضم إليه نفرًا من الكتاميين والتقوا بإينال الطويل فهزموه وقتلوا الكثير من جيشه ثم أسروه وقتلوه ، وعاد أبو ركوة إلى برقة وقد استقوى أمره وكثر جمعه واستقرت حاله .

ومن برقة جعل أبو ركوة يرسل الحملات على صعيد مصر وخافه الحاكم وندم على مافرط وأصلح مسلكه مع الناس ، ولكن الكثيرين كتبوا إلى أبى ركوة وبايعوه ، ومنهم الحسين بن جوهر قائد القواد .

ثم انضم إليه نفر من قواد بنى قرة على رأسهم رجل يسمى الماضى وكثر جمع أبى ركوة وتزعزع مركز الحاكم رغم أنه أرسل يستدعى جنده من الشام ، واستقرَّ الأمر على أن يكون الشام للحاكم ومصر لأبى ركوة .

وجعل كل من الجانبين يدبر للآخر وكان يقود جند الحاكم قائد يسمى الفضل ابن عبد الله ، ولكن أبا ركوة أظهر من القدرة والذكاء والنشاط مافاق به أبا الفضل ومن معه من جند الحاكم وانتصر عليهم مرة بعد أخرى فى مصر ، وخاف الحاكم بأمر الله وانهزم ولكن نقطة الضعف فى أبى ركوة أنه كان يعتمد على بدو بنى قرة وهؤلاء إذا ثبتوا فى معركة لن يثبتوا فى أخرى ، والحاكم كان رجلاً ماكرًا يعتمد على رجال أشد منه مكرًا فلم

يلبث عربان بنى قرة أن انهزموا عن الرجل فضاع أمره وانهزم إلى النوبة يرجو أن يحتمى بصاحبها ولكن صاحب النوبة أسلمه إلى الفضل رجل الحاكم ووصل أبو ركوة فى يد الحاكم فطاف به القاهرة فى هيئة مهينة ثم قتله ، والغريب أن الحاكم مع عظيم امتنانه للفضل على صنيعه قتله فى النهاية وهذا مصير كل من أخلص فى خدمة الفاطميين إلا جوهر الصقلى الذى مات حَتْفَ أنفه فنجا من هذا المصير .

وأما بنو قرة فعادوا إلى برقة واحتلوها ثم انضموا إلى بقية بنى هلال عندما وفدوا وذابوا فيهم وكانوا من موقعهم فى برقة قد استولوا على هدية كان باديس الصنهاجى قد أرسلها للحاكم سنة ٤٠٢ هـ/ ١٠١٠ م ، وفى السنة التالية أرسل الحاكم هدية لباديس ردًّا على هديته التى ضاعت .

وبعد وفاة مختار بن القاسم شيخ بنى قرة تولى رياستهم ابنه جبارة بن. مختار بن القاسم ثم أصبح زعيمهم مقرب بن ماضى الذى انضم إلى عرب هلال عندما دخلوا برقة سنة ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م وكان جبارة بن ماضى قد انضم إلى المعز بن باديس عندما أسقط الدعوة الفاطمية سنة ٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م ، وتبعه فى ذلك مقرب بن ماضى وبقية العرب الذين دخلوا المغرب سنة ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ .

فــــزان

من خصائص الجزر الكبيرة فى الصحراء الإفريقية الكبرى أنها تكون ملاجىء لأصحاب المذاهب الرافضة لحكم السلاطين وخلفاء الدول الاستبدادية كالأمويين والعباسيين والفاطميين ، ومعظم هذه المذاهب هى الإباضية التى وصلت فزان من جبل نفوسة ، والإباضية ليست مذهبًا خارجًا ، وإنما هى إسلام صافٍ خالص لا يميزه عن السنة التقليدية إلا الرفض للحكومات القائمة فإذا لم تكن هناك حكومات أو كانت قاصية

بعيدة فإن الإباضية تصبح إسلامًا سنيًّا خالصًا وهذا هو الذى حدث لفزان والإسلام فيها قديم من أيام الفتح العربى وعند قيام الدولة الفاطمية هاجرت إليها جماعات من العرب والبربر والفرس ممن أنكروا المذهب الشيعى ، وفى سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م قامت فيها دويلة بنى خطاب التى استمرت حتى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ولم يكن بنو خطاب أمراء ولا أصحاب سلطة قائمة وإنما كانوا منظمين لأمور السكان والتجارة ، وفزان كانت مركزًا تجاريًّا عظيمًا فهى فى منتصف المسافة تقريبًا بين إفريقية المدارية وبرقة وطرابلس وكانت مكاسب التجار فيها عظيمة والضرائب قليلة أو منعدمة ، ثم إن أهل فزان صرفتهم التجارة ومكاسبها عن التعصب فتركوا الوثنيين الذين كانوا يقدمون النذور إلى إله يسمى غرزل أو كرزل واثقين من أن الإسلام سيغزو قلوبهم وهذا هو الذى حدث وساعد على ذلك لأن نظام الحكم أو إدارة الأمور فى فزان كان حرًّا ويقوم به بنو خطاب الهواريون يساعدهم عدد من أهل الفقه والدين ، وقد يدينون بالولاء لإباضية جبل نفوسة أو للصنهاجيين فى إفريقية ولكنه كان ولاء نسبيًّا ضعيفًا ومؤقتًا .

وكان مركز بنى خطاب فى زويلة وقد تمولوا وضربوا عملة ذهبية وقد عنى عبد الله ابن الخطاب الهوارى بزويلة حتى قيل : إنه مؤسسها والأصح هنا أن يقال : إنه اعتنى بها وأنشأ فيها مبانى جميلة منها مقابر بنى خطاب ، ويذهب الدكتور محمد سليمان أيوب مؤلف كتاب « مختصر تاريخ فزان » إلى أن فزان تبعت أحيانًا مدن الساحل من أمثال طرابلس وإفريقية وهذا معقول وإن لم يكن ضروريًّا ؛ لأن فزان كانت صغيرة وبعيدة جدًّا وحتى المرابطين والموحدين لم يمدوا سلطانهم إليها ولكن هذا الوضع يؤكد الحقيقة التى ظهرت فيما بعد ، وهى أن فزان جزء من طرابلس وبرقة أو جزء من ليبيا وسيتجلى ذلك على أيدى السنوسيين الذين جعلوا ذلك حقيقة ، وهم أصحاب الفضل فى الشكل الجغرافى والسياسى الذى أخذته ليبيا فى نهاية الأمر .

ليبيا بعد الغزوة الهلالية

عندنـا نوعان من المراجع عن ليبيـا فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجـريين : نوع كتب فى القرن الثالث ، أى قبل الغزوة الهلالية والـدولة الفاطمية يتمثل فى اليعقوبى الذى يعتبر كتـابه « البلـدان » وثيقة تـاريخية ذات قيمـة عظمى ، ونوع كتب فى القـرن الخامس ومـابعـده ويتمثل فى أبى عبيـد البكرى وابن حـوقل ثم الإدريسـى فيما بعد والمقـارنـة بين المعلومات التى يقدمها النوع الأول والنوع الثانى تصور لنا التطور أو التغير الذى شمل ليبيا فيما بين القرن الثالث والقرن السادس الهجريين / التاسع والثانى عشر الميلاديين .

فعند اليعقوبى نجد ليبيا مقسمة بين طوائف من السكان تسكن نواحيها العامرة التى هى واحات فى مجموعها ، وقـد أعطانا الدكتور البرغوتى ملخصًا لـذلك الوضع نورده بعد التقديم التالى .

غالبية من البربـر الزناتيين تغلب على السكان فى كل النواحى وهـؤلاء السكان البربر كلهم زناتيـون من هوارة ولمتـونة ونفوسـة ، وبعض هؤلاء البربـر استعربـوا ـ وهم أقلهم ـ ولكن غالبيتهم العظمى مسلمون ، وبين هذه الأغلبية الكاثرة عاشت جماعات مختلفة من أصـول السكان فى ليبيـا قبل الفتح الإسـلامى وكل هذه الجماعـات كـانت فى طريقهـا إلى الإسـلام والاستعراب الكـامل لأن الإسلام بطبعـه غـلاَّب ولأن العرب الأول كـانت فيهم جاذبيـة وحسن عشرة وقدرة على امتصاص الآخرين ولغتهم كـانت بالمقارنـة مع غيرها من لغات تلك العصـور كانت لغة قـوية كاملة بليغـة لها كتاباتها الخاصـة بها ، ثم إنها كانت فوق ذلك كله لغة القرآن الكريم الباهر بمعـانيه العظيمة الرفيعة وجرسه الأخّاذ ، وفيما يلى نوجز بيان الأقليات السكانية الذى أورده الدكتور البرغوتى :

ـ جالية من النصارى فى قرية « تاكسنت» على بعد خمسين ميّلا شرقى مدينة «برقة » .

ـ أكثرية من النصارى الأقباط بمدينة « أجدابية » .

ـ قوم يتكلمون لغة العرب فى « سرت » .

ـ أقباط متبربرون حول طرابلس .

ـ جالية يهودية كبيرة فى « جادو » .

ـ جالية من النصارى الأقباط فى مدينة «بهنسى » الواحات وفى الفرفرون .

ـ قبائل وثنية من البربر حول صنم كرزل (غرزل) .

وهذه الجماعات كلها انتهت مع الزمن وحل محلها الإسلام بل العروبة ، فإن البربر وغيرهم ممن ذكرنا أعجبوا بالعرب ورغبوا فى الانتساب إليهم فزعم الكثيرون منهم لنفسه أنسابًا عربية ، وكانت قد استقرت فى برقة وطرابلس جماعات من مهاجرة العرب أورد لنا ذكر الكثير منها البكرى فى الجزء الخاص بإفريقية من المسالك والممالك « منهم قوم قريش من قرابة جبير بن مطعم نزلوا قصر أبى معد إلى الغرب من خرايب القوم الواقعة على بعد ٣٣١ ميلا إلى الشرق من مدينة « برقة » ، وإلى جوارهم جماعات كثيرة من مدلج من عرب اليمن كما استقرت جماعات من عرب تلجى (من قضاعة) ومدلج وجهينة (من قضاعة) فى رمادة من أعمال برقة وكانت برقة أكثر عربًا من طرابلس ولا مَحَلَّ لتفصيل أمر هذه الجماعات العربية[١] والمهم لدينا أن كل بدو برقة وطرابلس وفزان قد أسلموا واستعربوا وإن كانت الإباضية قد غلبت على جبل نفوسة وكانت علاقات أهلها بنى رستم الإباضيين وثيقة ، ثم إن قبائل بنى هلال التى استقرت على السواحل طردت الإباضية إلى الدواخل فى جبل نفوسة ومع أن الخلاف كان شديدًا بين السنة والإباضية ، فإن ذلك اختفى مع الزمن ؛ لأن الإباضية ـ كما قلنا ـ سنية على وجه التقريب ولكنها سنة صافية متشددة .

وقد كانت برقة وطرابلس كثيرة المدن والقرى عند دخول العرب أثناء الفتح الإسلامى ولكن هذه المدن والقرى زادت زيادة عظيمة مع دخول الإسلام والاستعراب فزاد عدد القرى والمدن وقامت فيها المساجد وخاصة فى جبل نفوسة ، فمن المدن التى نشأت :

---

(١) أوردها كلها د . عبد اللطيف محمود البرغوتى فى كتابه : تاريخ ليبيا الإسلامية ص ٢٧٣ ومايليها .

الرمادة وهى مـدينة صغيرة لطيفة قرب بـرقة لها سور ومسجد وحـولها بساتين زاهرة ووادى نخيل وهى قرية كالمدينة فى بـرقة لها المسجد الجامع وبرك الماء والأسواق ، ولها حصن منيع وحصن لبدة وكـانت لبدة قد خربت أواخـر العصر البيزنطى فعمرت بالعـرب ودبت فيها الحياة .

أما بقية المدن القـديمة فقد زاد فيها العمران وتضـاعف حجمها وزاد سكانها وأصبح الكثير منهـا من مدن العـالم الإسلامى المرمـوقة وهـذا ينطبق على برقـة وطرابلس وطلميتـة وأجـدابية وصبرة وهـى صبراتة باللاتينــية وسبهـا وودان وتاجـرفت وتمسى وزلهى (زلـة) وأوجلة وغيرها .

ولكن الطفرة العمرانيـة ظهرت فى جبل نفوسة وهـو جبل واسع أخضر وفير المياه يقع جنوبى طرابلس ، وقد بلغ عدد قراه فى العصور الإسـلامية فوق الثلاثمائة وعاصمته مدينة جادو وهى مـدينة كبيرة فيها مسجـد جامع وفى قريـة « شروس » على مقربة منهـا مسجد جامع أيضًـا ومنبر وقد لاحظ بعض الرحّـالة مثل الجيطالى صـاحب « قناطر الخــيرات » وابن حوقل والبكرى قلة المنابـر فى الجبل وزعم بعضهم أن الإباضية لايصلون الجماعات إذ إنه ليس لهم إمام ، وهذا غير صحيح فقد ذكر الشماخى فى ملحق لكتاب السيرة من تأليفه يسمى « نسمية مشاهد الجبل » أكثر من ستين مصلى وعشرين مسجدًا .

هذا ولا بد أن نلاحظ أن ليبيا بلد شـاسع يشمل أكثر من ثلث ساحل البحر المتوسط الجنوبى و يمتـد ألوف الكيلـومترات داخل القارة الإفريقيـة ، وليبيا رابع بلـد إسلامى من حيث المساحة بعد الجزائر والسودان والسعودية ، وهـذه المساحة كلها تخلو من مصدر ماء أو مصدر ثروة كبيرة (أقصد فى تلك العصور) فكـان من الطبيعى أن تكون مراكز العمران صغيرة وأعـداد السكـان قليلة ، ومن هنـا فقط كـانت الثـروات قليلـة نسبيًّا والـزراعـات والصناعـات قليلة ، وكان معظم الاعتماد على رعـى الأغنام والماعز وفى المراكـز الغنية مثل الجبل الأخضر وجبل نفـوسـة كان هنـاك رعى الأبقـار ، أما الجِمَال فكـانت كثيرة جـدًّا فى

الصحارى وكـذلك النخيل ، ولهذا يعتبر التمر محصول البـلاد الأول ويليه الزيتـون ، أما بقية المحاصيل فكانت تكفى السكان أو لا تكاد ، والحياة كانت وفيرة على مراكز السواحل وبعض الأقاليم الداخلية مثل الجبل الأخضر وجبل نفوسـة وسبها وفزان وزويلة ودوان وما إليها .

وقد بعث المهـاجرون العرب الأول ثم بنو قـرة حياة جديدة فى البلاد فـانتعشت المدنية وانتشر العمران ونشطت التجارة وزاد الرخاء وأخذت المدن ومـراكز العمران صورة جديدة ويتجلى لنا هذا من كلام ابـن حوقل والبكرى عن مدائن ليبيا ومراكـز العمران فيها ، فقد دبت حياة جديـدة فى طرابلس وبرقة وودان وزويلة وأجـدابية وشروس وجادو ، وهما أكبر مدينتين فى جبل نفـوسة وازدهـرت فى هذه المدن وغيرها صنـاعات العسل وزيت الـزيتون والتمور وشىء من النسيج والحبـال والأخشاب فى مراكـز الساحل ونشطت صناعـة إنشاء السفن وساد البلاد رخاء كبير .

وهذه الثروة القليلة كانت خيرًا على ليبيا من نـاحية أخرى ، لأنها صرفت عنها مطامع الحكام ورجال الدولة ، وقد روينا ماتيسر لنـا من تفاصيل التاريخ السياسى وتبيَّنَّا أنه كان فى جملته منازعات قبليـة يسودها الصراع بين زناتة وصنهاجـة إلى جانب مطامع الفاطميين الذين لم يكونوا يقصدون شيئًا فى ليبيا ذاتها ؛ لأنهم كـانوا أصحاب مطامع ضخمة لاتوجد فى ليبيا وكان كل ما يهمهم هو أن يكون الطريق إلى مصر عبر ليبيا سالكًا دون عقبات حتى تروح جيوشهم وتغدو فى محاولاتهم الدائمة لغزو مصر وانتزاعها من أيدى العباسيين .

قبائل بنى سُليم بن منصور فى ليبيا

كانـت أهم القبائل الهلاليـة التى استقرت فى إفـريقية زغبـة ورياح والإثبج وقـرة وقد انضمت إليهم من غير هلال بن عامر نفر من فـزازة وأشجع من بطــون غطفــان وجُشَم ابن معـاوية بن بكر مـن هوازن وسلول بن مـرة بن صعصعة بـن معاوية المعقل مـن بطون

اليمن وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وبنو ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكاء بن عامر بن صعصعة ، وعدوان بن عمرو من قيس عيلان وطرود بطن من فهم بن قيس .

وهؤلاء ـ جميعًا ـ كانوا مندرجين فى هلال والإثبج منهم خاصة ، لأن الرياسة كانت فى هـذين القبيلين عندما دخلوا إفـريقية وقـد انضم إليهم بنـو قـرة من بنى هـلال وكانوا ـ كما ذكرنا ـ قد سبقوا غيرهم إلى المغرب واستقروا فى برقة .

وكان الإثبج أكثر الهلاليين أعدادًا وبطونًا ، ولهذا غلبوا على غيرهم وقد تزعموهم بعد استقرارهم فى إفريقية وهناك وقعت الخلافات بينهم ؛ لأن حسن بن سرحان من دريد قتل شبانة بن الأحمر من كُرفة ، وكان ماضى بن مغرب بن قرة قد تزوج الجازية أخت حسن بن سرحـان فغاضبت زوجهـا ولحقت بأخيهـا حسن بن سرحـان فمنعها مـن زوجها مـاضى فغضب هذا وأخذ جانب بنى كرفة فاجتمع بنو قرة وبنو كرفة على حسن بن سرحان وقومه وبدأت حرب الهلالية التـى ذكرناها فى موضعها من هـذا الكتاب ، وقد استمرت الحروب بين بطون الإثبج فى إفريقية حتى جاء الموحدون ونقلوا منهم إلى تاسسنا فى المغرب الأقصى بطون مقدم والعاصم وقرة وتوابع من جشم .

أما ليبيـا فقد غلبت عليها بطـون سليم بن منصور ؛ لأن بطون بنى هـلال غادرتها إلى مجالات أوسع فى إفريقية وقد تفرقت بطون بنى سليم فى نواحى ليبيا :

١ ـ فسكنت قبيلـة بنى هيب بن بهنن بن سليم سـاحل برقة مـن العقبة الصغيرة من جهة الإسكندرية بئر سدرة غربى سدر ، وكان أحسنهم حالاً بنو أحمد من بنى شماخ وقد استوطنوا المنـاطق الخصبة من برقة مثل درنة والمدح وطلميثة وأجـدابية ، وإلى شرقى البلاد هؤلاء وحتى العقبة الصغيرة فى مصر نزل أقاربهم من بنى شماخ ، وهما قبيلتا سمان ومحارب والرياسة فيهما لبنى عزاز ، وهؤلاء دخلوا فى بدو مصر .

٢ ـ وسكنت قبيلة لبيد من سليم ببطونها الكثيرة منطقـة برقة غربى بنى هيب بن بهنن وقد اختلط بهذه بعض اليمنية .

٣ ـ وسكن بنو سليمان ـ وهم بطن من بهنن بن سليم ــ طرابلس وقابس إلى جوار فزارة والجوارى .

٤ ـ وسكن دياب بن مالك من سليم ما بين قابس وبئر السدرة فى برقة ـ ومنهم أيضًا بنو سليمان بن دياب ـ جهة فزان وودان وغريان .

٥ ـ بنو عوف من بنى سليم وقد سكنوا مابين طرابلس وسرت غربى بنى دياب وكانوا كثيرين جدًّا .

٦ ـ بنو ناصرة وعميرة من سليم ، سكنوا بين قصر العطش وكافز فى برقة .

٧ ـ أحياء من بنى جعفر بن عمر أصلهم من سراتة إحدى بطون هوارة ولكن نسابة البربر جعلوهم فى العرب تارة فى كعب بن سليم وتارة فى فزارة .

٨ ـ بقيت فى برقة من بطون هلال بن عامر بنو بعجة وبنو قرة أما بقية بنى هلال ابن عامر فقد ارتحلت إلى إفريقية والمغرب الأوسط وبعضها وصل إلى المغرب الأقصى ، وكان لهذه كلها شأن عظيم فى تاريخ المغربين الأوسط والأقصى ذكرنا أهم مافيه .

٩ ـ وسكن برقة بنو رواحة من بنى هيب وهم من غطفان .

١٠ ـ وسكن برقة كذلك بنو صبيح من فزارة من غطفان العدنانية .

وكان سكان ليبيا كلها قبل أولئك البدو من بربر لواتة وهوارة ونفوسة سكان الإقليم القدامى وكان معظمهم أهل زرع وضرع واستقرار وعمران ، فلما دخل أولئك العرب وكانوا بدوًا خلصًا لم يعرفوا الاستقرار من قبل وقد تمرّسوا بأعمال الغارة والغزو والسلب والنهب مع القرامطة ، فلما نزلوا الصعيد لم يعرفوا من أساليب التعامل مع الزراع وأهل المدن المستقرين إلا السلب وفرض الأتاوى والغارة ، وقد قرر المقريزى أن مصر كانت من أكثر بلاد الله شجرًا فأتى على ذلك كله العرب ، ثم انتقلوا إلى ليبيا و إفريقية فأحالوا عمرانها كله خرابًا .

قال ابن خلدون وهو أعرف الناس بأمرهم « وتمرست بمدائنها بادية العرب وتابعتهم فتحيفوها غارة ونهبا إلى أن فسدت فيها مذاهب المعاش وانتقص العمران فخربت[1] » .

ولكن هذا الخراب الذى أكثر ابن خلدون من الكلام عنه لم يكن شرًا كله فقد جلب معه تمام الاستعراب ، لأن هؤلاء العرب اختلطوا بالناس من البربر وصاهروهم وامتزجوا بهم ونشأ عن ذلك بعد الزمن الطويل والمعاناة البالغة الجنس المغربى العربى وفى ذلك يقول ابن خلدون : « وأما إفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فيح كانت ديارًا لنفزاوة وبنى يفرن ونفوسة ومن لايحصى من قبائل البربر وكانت قاعدتها القيروان وهى لهذا العهد مجالات للعرب من سليم وبنو يفرن وهوارة مغلوبون تحت أيديهم وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعاراتهم فى جميع أحوالهم[2] .

وقد تحدثنا عن ذلك التخريب فيما سلف وأفاض فى تفصيله المؤرخون مابين قدامى ومحدثين ولكننا عندما نسير مع الزمن نجد غلواء السلب والنهب تهبط رويدًا رويدًا ثم تسكن ويعود العمران إلى النمو وجدير بالذكر أن البربر الذين استعربوا هم الذين نهضوا بالبلاد من جديد ؛ فهوارة ولواتة ونفوسة الجديدة بربر مستعربة ولسانهم عربى ، بل إن الكثير من قبائلهم ينتسب إلى العرب ويتخذ أصولاً عربية لأن العرب البدو ـ ورغم عنفهم وعدوانهم على العمران ـــ اختلطوا بالبربر ، وذاب الحيان أحدهما فى الآخر والعرب كانوا قوم العرب الفاتحين الأول وأهل العربية لغة القرآن ومعدن الرسول ﷺ والصحابة فكان من الطبيعى أن ينتسب إليهم البربر ماداموا يتكلمون لغتهم ونلاحظ هذا فى ما كتب الإدريسى فى « نزهة المشتاق » وهو من أهل القرآن الثانى عشر الميلادى أن مدينتى لبدة وبرقة كان فيهما على أيامه عمران لابأس به ، وأن أهلها من هوارة ولواتة وأن الصناعة انتعشت بهما فصارتا تصدران العسل والصوف والزيت بل ازدهرت فيها من جديد زراعة القطن المتميز بالجودة ، وخلاصة هذا الكلام هى أن ليبيا بعد أن مرت بمحنة الغزوة الهلالية واجتازت

---

(١) ابن خلدون ٦ / ٨٤ ومابعدها .
(٢) ابن خلدون ٦ / ١٠٣ .

محنة طغيان العرب من بنى سليم بن منصور ومن صحبهم من بنى هلال وقبائل عربية أخرى خرجت بوجه عربى جديد وقد تغيرت ملامحها الظاهرة ولكنها بقيت مغربية ـ ولا أقول بربرية ـ كما كانت ، وفى ثوبها العربى هذا أخذت تستعيد ملامح عمرانها وصناعاتها وزراعاتها القديمة وإن كان مستواها من الغنى ظل محدودًا وهذا طبيعى بالنسبة إلى ظروفها الجغرافية التى نعرفها فلا مدائن زاخرة بالمبانى السامقة كما رأينا فى مدائن المغرب الأقصى ولا قوات عسكرية ضخمة تحمل عبء دولة كبيرة ولا أسوار بالغة الحصانة تحيط بموانى الساحل ولا علماء يملأون بعلمهم طباق الأرض ، لأن هؤلاء ـ كما نرى فى كلام العبدرى فى رحلته ـ ينتقلون إلى مدن أكبر حيث التلاميذ أوفر ومجالات العلم أوسع .

ولكن ليبيا برعت فى شىء انفردت به فى الشمال الأفريقى كله هو تربية الضأن خاصة مع بعض الأعناز والأبقار والخيل القليلة والحمير فهذه كلها ثمرات المراعى ، وليبيا أساسًا بلد مراع وقد صَدَّرت ليبيا الضأن إلى مصر وبلاد المغرب الأخرى بوفرة واشتهر ضأنها فى العالم الإسلامى كله ودر عليها مالاً وفيراً وكان صوف هذا الضأن موردًا عظيمًا من موارد المال لليبيا ، وهى لم تصدره لمصر وبقية المغرب فحسب بل صدرته إلى أوربا حتى كانت شهرتها بهذا الصوف الجيد سببًا من أسباب طمع النورمان وغيرهم فيها .

وأختم هذا الكلام عن الغزوة الهلالية وما كان لها من الأثر الحاسم فى تاريخ ليبيا بعبارة بليغة لابن خلدون تجمل التغير الحاسم الذى أصاب ليبيا خلال القرن الذى انقضى من دخول الهلاليين المغرب سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ ومنتصف القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، قال ـ فى سياق كلامه عن هوارة : إنهم : « ظواعن صاروا فى أعداد الناجعة من عرب بنى سليم فى اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكَسْب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين فى الشتاء والصيف فى تنقلهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرَّق بينهم .

طرابلس من نهاية الغزوة الهلالية
إلى دخولها فى طاعة الموحدين

فى هذه الحالة من الضعف كان يحكم طرابلس يحيى بن مطروح وهو من سلالة بنى خزرون الزناتيين ولكنه يعد نفسه دولة قائمة بذاتها وخلفه على ولايتها ابنه رافع بن يحيى ابن مطروح ، وكان رجلاً عاقلاً يسوس أمور البلاد بالحكمة ولم يكن يملك من القوة ما يمكن له أكثر من إقرار الأمن يعاونه فى ذلك القاضى ومجلس الشورى من عشرة من مشايخ البلد وكان أقصى جهد هؤلاء هو حماية البلد من عربان الداخل الذين كانوا لايكفُّون عن الغارة ونهب ماقدروا عليه وهذا دأبهم .

وتطلعت أنظار النورمان إلى طرابلس وكان يتولى صقلية رجار الأول ثم خلفه ابنه رجار الثانى الذى يسميه العرب أحيانًا لجار وكان رجلاً معتدلا ترك من بقى فى صقلية من المسلمين يحيون حياتهم لكى يستفيد من ملكاتهم ومواهبهم ، وكانت صقلية قد سقطت نهائيًا فى يد النورمان سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م ، فى حين أن رجار الثانى ولى صقلية نائبًا عن أبيه رجار الأول سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠١ م ثم خلف أباه عليها ملكًا لها سنة ٥٢٥ هـ/ ١١٣١ م وظل يحكمها حتى ١١ ذى الحجة ٥٤٨ هـ/ فبراير ١١٥٤ م فخلفه ابنه جيوم الأول المعروف عند المسلمين بغليام الأول وظل يحكمها حتى ٥٦١ هـ/ ١١٦٦ م .

وكان من الطبيعى أن يغرى ضعف ميناء طرابلس رجلاً مثل رجار الثانى بمحاولة غزوها ، فهى ميناء هام جدًا فى البحر المتوسط ، وقد شجع رجار على ذلك أن قائد الأسطول النورمانى كان رجلاً يسمى جرجى بن ميخائيل الأنطاكى وكان نصرانيًا مستعربًا من أهل أنطاكية برع فى فنون البحر ولجأ إلى إفريقية فاستخدمه تميم بن المعز فى قيادة أسطوله ، فلما توفى تميم وسادت الفوضى شئون إفريقية نتيجة للغزوة الهلالية انتقل جرجى بن ميخائيل الأنطاكى إلى صقلية ودخل فى خدمة رجار الثانى وجعل دأبه تحريضه على غزو شواطىء إفريقية وشجعه على العدوان على طرابلس مافعله مكى بن كامل الدهمانى

عامل أبى يحيى الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز ثامن أمراء بنى زيرى على قابس ، استعان برجار وأطمعه فى بلاد الإسلام فأرسل هذا سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م أسطولاً على المهدية فعجز عن الاستيلاء عليها ، وإزاء ذلك فكر الحسن بن على الصنهاجى فى الاستعانة بعلى بن يوسف بن تاشفين فجعل على بن يوسف يرسل الحملات على شواطىء صقلية فتغنم وتعود ، وإزاء عجزه عن الرد على المرابطين وجه رجار همه إلى الثأر من أهل إفريقية وإذا كان قد فشل فى الاستيلاء على المهدية فقد أرسل فى سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م أسطولاً ضخماً استولى على سوسة وصفاقس وكسب بذلك موطن قدم على شاطىء إفريقية ، وهنا صور له جرجى بن ميخائيل الأنطاكى أن الاستيلاء على طرابلس يسير خاصة أن أبا يحيى رافع بن مطروح أعلن استقلاله عن على بن الحسن الصنهاجى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م فسارع جرجى بن ميخائيل وهاجم طرابلس وكاد يستولى عليها لولا أن جماعة من العرب خفوا لنجدتها وأنزلوا بالنورمان هزيمة فاحشة وقتلوا منهم كثيرين وقد أفاد العرب وأهل البلد من هذه الهزيمة فائدة كبيرة من السلاح والغنائم .

وفى سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م اجتاحت مدينة طرابلس مجاعة مهلكة أتت على كثيرين من أهلها وأنزلت بها وهنًا شديدًا ، وفى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م دار القتال بين النورمان وأهل المدينة ويبدو أنهم شكوا فى ولاء محمد بن خزرون بن خليفة وشيعته من بنى مطروح فأنزلوهم من الحكم وولوا على أنفسهم رجلاً من أمراء لمتونة مر بهم حاجًّا مع قومه واستمروا فى المقاومة ، وعاد شيعة بنى مطروح ودار القتال بين الجانبين وكانت النتيجة أن تمكن جرجى بن ميخائيل الأنطاكى من التغلب على المقاومة ودخل البلد وأقام حكم النورمان فيها ، وأصلح سورها وحفر خندقها وولى عليها أبا يحيى رافع بن مطروح التميمى الذى تعهد بالطاعة وجمع الجزية التى قررها النورمان ، وكان يعاونه قاضيه أبو الحجاج يوسف بن زيرى ، وقد دام حكم النورمان لطرابلس اثنى عشر عاماً (٥٤١ ـ ٥٥٣ هـ / ١١٤٦ ـ ١١٥٨ م) وقد اجتهد ابن مطروح فى أن يكون واليًا عادلاً

وهدأت أحوال البلـد بل تحسنت نتيجة لوجود حاميـة نورمانية تحميهـا ولكن المذلة كانت عظيمة وكان الموحدون قد وصلوا إفريقية واجتاحت، البلد الحمية الدينية فدبر الطرابلسيون أمرهم سرًّا وأعدوا أنفسهم وفى ليلـة معينة قاموا على النصارى وتـولى أمرهم أبو يحيى رافع بن مطروح وطـردوا الصقليين وصـالح بن مطـروح العرب المقيمين خارج البلد فـاستقام أمره .

طرابلس فى طاعة الموحدين ، ابتداء من ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م

بعد أن تخلص رافع بن مطـروح من الصقليين بسـنتين وصـل الموحدون بقيـادة عبد المؤمن بن على إلى إفريقية واستعادوها من أيـدى النورمان كما ذكرنا فدخل ابن مطروح فى طـاعتهم وظل يحكمهم حتى سنـة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م حيث كبرت سنـه وعطل عن العمل فـاستأذن أبـا زيـد من أبـى حفص والى الموحـدين على تـونس فى الخروج إلى الحج ووصل إلى الإسكندرية ومات فيها فى السنة نفسها وكان قد شاخ وعجز عن الحركة .

واستمر الموحدون يحكمون طرابلس وكذلك استمروا فى اتباع سياسة اللين مع القبائل العربية فى هذه الناحية فاجتذبوا رجال هلال ورياح وزغبة ونقلوا الكثيرين منهم إلى المغرب الأقصى وأشركوهم فى الجهاد فى الأندلس .

وفى النصف الثانى مـن القرن السادس الهجـرى / الثـانى عشر الميلادى أصبحت ليبيا فريسة لاثنين من المغامرين الوافدين من مصر الأيوبية هما قراقوش الأرمنى وإبراهـيم ابن فرانكين وهذان الاثنـان كانا من رجال الملك المظفر تقى الـدين ابن أخى صلاح الدين الذى أرسله لكى يمهد له أمر ليبيـا حتى إذا وقع خلاف صريح بينه وبين نور الدين انتقل بأهله إليها أو إلى اليمن ، ولكن الملك المظفر تقى الدين زهد فى المسير إلى ليبيا وذهب إليها مع جماعة من جنـده مملوكاه شرف الدين قـراقوش وإبراهيم بن فرانكين ، فأمـا هذا الأخير فقد اخترق ليبيا وبلغ قفصه بتونس وتملكها ولم يلبـث أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى أن استولى عليها وقتل فرانكين سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م .

وأما قراقوش فقد وصل سنترية وهى سيوة وهى من مصر فخطب لصلاح الدين منها ثم سار إلى أوجلة واستولى عليها ومنها إلى زكة ثم زويلة بنى خطاب فاستولى عليهما بعد أن قتل آخر سلاطينها وهو محمد بن عبد الله بن صنعل بن خطاب ، وخطب فيها لصلاح الدين ويبدو أنه وصل غدامس ثم انتهى إلى طرابلس بعد قليل من مغادرة رافع بن مطروح إياها متوجها إلى مصر .

وكان قراقوش مغامرًا نهابًا وفى كل بلد مر به نهب وسَبَا وجبا جزية ودعا إلى صلاح الدين وابن أخيه المظفر تقى الدين ليضفى على نفسه طابع الشرعية وهو لم يستطع الاستيلاء على طرابلس إلا بمعاونة نفر من بنى هلال الذين كانوا قد رفضوا الدخول فى طاعة الموحدين فقد حالف مسعود بن زمام أمير رياح الهلاليين وقد دخل قراقوش طرابلس وحكمها وأيده العربان والتفوا حوله .

وبمعاونة العرب استطاع قراقوش أن يمد سلطانه على بعض بلاد إفريقية الشرقية ولكنه لم يحكم تلك البلاد ولا استقر له فيها أمر ، إنما هو كان سارقًا نهابًا ولم يلبث أن دخل هذه البلاد بنو غانية المسوفيون الثائرون على الموحدين وحاربوه وقتلوه وكان قد ترك على طرابلس مملوكه ياقوت الملقب بالافتخار .

وكان قراقوش قد اتخذ قابس مركزًا له وسكنها وكان جمعه قد كثر واعتز بتأييد العرب وعندما وصل على بن غانية حاول قراقوش أن ينضم إليه ومضى الاثنان ينهبان ما تصوروا أنه من أملاك الموحدين ، قال ابن غلبون فى التذكار « إنهما دعيا لبنى العباس وانضم إليهما كل مفسد فى تلك البلاد ومن يريد النهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحريم وقطعوا الأشجار وامتدت أيديهم إلى النساء والصبيان(١) » وقد امتد أذى قراقوش وأحلافه من العرب وبنى غانية واستولوا على قفصة وانتزعوها من أيدى الموحدين

---

(١) غلبون ، أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسى ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار . تحقيق أحمد الزاوى طرابلس ليبيا ط ٢ سنة ١٩٦٧ ص ٦٨ .

سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م وحاول أبو يوسف يعقوب المنصور أن يستعيدها منهم فلم يستطع إلاّ أنه هزمهم سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م وأخذ آل قراقوش وعياله جميعًا إلى مراكش ومات يحيى بن غانية سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م وخلفه أخوه يحيى وسار فى طريقه من معاداة الموحدين ومحالفة العرب وقراقوش ، أما قراقوش فقد اضطرب أمره وتذبذب بين الولاء للموحدين والخروج عليهم وحالف العرب وانقلب عليهم وتصرف على الجملة تصرف رجل مفسد خطر ، وقد أوجز الدكتور البرغوتى أعماله فى ص ٣٧٩ وما بعدها من تاريخه ، والخلاصة أنه استقر فى طرابلس وسيطر عليها وقد ظل هذا الرجل يناوىء الموحدين ويسبب لهم المصاعب حتى اختلف مع العرب واشتدت العداوة بينه وبينهم وانتهى أمره بأن سار نحوه ابن غانية مع العرب الهلاليين من بنى دياب خاصة وحصره فى ودان سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م وقتله مع ولده .

أما بنو غانية والعرب فقد طال الصراع بينهم وبين الموحدين وقد انهزم العرب أمام الموحدين فى معركتين فاصلتين هما : حيدران وسطيف ولكنهم استمروا يناوئُون .

وفى سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م توفى الخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب المنصور وخلفه أخوه محمد الناصر الذى ظل يحكم حتى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م ، وبولاية الناصر فدخل فى طور جديد من أطوار تاريخ إفريقية والمغرب الأوسط وليبيا ؛ لأن محمد الناصر الموحدى وجه اهتمامه أولاً إلى المغرب وسار فى جيش كبير مع أسطول إلى تونس سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م وفى تاجرا قرب قابس أوقع هزيمة كبيرة بيحيى بن غانية ففر تاركًا معسكره وأدواته للموحدين ؛ وعلى أثر ذلك وفد عليه وفد من طرابلس فأحسن استقبالهم وولى على طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن جامع ، ثم أوقع الناصر بابن غانية واستأصلوا بنى دمر ومطماطة واجتاحوا جبال نفوسة وفى شهر شوال ٦٠٣ هـ / أبريل ١٢٠٧ م أقام على إفريقية أبا محمد عبد الواحد الحفصى وعاد إلى المغرب .

وقد شمر أبو محمد عبد الواحد الحفصى الهنتاتى عن ساعد الجد وخاض مع يحيى

بن غـانية ومن انضم إليـه من عرب بنى هـلال من رياح وعـوف وهيب معارك متوالية فى سنوات ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ هـ وكـانت كبراها سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م وكـانت معركة حـاسمة فى جبل نفـوسة استلحم الألـوف منهم وقتل سماد بن نخيل أمير بنى قـرة وشيخ الزواودة محمد بن مسعود وابن عمه حركات بن الشيخ ومحمد بن غانية وجرار بن يفرن كبير قبيلة مغراوة البربرية وغيرهم .

واستمـر أبـو محمد عبـد الـواحـد بن أبى حفص فى أعمال تأمين إفـريقيـة من أولئك المفسـدين وفى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م زار طرابلس وأمـر بإنشاء سـور لـها يحيط بـه فصيل .

وتوفى محمد عبد الواحد الحفصى سنـة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م وخلفه أبو العلا إدريس ابن يوسف بن عبد المؤمن فجد فى تتبع يحيى بن غانيـة فطرده من ودان وهزمه فى سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م فى معركـة كبيـرة قـرب تـونس فقـد فيها ابن غانيـة كثيرًا من قـومه وسلاحه وعدته .

وقد روينـا كيف استقل أبو زكـريا الحفصى بإفـريقية (٦٢٥ ـ ٦٤٧ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٢٤٩ م) وكيف جد فى القضاء على بنى غانيـة حتى قضى على آخرهم إسحاق بن يحيى ابن غانيـة سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م فى صـورة حزينة أسيفة وقـد روينا كيف قامت حـركة الطوارق كبقية لهذا التمرد الصنهاجى الطويل ضد الموحدين .

طرابلس فى عهد الدولة الحفصية ٦٢٥ ـ ٩٨١ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٥٧٣ م

درسنا فيما سبق تاريخ الدولة الحفصية الطويل ونريد الآن أن نتتبع تاريخ طرابلس فى ظلها وبهذه المنـاسبة لابـد أن نلاحظ أن جزءى ليبيـا الآخرين هما بـرقة وفـزان يختفيان عن أعيننا بين الحين والحين وليس فى ذلك كبير ضير فإن بـرقة كانت معظم الأمـر غير واضحة

التبعية أما فزان فكانت مركزًا تجاريًا قليل الثروة فلم تجتذب أنظار المؤرخين ، ثم إن الحوادث التى وقعت فيها خلال هذه الفترة قليلة الأهمية ، فيما يبدو .

وقد رأينا فيما روينا من تاريخ الدولة الحفصية أن الخليفة المستنصر الموحدى كان قد أقام عبد الله عبو ثانى أبناء الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص على تونس ، وأخاه أبا زكريا يحيى ابن الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص على قابس وأن الخلاف وقع بينهما بعد قليل ومال الجند إلى أبى زكريا فزحف بهم على تونس ودخلها سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٥٩ م وأن أبا زكريا انتهز فرصة ضعف الموحدين أمام بنى مرين وأعلن نفسه أميرًا على تونس فى السنة نفسها وظل أميرًا عليها حتى سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م وهو مؤسس الدولة الحفصية التى تبعتها طرابلس .

وكان الأمير أبو زكريا ـ كما رأينا ـ أميرًا همامًا قادرًا وقد عظم أمر دولته فى إفريقية ومد سلطانه على جزء كبير من المغرب الأوسط وبَعُدَ صيته حتى بلغ الحجاز فأعلن نفسه خليفة .

وكانت طرابلس فى حاجة إلى أمير قادر كهذا فهى ولاية واسعة ولكنها قليلة الموارد وكان أهلها على جانب كبير من النشاط والقدرة فاطمأنوا إلى الأمير أبى زكريا وأقبلوا على العمل ليعرضوا ما أصابهم على أيدى العربان وقراقوش وبنى غانية فصدق ولاؤهم لأبى زكريا الحفصى ، وولى أبو زكريا عليها رجلاً يسمى أبا يعقوب بن أبى يعقوب الهرغى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ولكن هذا الرجل لم يكن صادقًا أو بعيد النظر ، ويبدو أن بعد طرابلس عن تونس أغراه فنقض بيعة أبى زكريا وأحب أن يستقل بطرابلس ولكن أهلها الذين طالما تعبوا من المغامرين أمثاله تدابروا الأمر فيما بينهم ثم أطبقوا على هذا الرجل وقبضوا عليه وعلى آله وأنصاره وحبسوهم وأرسلوا الخبر إلى أبى زكريا فأمرهم بقتلهم ففعلوا .

وقد قدر أبو زكريا لأهل طرابلس هذا الوفاء فولى على طرابلس قاضيًا من أهل البلد هو أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الهوارى فظل على قضائها حتى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م عندما نقل إلى قضاء تونس وحل محله فى قضاء طرابلس أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغمارى ثم خلفه أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن مسلم القابسى .

وقد رضى الحفصيون عن طرابلس وأهلها فأطلقوا لهم حرية العمل فأزهرت المدينة ونشط أهلها فى صناعات البر والبحر وكثرت أموالهم وأنفقوا بسخاء فى ترميم أسوار مدينتهم حماية لها من العرب .

مرغم بن صابر الديابى وطرابلس

وكان بدو العرب كثيرين حول طرابلس وكانوا يسعون دائما فى أذاها وكان سكان بعض القرى المجاورة لطرابلس من البربر الهوارية وكان بينهم خلاف ونزاعات فطمع فيها البدو وظهر من بين هؤلاء مغامر يسمى مرغم بن صابر الديابى شيخ قبيلة المراغية فطمع فى قرية زنزور وأهلها من البربر وسعى لدى الدولة الحفصية حتى استخرج من سلطانها مرسومًا بملكية قرية زنزور سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٦ م وتملكها فعلاً ، ويحدثنا التجانى ـ فى رحلته ـ عن ذلك الأمر ويفهم من كلامه أن الرجل ملك القرية وأهلها وصار يبيعهم ويتصرف فيهم تصرف العبيد[1] ولكننا لانعرف إن كنا نقبل كلامه أو لانقبله لأن ذلك أمر لم يحدث فى أى مناسبة أخرى فى عالم الإسلام ، ثم إن البربر الهواريين مهما بلغ بهم الخلاف بين بعضهم البعض فإنهم لايقبلون هذا الوضع .

واتسعت مطامع مرغم بن صابر الديابى فتحالف مع ثائر مغامر اسمه أحمد ابن مرزوق المسيلى وكان به طموح إلى السلطان وطلب لنفسه الأمر وتسميه المراجع بالدعى

(١) رحلة التجانى ، بإشراف حسن حسنى عبد الوهاب ص ٢٠٧ ــ ٢١٨ .

واشتهر أمـره بالفضل بن مخلوع وكـان يشيع فى الناس أنه من أبنـاء المستنصر الحفصى وقد كتب مـرغم بن صابـر إلى السلطان قـلاوون فى مصر يعلن الـدخول فى طـاعته فأرسل لـه السلطان المملوكى سنجقًا أى راية وهدايا ذات قيمة وحثه على الاشتراك معه فى حرب التتار فقد كان ذلك همه الأكبر ولكن « مرغم » انتفع بكتـاب السلطان المملوكى ورايته فى تحقيق أغراضه فسار مع الفضل بن مخلـوع الذى حالفه فاقتحم الرجلان بجمـوعهما مدينة تونس على صاحبها أبى إسحـاق إبراهيم بن أبى زكريا ٦٧٦ ــ ٦٨١ هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٨٥ م ، وحكم الدعى أحمد بن مرزوق هو والفضل بن مخلوع تونس حتى سنة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨١م .

وبـدأ مرغم بن صـابـر وحليفه الفضل بن مخلـوع فى محاولـة الاستيلاء على طـرابلس وانضمت إليهما عربـان الكعوب المقيمة فى منطقة قابـس فاستطاعا بمعاونتهـم أن يستوليا على توزر وقسطيلة وقفصة وعجز السلطان إبراهيم الحفصى عن لقائهما وتمت سيطرة مرغم ابن صابر الدياب على قابس وكـذلك سيطر الدعى الفضل بن المخلوع على هذه النواحى ولكن طرابلس استطاعت أن تتخلص من مرغم بن صابـر الديابى وتحصن قائدهـــا محمد ابن عيسى الهنتاتى بأسوارها ، ولكن الـدعى لم يستطع السيطرة على المدن التى ذكرناها من تونس وانتهى الأمر بـانتصار عمر بن أبى زكريا وقُبِضَ على الـدعى وقُتِلَ وقام سلطان بنى حفص من جديد وبعث محمد بن عيسى الهنتاتى إليه بطاعته .

وأما أبو الوفا مرغم بن صـابر فقد وقع أسيراً فى أيدى الصقليين فى إحدى غاراتهم على نواحى طرابلس سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م . فباعوه لملك أرغون البرشلونى وانتهى أمره بأن عاد إلى قبيلته بنـى دياب وتخلصت منه طرابلس بفضل سـورها الذى عادت تقـويه وتشد بنيانه من سنـة ٧٠٦ هـ/ ١٣٠٦ م ، وحاول أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحيـانى الاستعانة بطرابلس فى إدراك السلطنة فى تونس فلم يستطع .

ونحن لم ندخل فى تفاصيل الأحداث ولكننا رأينا أن طرابلس كانت خلال الفترة التى

روينا تاريخها من الـدولة الحفصية فى حالة اضطراب وعدم أمـان ، أما تفاصيل الأحداث فكثيرة ومعقدة ولا جدوى فى ترديدها بعـد أن رواها غيرنا (انظر د. عبد اللطيف البرغوتى ص ٣٩١ ومايليها).

وفيما بين سنتى ٧٢٤ ــ ٨٠٣ هـــ/ ١٣٩٤ ــ ١٤٠٠ م خضعت طــرابلس لقبيلـة الجوارى الوشـاحيين ، وهـم من وشاح بن عامـر بن دياب بن مـالك بن سليم بن منصور ولكن أمرها لم يستقـر فى ظل الأمة العربية وظلت معـرضة للأخطار وكان ذلك فى عهـــد أبى فـارس عبـد العـزيز المتـوكل بن أحمد (الثـانى) وهـو السـابع عشر من ســـلاطين الحفصيـــين (٧٩٦ ـ ٨٣٧ هـ/ ١٣٩٤ ــ ١٤٣٣ م) وقد ذكـرنا فيما سبق أن حكم أبى فارس عبد العزيز المتوكل وسابقه أبى العباس أحمد الثانى المستنصر يشكلان العهد الذهبى الثانى لعصر بنى حفص ، ومعنى ذلك أن طرابلس لم تظل طويّـلا على حال الأمان الذى استمتعت به فى حكم واليهـا الكفء أبى محمد عبد الواحـد بـن حفص الذى ولاه عليها أبو فارس عبد العزيز وكما تدهورت إفريقية فى عهد الحفصيين تدهورت طرابلس ، وانتهى الأمر بأن استولى عليها الأسبان سنة ٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م .

طرابلس تحت حكم الأسبان

٩١٦ ـ ٩٣٦ هـ / ١٥١٠ ـ ١٥٢٩ م

بعـد أن استـولى الأسبان على صخـرة الجزائر واحتلـوا المدينـة وبقية السـاحل ومـدوا سلطانهم على تونس وأصبح الحفصيون أشبـه بعملاء لهم ، طمحت نفوسهـم إلى الاستيلاء على طـرابلس وكان شـارل الخامس قد قـرر انتزاع السـاحل الأفريقى الشمالى تمهيـدًا لنشر المسيحية فى البحر المتوسط كله ، وكان شارل الخامس وابنه فيليب الثانى يحاربان المسلمين بروح صليبية ، ومن حسن الحظ أن الدولة العثمانية كانت إذ ذاك فى أوجِّها فى أيام سلطانها

سليمان القانونى ، وهو ورجاله هم الذين تصدوا للأسبان وأنقذوا الشمال الإفريقى كله من أيديهم فيما عدا المغرب الأقصى الذى استطاع أن يحافظ على استقلاله وإسلامه منهم على ماروبناه .

وقد استعد الأسبان للاستيلاء على طرابلس استعدادًا عظيمًا ويبدو أن فيليب الثانى ورجاله قد تصوروا هذا البلد أقوى وأغنى مما كان عليه فى الواقع ، فجهّزوا مائة وعشرين سفينة وانضمت إليها سفن من مالطة وتكوّنت الحملة من خمسة عشر ألف جندى أسبانى وثلاثة آلاف من الإيطاليين والمالطيين وأقلع هذا الأسطول من « فافينيانا » بصقلية فى ربيع الأول ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م ووصل إلى طرابلس وهاجمها بكل عنف ، وكان يقود رجاله دليل صقلى يسمى يوليانو أبيلا Guiliano Abella ورغم قلة ماكان لدى المدينة من الجنود وآلة الحرب فقد قاومت مقاومة عنيفة ، واستخدم أهل طرابلس النار والحجارة ، واستشهد منهم خمسة آلاف ووقع فى الأسر ستة آلاف آخرين ، ولكنهم أصابوا من المهاجمين كثيرًا وقتلوا عددًا من قادة الجيش ، واضطر من بقى من سكان البلد إلى التسليم وهرب منهم أكثر من ستة آلاف إلى بلاد داخلية مجاورة مثل زنزور وغريان .

وكان يقود الجيش الأسبانى بيترو دى نافارا Pietro de Navarra وبعد قليل سار الأسبان لغزو جزيرة جربة وقد لقوا من أهلها مقاومة عنيفة ، وأسرعت إلى الجزيرة أمداد أسبانية يقودها جارثيا الفاريت دو توليدو دوق ألبا Garcia Alvarez de Toledo duque de Alba ولكن الحملة فشلت فى الاستيلاء على جربة وعادت إلى طرابلس واجتهدت فى تحصينها مع أن البلد كان خاليًا تقريبًا من السكان .

ولم تعد حملة طرابلس على الأسبان بالفائدة التى كانوا يتوقعونها ، فإن البلد كان بعيدًا جدًّا عن ميدان الصراع ، ثم إن الطرابلسيين لم يكفوا قط عن المناوشة والمناجزة ، وفى ذى الحجة ٩١٦ هـ / فبراير ١٥١١ م حاولوا استعادة البلد وأمدهم سلطان تونس محمد

ابن الحسن الحفصى بقوة كبيرة ولكن المحاولة فشلت بسبب قوة تحصينات الأسبان ، ولكن زاد الشعور لديهم بقلة جدوى الاستمرار فى احتلال هذا البلد ورفض الناس فى صقلية الهجرة إلى طرابلس وسكناها رغم المساعدات التى وعدت بها السلطات أولئك الذين يرغبون فى الهجرة إليها .

والحقيقة ، أن الأسبان كانوا غير قادرين على الاستمرار فى احتلال معظم موانىء الساحل الأفريقى على النحو الذى فعلوه لأن مشاكلهم فى إيطاليا وصقلية كانت كثيرة والحروب بين شرلكان وفرانسوا الأول ملك فرنسا كانت متصلة ، وكانت فرنسا حليفة للدولة العثمانية على شرلكان ودولة الهابسبورج ، ثم إن الأتراك العثمانيين كانوا فى أوج قوتهم وقد روينا كيف دخلوا فى صراع مرير مع الأسبان فى منطقة تلمسان فى غربى البحر المتوسط .

وأخيرًا تم الاتفاق بين أسبانيا وفرسان القديس يوحنا الذين كانوا يملكون جزيرة مالطة ويقومون بحرب المسلمين من هناك ، وتم انتقال طرابلس إلى تبعيتهم سنة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م ، وجلا عنها الأسبان دون أن يحققوا أى غرض من أغراضهم ، ولكنهم على أى حال لم يتركوا البلد لأهله بل لمسيحيين أشد تعصبًا منهم .

طرابلس تحت حكم فرسان القديس يوحنا
٩٣٧ ـ ٩٥٨ هـ / ١٥٣١ ـ ١٥٥١ م

كان فرسان القديس « يوحنا » فرقة من أشد فرق المسيحيين عداء للمسلمين أثناء الاحتلال الصليبى للقدس ، وعندما استولى المسلمون على القدس بعد معركة حطين لجأت هذه الهيئة إلى عكا وجعلتها مركزًا لأعمالها سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، وفى سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م استعاد المسلمون عكا آخر معقل للصليبيين فى فلسطين ، فلجأت

هيئة فرسان القديس يوحنا إلى ليماسول فى قبرص وظلت بها حتى سنة ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م ثم انتقلت إلى جزيرة رودس وكانت فى أثناء ذلك مثابرة على مواصلة الحرب مع المسلمين بتأييد وتشجيع من البابوية وتمويل من معظم البلاد المسيحية ، واجتهد فرسان القديس يوحنا فى التعرض لأساطيل الدولة العثمانية فى البحر المتوسط ، فاضطر السلطان سليم العثمانى إلى مهاجمة رودس فى رمضان ٩٢٨ هـ/ ديسمبر ١٥٢١ م بأسطول كبير ظل محاصرًا لها ستة أشهر حتى سقطت فى أيدى المسلمين ٧ صفر سنة ٩٢٩ هـ أواخر ديسمبر ١٥٢٢ م وأذن لهم العثمانيون بالهجرة إلى أى أرض يشاءون ، فلجأوا إلى إيطاليا حيث عاشوا فى حماية البابا كليمنت السابع ، وتقدم رئيس المنظمة الفارس فيليب يطلب إلى الملك كارلوس الخامس (شرلكان) أن يمنح الهيئة جزيرة مالطة وجزيرة قوزوا لتواصل نشاطها منهما ، فوافق على ذلك ولكنه اشترط أن يأخذوا معها طرابلس ويتعهدوا بحمايتها من المسلمين فوافقوا على ذلك إذ لم يكن أمامهم إلا هذا الحل .

انظر : ابن غلبون ، التذكار ١١٥ ـ ١١٧ نقلاً عن د/ محمود عبد اللطيف البرغوتى تاريخ ليبيا ص ٤٢٧ هامش واحد .

وقبل أن يدخل فرسان القديس يوحنا طرابلس بسنة كان خير الدين باربروسا قد قرر ـ بموافقة السلطان العثمانى سليمان القانونى ـ الاستيلاء على تونس ، عندما تحقق أن دولة الحفصيين بلغت من الضعف درجة لم تعد تستطيع معها حماية تونس من الأسبان ، وفى سنة ٩٣٥ هـ/ ١٥٢٩ م خرج خير الدين باربروسا من مدينة الجزائر على رأس جيش كبير من الأتراك وهاجم بنزرت واستولى عليها ، ثم اتجه إلى تونس فهرب منها سلطانها أبو عبد الله الحسن بن أبى عبد الله محمد الحفصى (٩٣٢ ـ ٩٤٢ هـ/ ١٥٢٥ ـ ١٥٣٥ م) وكان ذلك سنة ٩٤١ هـ/ ١٥٢٤ م عندما دخل خير الدين باربروسا تونس أول مرة فلجأ سلطان تونس المعزول إلى شرلكان فأعاده سلطانا لتونس وعاملا له ، وقد سبق أن روينا ذلك فى تاريخ الحفصيين ، ثم لم يلبث هذا السلطان الحقير أن توفى ،

فخلفه فى الوضع نفسه ابنه أحمد ، وظل يحكم إلى سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م ، ولكن الأتراك العثمانيين فتحوا تونس فتحهم الثانى النهائى سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٣٠ م .

وكان أمر هذا الحسن الحفصى غريبا فقد استمسك بالعرش الذَّليل بصورة لم يسبقه إليها ولم يلحقه فيها أحد بعده ، فقد رضى بأن يكون عاملا لشارل الخامس وكان هذا الأخير يعامله على أنه خائن وضيع فى خدمته ومعاونته على أهل دينه ، بل بلغ به الأمر أن حاول الاستعانة بفرسان القديس « يوحنا » بعد دخولهم طرابلس ! .

ولم يطمئن بال فرسان القديس يوحنا فى طرابلس ؛ لأنهم كانوا يرون الأسطول العثمانى يقطع البحر المتوسط ذهابًا وعودة ويهددهم ويهدد مواصلاتهم ، ثم إن المسلمين من مواقعهم خارج طرابلس لم يكفوا قط عن مهاجمتهم ومناوشتهم ، وكان أكبر مراكز المسلمين قرية تاجورة ، ثم إن المال كان قليلاً فى يد الفرسان ، وكان الأسبان قد خَّلفوا بها خرابًا شاملاً كان لابد من إصلاحه ، ولم يجد الفرسان من حل للأزمة المالية إلا بغزو القرى الصغيرة المجاورة وفرض ضرائب عليها ، وقد فعلوا ذلك مع زنزور والمنصورية (اليوم صياد) ولماية والجشان والزاوية وصبراتة ، واستعانوا فى إرغام الناس على دفع هذه الأتاوى بأخذ أولادهم رهائن ثم إن الحسن الحفصى عميل الأسبان بعث إليهم يطلب مهادنتهم ومعاونتهم ، وعندما علم خير الدين بارباروسا بذلك أغار على طرابلس بأسطوله سنة ٩٣٧ هـ / ١٥٣١ م ، ولكن قائد الفرسان إذ ذاك وهو جاسبارو دى سانجيسا Gasparo de Sanguisa تمكن من الثبات لهم فاتجه خير الدين إلى مهاجمة نفر من العرب كانوا ينزلون قرية تاجورة ويعاونون الأسبان والفرسان فطردهم منها وولَّى عليها قائدًا من رجاله يسمى خير الدين كرمان وترك معه بعض الأسلحة والجنود والقِطَع الحربية . وقد حاول الحسن الحفصى الاستيلاء على تاجورة بمعاونة فرسان القديس « يوحنا » ولكنهم لم يستطيعوا معاونته ، وأرسل خير الدين باربـاروسا إمدادًا إلى خير الدين كرمان وطلب إلى الناس معاونته ، وبالفعل تلقى الرجل معاونات من أهل طرابلس والمسلمين فى تلك الناحية .

وحَصَّن الرجل تـاجورة واهتم بالأسطول الـراسى فيها وتقدم لمهـاجمة طرابلس وانضم إليه المسلمون من لماية وزنزور ، ونشر جنده حول طـرابلس وبنى قلعة فى الظهرة على ميل من طـرابلس ، ثم هاجم طـرابلس وكاد يستـولى عليها بعـد قتال عنيف ، ولكن شـائعة انتشرت تقول : إن خير الـدين كرمـان قد قُتِلَ فكـان ذلك سببًا فى ارتـداد المسلمين ونجاة الفرسان ، وكان قائد الفرسان يسمى جيورجيو شيلنج Giorgio Schilling .

ثم جاءتـه فى المحرم سنة ٩٤٣ هـ/ صيف ١٥٣٦ م نجدة كبيرة من أربعـة مراكب وخمسمائة وخمسين مقـاتلا منهم مـائة وخمسون من فـرسـان القديس يـوحنا ، وقـد تشجع الفرسان بعد ذلك وهاجموا قلعة الظهرة وتاجورة وسلبوا ونهبوا .

ثم عين خير الدين بارباروسـا واحدًا من خيرة رجاله وهو مراد أغـا حاكمًا على تاجورة بدلا من خير الدين كرمان الذى قتل فى الصراع .

وكان مراد أغا مقاتلا باسلا أصله صقلى من رجوسة وأسره المسلمون فأسلم ودخل فى خدمة خير الدين بارباروسا فولاه على تاجورة ، وقد استطاع هذا الرجل الثبات لهجوم على البلدة قام به الفرسان .

وفى ربيع الثانى ٩٥٣ هـ/ ٣ يونيو ١٥٤٦ م توفى خير الـدين بارباروسا وخلفه قائده ومعاونه درغوث باشا الذى اشتهر بالبسالة الفائقة والنشاط العظيم فى محاربة الأسبان حتى سموه بالشيطان .

وبدأ صراع طويل بين درغوث باشا والفـرسان فى طرابلس بمعاونة بعض أهل القرى المجـاورة لها ، ثم تمكن درغـوث من إقنـاع السلطـان سليمان القـانـونى بضرورة معـاونتـه للاستيلاء على مالطة من أيدى الفرسـان وطردهم من طرابلس ، وأعطى درغوث باشا قوة من الانكشاريـة تقدر بـاثنى عشر ألفا ، ولم يستطع درغوث الاستيـلاء على مالطـة ولكنه هاجم طرابلس وصدر أمـر السلطان إلى سنان باشا حاكم تونس بمعاونـة درغوث باشا فى الاستيلاء على طرابلس .

وكان سنان باشا رجلاً شهماً فاتفق مع مراد أغا ودرغوث باشا على مهاجمة طرابلس وبدأ الهجوم الإسلامى على طرابلس فى ٨ أغسطس ١٥٥١ وكان الهجوم عاما وقويا وكان يقود الفرسان مرشدهم جاسبارو دى فاليرز Gasparo de Vallicrs فأرسل يستغيث بالمرشد العام للفرسان فى مالطة وهو جيوفالى دى مديتشى فلم يرسل إلا شيئاً قليلاً ، وأخيراً أحس الفرسان أنهم لايستطيعون الصمود أمام الأتراك فى طرابلس فعرضوا التسليم على أن يتركوا كل أسلحتهم وعدتهم فى مقابل ضمان الأتراك لخروج الباقين من المقاتلين وعددهم ثلاثمائة ، وفى شعبان ٩٥٨ هـ / ٨ أغسطس ١٥٥١ م خرجت بقية حامية الفرسان وأنصارهم من طرابلس عائدة إلى مالطة ودخل سنان باشا البلد وعين عليها حاكماً هو مراد أغا يساعده درغوث باشا .

ليبيا فى حكم الأتراك العثمانيين
ابتداء من شعبان ٩٥٨ هـ / أغسطس ١٥٥١ م

بدخول ليبيا فى الدولة العثمانية أمنت الغزو الأجنبى وخلال الخمسين سنة الأولى من ذلك الحكم استقرت فيها الأحوال وتمكن أهل طرابلس من مواصلة نشاطهم السلمى التقليدى الذى يقوم معظمه على رعى الغنم وأقله على التجارة بالبر والبحر ، والطرابلسيون تجار مهرة فتمكنوا فى الزمن القصير من إعادة مدينتهم إلى الازدهار القديم ، وكان الأتراك قد طبقوا فى طرابلس نظامهم التقليدى فى حكم الولايات أو الإيالات فمراد أغا هو الحاكم يتمتع بلقب البايلربك ويعاونه درغوث باشا على رأس أسطول بحرى قوى يحمى كل الموانى المغربية وتحت يد مراد أغا قوة من الجند العثمانى من الانكشارية تسمى الصنجق ، والصنجق مكون من حوالى عشرين ألف جندى ، والبايلربك يجبى من الناس ضريبة قدرها عشرة فى المائة من رءوس أموالهم وكانت هذه نسبة معقولة ومقبولة إذ هى طبقت بعدالة وكان الناس يدفعونها عن طيب خاطر ولكنها نادراً ماكانت تطبق بعدالة ،

وبعد أيام مـراد بدأ النظام العثمانى فى البلاد يتـدهور وغلب جند الانكشـارية على الناس وظلموهم وظلت الحال على ذلك حتى جاء القرمانليون .

ليبيا فى حكم القرمانليين ابتداء من ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م

يبدو أن مؤسـس هذه الأسره أحمد باشا القرمـانلى كان من القولوغليـة أى الهجناء من أب تركى وأم مغربية وكان قائدًا للجند وقد انتهـز فرصة غياب البايلربـك التركى محمـد أبو أميس باشـا وأعلن نفسه واليًا واستعان فى ذلك بتأييد أهل البلد ، وقـد أرسلت الدولة قوة عسكرية يقـودها خليل باشا ولكن أحمد القرمانلى انتصر عليه فى زواغـة ، وعندما عاد محمـد باشـا أبـو أميس لحربه سنـة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م تمكن من شرائه والاتفاق معـه وتـوسط له هـذا لدى السلطـان أحمد الثالث فأصـدر له فـرمانًـا يجعله بـايلربك وحـاكما لطـرابلس وتمكن من إخماد ثـورتين فى تاجـورة وسـلاتة ، ثم قضـى على ثورة قـام بها رجل يسمى عليًّا الصنهاجى ، ثم استولى على برقة وولى عليها أخاه الحاج شعبان بك .

وبعد أن استقر الأمـر لأحمد القرمانلى اهتم بأسوار طرابلس وتحصينـاتها فرمم الأسوار وأعاد بناء بـرج المندريك وأنشأ إلى جوار بـاب المنشية المسجد الذى سمى بـاسمه ، وكان الغزو فى البحر فى أيامه نشيطًا ، وفى سنـة ١١٤٢ هـ / ١٧٢٨ م قذف الفرنسيون طرابلس بالقنابل ثم عقدوا معها معاهدة سلام سنة ١٧٦٦ م .

وخلفه فى حكـومة ليبيا ابنـه محمد بـاشا سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ ـ ١٧٤٦ م ، وفى أيامه اتسع نشـاط الغزو فى البحر واضطرت انجلترا إلى توقيع معاهـدة صلح معه . وتوفى سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ ـ ١٧٥٤ م وخلفه ابنه على باشا .

وفى أيام على بـاشا هذا بـدأ الحكم القرمـانلى فى التدهور فكثـر العدوان على الأنفس والأموال ، وكثر تمرد الجنود وعدوانهم على الناس وأخذ الناس يستغيثون بالباب العالى ووقع الخلاف بين أولاد على بـاشا وبلغ إلى حـد أن ابنه الثـالث يـوسف أرسل من اغتال ابنـه

الأكبر « حسن » فقتل أمام أمه سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٠ م ، ثم استعان يوسف بالشيخ خليفة بن محمود صاحب جبل نفوسة وجمع إلى نفسه العرب والبربر ، وأعلن الثورة على الأتراك ، وفى أثناء ذلك قام رجل مغامر من الأتراك يسمى على برغل كان يعمل قبل ذلك فى وجاق الجزائر وهاجم طرابلس محاولا الاستيلاء عليها .

فى مواجهة هذا الخطر عاد القرمانلية إلى الاتحاد وتوحيد صفوفهم وكتبوا إلى حمودة باشا بايلربك الجزائر واعترفوا بذنبهم وطلبوا العودة إلى طاعة السلطان ، وبعد اضطرابات كثيرة تمكن أحمد بك القرمانلى من أن يعلن نفسه حاكما على طرابلس ، ولم يلبث أخوه يوسف بك أن حل محله سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٦ م وحصل من السلطان سليم على فرمان بولاية طرابلس .

وتبين بعد ذلك أن يوسف باشا أقدر من تولى أمر طرابلس من القرمانلية ، وقد بدأ بترميم أسوار البلد وإكمال تحصيناتها وتمكن من إرغام السويد على أداء إتاوة لطرابلس سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م ، وتمكن هذا الرجل من محالفة نابليون بونابرت ضد البرتغال التى كان أسطولها يرمى طرابلس بالمدافع ، ثم دخل يوسف باشا فى نزاع مع الولايات المتحدة سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ م فأرسلت ضده الحملات البحرية واضطرته إلى قبول الصلح ، ولكنه عاد إلى العدوان على السفن فاجتمع عليه عدد من البلاد الأوربية واستعانوا عليه بأخيه والى جربة ، وتوالت الثورات عليه فى الداخل واستقلت عنه فزان بقيادة عبد الجليل ابن غيث ، ثم تجمع عليه أهل طرابلس وأعلنوا عليه ثورة عامة وتمكّن أعداؤه من عزله وتولية الأمير محمد من أسرة القرمانلية نفسها ، ولكن هذا الأخير لم يرضَ عنه الناس وانتهزت الدولة العثمانية الفرصة وأرسلت ـ بمعاونة انجلترا ـ حملة يقودها نجيب باشا واستعادت طرابلس فى المحرم سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م . أما يوسف القرمانلى فقد مات بعد ذلك بعد أن قضى السنوات الأخيرة من عمره شبه أسير فى بيته ، وانتهى أمر القرمانلية فقد أسر العثمانيون على القرمانلى ومات فى الآستانة ، وأما محمد القرمانلى فقد انتحر ، وعادت ليبيا إلى العثمانيين .

الحركة السنوسية فى ليبيا ابتداء من سنة ١٨٣٧ م

ليس هذا التاريخ الذى ذكرناه فى العنوان هو تاريخ ميلاد الحركة السنوسية فى ليبيا ، وإنما هو تاريخ ميلادها فى الحجاز ، فإن محمد بن على السنوسى ـ كما سنرى من تاريخ حياته ـ أقام سنوات طويلة فى الحجاز وجاور فى مكة دهرًا ، وفى أثناء هذه الإقامة اختمرت فى ذهنه ونضجت فى قلبه فكرة إنشاء الطريقة الصوفية السنوسية ، والتف حوله المريدون وأنشأ الزاوية الأولى لطريقته على جبل قبيس سنة ١٨٣٧ م فاعتبرنا هذا التاريخ تاريخ ميلاد الحركة الصوفية كلها .

والسنوسية طريقة صوفية تنتمى إلى ماسميناه بالصوفية المجاهدة ، فإن الحركة الصوفية فى الإسلام تتوزع فى أربعة فروع :

الأول: هو الصوفية الفكرية ، وهم جماعة الصوفيين الذين اكتفوا بالزهد فى الدنيا وابتكار الآراء الصوفية التى تقرب من الفكر الفلسفى ، وهذه هى صوفية عبد الكريم القشيرى ومحيى الدين بن عربى وابن سبعين ومن إليهم من الزاهدين المسلمين أصحاب المؤلفات المشهورة مثل الفتوحات المكية ، وهذه المؤلفات استغراق فى الفكر الزهدى الإسلامى ، ولكنه اتجاه يقتصر أمره على الزاهد نفسه فهو لا يكوّن مذهبًا أو مدرسة أو طريقة وإنما هو زاهد مفكر مستغرق يعجبنا بشطحاته وأفكاره ولكنه لايترك فى عالم الإسلام أو تاريخه أثرا واضحا إلا فى مجالات الفكر .

والفرع الثانى : هو الصوفية العاملة ، وهو اتجاه صوفى ابتكره أحمد الرفاعى العراقى صاحب الطريقة الرفاعية المنتشرة فى العالم الإسلامى كله ، وكان الرفاعى يرى أن الزهد مع الانزواء عن الناس والتفرُّغ للعبادة لا يجدى؛ لأن الزاهد على هذه الطريقة لاينفع أحدًا ولا نفسه ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الكسل والانزواء والانقطاع عن الدنيا وقال مامعناه : « إن صبر المسلم على مجالسة المسلمين ساعة خير من عبادة عام » ولهذا فقد كانت الرفاعية دائمًا فى خدمة المسلمين وخاصة الأيتام والأرامل والضعفاء وكان الرفاعى نفسه جوالاً

يبحث عن المحتاجات إلى العون خاصة فيعينهن ويأخذ بيدهن وكان يقول : إن هذا يكمل العبادة وكان يرى فى خدمة المحتاجين من المسلمين عبادة وقربة من الله سبحانه وتعالى .

والنوع الثالث : من الصوفية الداعية ، ومؤسسها هو أبو مدين شعيب عميد صوفية المغرب وهو جزائرى عاش ودعا فى غربى الجزائر ودفن بعد موته فى قرية العبّاد ، وأكبر تلاميذه هو أبو الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الشاذلية المعروفة ، وقد قضى الشاذلى حياته يطوف فى عالم الإسلام ويدعو الناس إلى الطريق المستقيم ، وهو أول من دعا إلى إنشاء الزوايا فى الجهات النائية وعلى الطرق الصحراوية للدعوة إلى الإسلام ومعاونة المسلمين ، ومن أكبر تلاميذ المدرسة الشاذلية القادرى صاحب الطريقة القادرية والتجانى صاحب الطريقة التجانية ، والجزولى صاحب الطريقة الجزولية .

والفرع الرابع : هو فرع الصوفية المجاهدة ، وهى طرق صوفية محاربة تعتبر الجهاد فى سبيل الله والاستشهاد أعظم أعمال العبادة وقد خصصنا فى هذا الكتاب فصلا عن عصر الزوايا وتكلمنا فيه عن أقطاب الصوفية المجاهدة فى المغرب الأقصى مثل محمد العياشى وزاوية « الديلة » وزاوية « بوحسون » السملالى وفصلنا أمر جهاد هؤلاء فى سبيل الإسلام وقلنا إن هؤلاء الصوفيين المجاهدين هم الذين مهدوا لقيام دولة الشرفاء فى المغرب الأقصى وخاصة الدولة الشريفة العلوية الفلالية ، فهى التى تزعمت حركة الجهاد فى سبيل الإسلام واستندت إلى نسبها الشريف فى القضاء على زاوية « بوحسون » السملالى وزاوية « الديلة » وأقامت دولتها الشريفة على أنقاض هاتين الحركتين .

ومحمد بن على السنوسى كان يجمع بين اتجاهى الصوفية الداعية والصوفية المجاهدة ففى الفترة الأولى من فترات نشاطه كان صوفيًا داعية يهتم بالدعوة إلى الإسلام وإنشاء الزوايا فى الجهات النائية وعلى الطرق الصحراوية ، وقد لقيت طريقته نجاحا عظيمًا ونشرت الإسلام نشرًا واسعًا فى جنوبى ليبيا وزحفت به فى الصحراء جنوبًا وجعلت مقرها الجغبوب

ثم الكفرة وأنشأت عشرات الـزوايا فى هذه النواحى وكثـرت زواياها فى فزان وكـوار فربطت فزان بليبيا ربطًا قويًّا ، وقد رأينا أن القرمانلية هم الذين ربطوا فزان بليبيا ربطًا سياسيًّا قويًّا ، ولكن السنوسية هم الذين أحكموا هذا الـربط ؛ لأن القرمانلية ابتداء من حكم يوسف القرمانلى انصرفوا إلى السيـاسة وأعمال الغزو فى البحر فدخلوا فى إشكـالات سياسية خطيرة مع فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة وفصلوا أنفسهم عن الدولة العثمانية فأصبحت ليبيا فى القـرن الثامن عشر مثـالاً للـدولـة غير النظاميـة المنصرفـة إلى النهب والسلب ، وفى ذلك العصر انفصلت فزان عن ليبيا وحكمها الكانميون وأصبحـت جزءا من إفريقية الإسلامية المدارية ، فلما جـاء السنوسيـون أكثروا من إنشاء الـزوايا فى فـزان وكوار ونـواحى الصحراء وكسبت هذه الزوايا السنوسية ثقة الناس فقد كانـت الزوايا مدارس إسلامية تدعو للإسلام وتعلم الناس أصـوله ، وكان لكل زاويـة شيخ حولـه نفر من المجيدين المخلصين لـدعوة الإسلام ، وكانت الزوايا أيضًا مـراكز تجارية ، وليس معنى ذلك أنها كانت تعمل بالتجارة بل المراد أنها كانت محطات وملاجىء أمان للتجار الراحلين من الشمال الإفريقى إلى إفريقية المداريـة وللتجار الأفـارقة ، وكـان شيخ الزاويـة يقوم بتنظيم العـلاقات بين تجار المغـرب والتجار الأفارقة ويجريها على شرع الإسـلام ، فإذا لم يكن التاجر الإفريقى مسلمًا أسلم على يد شيخ الزاوية حتى يضمن لنفسه ولأمواله الحماية .

هذا إلى أن شريعة الإسلام ضمنت للتاجر الإفريقى سلامة أمواله وصحة الأحكام فى شأن معامـلاته وبهذه الطريقـة كان للطـريقة السنوسيـة أثر بعيد جـدًّا فى نشر الإسلام فى الجزأين الأوسط والشرقى من الصحـراء الكبرى ، وإلى السنـوسية يـرجع الفضل فى عـودة فزان إلى ليبيا وارتباطها بها ارتباطًا عضويًّـا سياسيًّا ، هذا إلى أن السنوسية تحولت إلى طريقة صوفية مجاهدة عندما تعرضت ليبيا لأخطار الغزو الاستعمارى الأوربى النصرانى ، وعندما غزا الإيطاليون ليبيا سنة ١٩١١ تحولت السنوسية إلى صـوفية مجاهدة ومن مركزها فى الكفرة قادت الجهاد ضد الإيطـاليين ، ومن صفوف السنوسيين ظهر المجاهـد عمر المختار الذى قام بأعمال باهرة من البطولة الإسـلامية فى محاربة الإيطاليين حتى استشهد على أيديهم على

ما هو معروف ، وفى هـذه الفترة من جهاد السنوسية للإيطاليين اجتهـد هؤلاء حتى ضموا واحة الجغبوب المصريـة إلى مستعمرتهم الليبية فانتقل السنوسية إلى واحـة الكفرة فطاردهم الإيطاليـون إلى هناك فانتقل محمـد بن إدريس السنوسى شيخ الطريقـة إلى مصر ورعته مع أنصـاره الحكـومة المصريـة ، فلما قـامت الحرب العـالمية الثـانيـة انضم محمـد بن إدريس السنوسى إلى الحلفاء وعـاونهم وكذلك قام رجال الطريقة السنوسيـة بأعمال جهاد مشكورة ضد الإيطاليين .

وعنـدما انتهت الحرب وجـاء وقت المفـاوضات كـان من المقـرر أن تصبح ليبيا دولـة مستقلة وتفاوض الحلفاء مع محمد بن إدريس السنوسى الذى انتقل إلى طرابلس وانضم إلى نفر من زعماء ليبيـا منهم بشير السعداوى ونفر من المصريين فى أعمال المفـاوضات ، وأصر السنوسى على أن تكون مملكة ليبيا مكونـة من طرابلس وبرقة التى أصبحت تسمى بنغازى وفزان ، وأيده فى ذلك المستر أدريان بلت مندوب الأمم المتحـدة فى وجه المطامع الفرنسية التى كانت نطالب بفزان لضمها إلى تشـاد ولكن السنوسى انتصر فى النهاية واستقلت ليبيا واعترف بها ودخلت الأمم المتحدة وتولى عرشها محمد بن إدريس السنوسى ومن سوء الحظ أنه كـان قد أسنَّ وعجـز عن العمل فتولى الأمـور نفر من الليبيين وجهت إليهـم انتقادات كثيرة وخاصة بعدأن ظهر البترول فى ليبيا وبـدأت تتحول إلى دولة غنية تحتاج إلى إدارة زكية قادرة كما كانت الحال مع دول الخليج العربى ، وهـذه هى الأسباب التى شجعت نفرًا من الضباط على القيام بانقلاب الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ بزعامة العقيد معمر القذافى ، ومع أن الملك محمـد بن إدريس السنـوسى لم يكن خـائنًا ولايمكن تـوجيـه نقد جـاد إليـه فإن الضباط الليبيين عزلـوه وشكلوا حكومة ضباط ثـورية على طراز الثورة التى قـادها الضباط الأحرار ثم جمال عبد النـاصر فى مصر ، وكان القذافى من تلاميذ عبد النـاصر وقد سار فى طريقه ، ثم اتجه هـو وأنصاره اتجاهًا خاصًّـا ومعروفًا ولكن دراسته تخرج عن مـوضوع هذا الكتاب لأننا نقف به عند الغزو الإيطالى لليبيا سنة ١٩١١ .

وبعد هذا الكلام الموجز عن الطريقة السنوسية وأثرها الجليل فى تاريخ ليبيا ، ندخل فى شىء من التفاصيل عن منشأ هذه الحركة وتاريخها إلى الغزو الإيطالى .

وذكرنا كيف أنشأ محمد بن على السنوسى الطريقة السنوسية وأقام أولى زواياها على جبل قبيس شرقى مكة ١٨٣٧ ، وقد تأثر فى إنشاء هذه الحركة بالحركة الوهابية التى دعت إلى التحرر من الأوهام والخرافات التى كثرت فى العالم الإسلامى وأبعدت المسلمين عن الطريق الإسلامى القويم وقد نجحت الحركة الوهابية نجاحًا عظيمًا وقامت على أساسها الدولة السعودية التى تعتبر من أهم أحداث النهضة العربية فى العصر الحديث وخاصة بعد أن تولى الملك عبد العزيز عبد الرحمن آل سعود الذى جعلها من أعاظم دول العالم العربى ووسع نطاقها حتى شملت الجزيرة العربية فيما عدا اليمن وعمان وبقية دول الخليج العربى .

وعاد محمد بن على السنوسى إلى ليبيا واستقر فى برقة وهناك أنشأ أول زاوية سنوسية فى قرية رفاعة جنوبى برقة ، ثم أنشأ زاوية البيضاء وأساس الطريقة الصوفية التزام الإسلام الصحيح والبعد عن الخرافات والأوهام ، ومن المعروف أن أصل محمد بن على السنوسى من غربى الجزائر واسمه الكامل محمد بن على السنوسى المهاجرى الحسنى الإدريسى فهو إدريسى شريف وقد ولد سنة ١٧٩١ فى قرية طرش قرب مستغانم فى دوار الخطاطبة فى منازل قبيلة سيدى أولاد الزناتية التى روينا تاريخها ، وبعد أن أسس محمد بن على السنوسى الزاوية الثانية فى البيضاء قرب درنة والجبل الأخضر أنشأ زاوية ثالثة فى تمسة ثم أنشأ زاوية الجغبوب وكانت تابعة لمصر فى أيامها سنة ١٨٥٥ ، وانتقل إليها وسكنها مع جماعة من مريديه وكان فيهم الكثيرون من الرقيق المحررين وهناك توفى فى الوقت نفسه .

وخلّفه ابناه محمد المهدى السنوسى الذى ولد سنة ١٨٤٤ وتوفى سنة ١٩٠١ ومحمد المهدى الشريف الذى ولد سنة ١٨٤٦ وتوفى سنة ١٨٩٦ .

فأما الابن الأكبر فقد أنجب ولدين : محمد بن إدريس السنوسى الذى ولد سنة

١٨٨٣ وهو الـذى تولّى قيـادة الحركة وأصبح أمير السنوسيـة سنة ١٩٠٩ وقـد بذل الأمير محمد جهـدًا كبيرًا فى إنشاء الزوايا ونشرهـا فى كل نواحى ليبيا وفزان خـاصة حتى بلغت فى أيامه مئات ، ولهذا فعندما جاء الغزو الإيطالى سنة ١٩١١ فضل هذا الرجل البقاء فى ليبيا والتفاهم مع الإيطاليين حتى يحافظ على الحركة وزواياها فلا يعصف بها الإيطاليون ، وعقد مع الإيطاليين معاهدة بهذا المعنى استمر العمل بها من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٣ .

أما أخوه الرضا ـ ولم يكن أميرًا ـ فقد أنجب ستة أولاد ، تصدى واحد منهم وهو أحمد الشريف لمعارضة عمّه ، وقد ولـد سنة ١٨٨٠ وادعى زعامة الحركة من ١٩٠١ إلى ١٩٢٥ وقد انضم أحمد الشريف إلى الأتـراك ، وذهب إلى القسطنطينية ، نصب نفسه عـدوًّا لعمه محمـد بن إدريس السنـوسى ، وتـزعم ابتـداء من سنـة ١٩٢١ حركـة المعـارضـة للحكم الإيطـالى . وكـان لهما أخ ثالث هو محمـد العابد الـذى قام بثورة على الفـرنسيين فى فزان ، وتبعه فى ذلك أخواه الرابع والخامس وهما سيدى على الخطـابى وسيدى صفى الدين الذى عينه الإيطاليون سنة ١٩٢١ رئيسًا لبرلمان أنشأوه فى بنغازى .

وفى سنـة ١٨٩٥ انتقل مركـز الحركـة السنـوسية المنـاوئة لـلإيطاليين إلى الجغبـوب فى الأراضى المصريـة ، ظلت هناك حتى أحس رجـالها أنهم غير آمنين هناك ؛ فـانتقلوا سنـة ١٨٩٥ إلى الكفرة ثم إلى جـورو سنة ١٨٩٩ ثم عادوا إلى الكفرة سنـة ١٩٠٢ . وفى مابين سنتى ١٨٥٤ و ١٨٨٤ ارتفع عـدد الزوايا من ٢٢ إلى ٣٠ وعنـدما انشق البيت السنـوسى على نفسه أصبحت بعض هـذه الزوايا تـابعة لمحمد بن إدريس السنـوسى والبعض الآخر لمعارضى الإيطاليين . ولكن جميع الزوايا تسير فى الخط الذى رسمه محمد بن على السنوسى وكلهم يحفظون أوراده ويرددون أحزابه مثل ورد السلسبيل المعين وورد الطرائق الأربعين .

وعلى الرغم من انشقـاق البيت السنوسى على نفسه فإن أحدًا لا ينكـر أن السنوسيين هم الذين وضعوا أسـاس ليبيا الحالية ، فإن الحركة السنوسية كانـت الأساس الذى قامت عليه الدولة الليبية الحديثة ، وإن الزوايا السنوسية التى امتدت على المساحات التى ذكرناها

هى التى جمعت أجزاء ليبيا بعضها إلى بعض ، وجعلتها تتكوّن من الأقاليم الثلاثة التى تتكون منها اليوم ، ثم إن محمد بن إدريس السنوسى الذى فضل الإقامة فى ليبيا ومهادنة الإيطاليين كان صاحب الفضل فى المحافظة على الحركة والحيلولة بين الإيطاليين والقضاء عليها ، فى حين أن أبناء أخيه الذين قاموا بالمقاومة على الأرض الليبية وقيادة الثورة على الإيطاليين أو أقاموا فى الآستانة منضمين إلى الدولة العثمانية هم الذين نبهوا الأذهان إلى ليبيا وضرورة تخليصها من الاستعمار الإيطالى ، وقد ساهم مجاهدون من العالم العربى كله ـ وخاصة من مصر ـ فى هذه الحركة القومية .

وكان محمد بن إدريس السنوسى ـ نتيجة لإقامته فى ليبيا ومهادنة الإيطاليين ـ صاحب الفضل فى المحافظة على ليبيا ؛ فقد انضم إلى الحلفاء بعد نهاية الاحتلال الإيطالى وعمل معهم على إقامة الدولة الليبية المستقلة ، وعلى الرغم من أنه كان إذ ذاك عليلاً كبير السن فإنه كان سياسيًّا عاقلاً ، وقد استطاع فى النهاية أن يحقق وحدة ليبيا وينشىء الدولة الليبية بحدودها الحالية بعد الحرب العالمية الثانية .

هذه كانت دراسة شاملة تاريخية عن ليبيا ، فنقدِّم هذا العمل خدمة لله سبحانه وللباحثين والدارسين .

والله ولى التوفيق ، ،

بقلم :

د/ محمد زينهم محمد عزب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدلله الذى فضل الإنسـان على كثير ممن خلق تفضيـلاً ، وجعل من وعه خلاصة الأفراد ، وأوضح لهم سبيل الـرشاد تفضيلاً ، أشكره شكراً جزيلاً إصلى على خير خلقـه ، وآله بكـــــرة وأصيـلاً وبعـد ، فيقول العبـد الحقير لمعترف بالعجز والتقصير أحمد بن حسين بن محمـد الأوسى الأنصارى غفر الله ه ذنبه وستر بمحض فضلـه قصوره وحوبه ، هـذا تقييد يشتمل على ما وقفت عليه من تراجم من كان بطرابلس من المحـدثين الأفاضل وأكابر الأئمة الأماثل والأولياء والصلحاء ذوى الفضـائل سميته (بالمعجم والبيان فى تـراجم من كان بها من الأعيان) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدلله الذى فضل الإنسـان على كثير ممن خلق تفضيـلاً ، وجعل من
وعه خلاصة الأفراد، وأوضح لهم سبيل الـرشاد تفضيلاً ، أشكره شكراً جزيلاً
إصلى على خير خلقـه ، وآله بكـــــرة وأصيـلاً وبعـد ، فيقول العبـد الحقير
لمعترف بالعجز والتقصير أحمد بن حسين بن محمـد الأوسى الأنصارى غفر الله
ه ذنبه وستر بمحض فضلـه قصوره وحوبه ، هـذا تقييد يشتمل على ما وقفت
عليه من تراجم من كان بطرابلس من المحـدثين الأفاضل وأكابر الأئمة الأماثل
والأولياء والصلحاء ذوى الفضـائل سميته (بالمعجم والبيان فى تـراجم من كان
بها من الأعيان) .

وصف طرابلس الغرب

فأقول : إنها بلدة كريمة ، طيبة التربة مخصبة القاعة ، بسواحل قطعة إفريقية الشمالية (١) وعرضها اثنان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة معتدلة الهوى ، والجو والنسيم ، ربيعها ، وخريفها ، ومشتاها ومصيفها على قدر من الاعتدال ووسط من الحال ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر محدقة ببساتين ذات بهجة وذات جنة نضرة كثيرة الفواكه والنخل والزيتون وبجبالها معادن الفضة ، والحديد ، والفحم ، والكبريت وأنواع الأملاح ، وغير ذلك ، وضبط اسمها على ما فى القاموس طرابلس بفتح الطاء وضم الباء واللام بلدة بالمغرب أو رومية معناها ثلاثة مدن وذكر البكرى(٢) وغيره أنها بزيادة الألف قبل الطاء ، قال : وكذلك رأيت الأجدابى يكتبها حيثما وقعت فى خطه وعلى ذلك قول أحمد بن يحيى(٣) من قدماء شعرائها بقصيدة .

لقد طال شوقى إلى فتية ... حسان الوجوة بطرابلس
وقد عيل صبرى فما مسعدى ... على الشوق إلا دموعى الحبس

وأحمد بن يحيى هذا من ولد أخى على بن زياد الفقيه التونسى رحمه الله تعالى وأصل على بن زياد من طرابلس أيضا مات سنة ثلاثين ومائة وذكر بعض النبهاء أنه وقف لبعضهم على المختار فى طرابلس هذه تكتب بزيادة الألف وفى الشامية إسقاطها ، وعكس صاحب القاموس فجعل الهمزة للشامية ، وأما الكاتب المتأخر أبو الحسن بن على بن بلال(٤) فإنه سكّن لام طرابلس استناداً على ما تقرر فى اللغة العربية من جواز تغيير الأسماء الأعجمية للضرورة فقال في وترياته يخبر عن نفسه :

سرا فسرى فى سيره ولو انه ... خلا من الأوزار سار ولم يرس
سعى سعى طماح لا بعد غاية ... فكانت له دار المقام طرابلس
سيمضى ركاب العزم عنها تجردا ... لأ فضل من دانت له الجن والإنس

---

(١) هذا قول التيجانى فى رحلته المشهورة .
(٢) ورد هذا فى المسالك والممالك للبكرى .
(٣) له ترجمة مستفيضة فى ترتيب المدارك للقاضى عياض .
(٤) له ترجمة وافية فى : فوات الوفيات للصفدى .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ أخذ في التوجه إلى المشرق ليحج ووصل طرابلس فصرفه الدهر في بعض خدمتها فتكلم مدة إقامته بها بهذه الوتريات يصف اشتياقه ويطلب التخلص مما عاقه إلى أن تهيأ له السفر فانتقل عنها ، وحج وذلك سنة إحدى وثمانين ثم رجع ومات فى طريقه وهو قافل ـ رحمه الله تعالى ـ ثم قال البكرى فى مسالكه : إن (القيصر اسقاروس)[1] هو الذى بناها ، وتسمى (مدينة أناس)[2] ، وبناء جوامعها من أحسن البناء وبها أسواق حافلة جامعة ، وحمامات كثيرة فاخرة ثم قال لما تكلم على سيرة أهل طرابلس : من أحسن خلق الله معاشرة وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب .

وقال الأستاذ الكبير العارف بالله تعالى أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبى بكر العياشي[3] المغربى رحمه الله تعالى في رحلته : إنها مدينة مساحتها صغيرة ، وخيراتها كثيرة ونكاياتها للعدو شهيرة ، ومآثرها جليلة ومعايبها قليلة أنيقة البنا فسيحة الفنا عالية الأسوار متناسبة الأدوار واسعة طرفها إلى ما جمع لأهلها من زكى الأوصاف ، وجميل الاتصاف ، وسماحة من المعتاد زايدة وعلى المعافين بأنواع المبرات عائدة لاتكاد تسمع عن أحد من أهلها لغوا إلا سلاما ولو لمن استحق ملاما سيما مع الحجاج الواردين ومن انتسب إلى الخير من الفقراء العابرين فإنهم يبالغون فى إكرامهم ولا يألون جهداً في إفضالهم عليهم وإنعامهم فجزاهم الله خيراً وأعانهم وسائر بلاد المسلمين أجمعين .

وقال الإمام الكبير والطود الشهير محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن ناصر في رحلته : وبالجملة فهذه البلاد أنيقة فى بحار الجمال والحسن غريقة أعطي سكانها الشجاعة والنهاية في الحزم والبراعة أشربت قلوب الكفرة منها مهابة ما أرادهم أحد بسوء إلا والله تعالى كالملح أذابه أمطر الله عليهم سحائب الرحمة ودمر أعدائهم من سائر الكفرة والظلمة تراهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يألون فى إسدا ئهم ، وإكرامهم تسمح

---

(١) ورد فى معجم البلدان أن الامبراطور أشباروس قيصر هو الذى بنى هذه المدينة .
(٢) عند ياقوت إياس .
(٣) طبعت هذه الرحلة عدة طبعات .

ـيهم بالعطـايا وموائدهم بالهدايـا وزاد البلد حسناً ما بسـاحتها من المنشية ذات النخيل
هية والمناظـر الرائقة ، والفواكه الفـائقة يكلُّ عنها نطَّاق البيـان ، ولا يضبطها لسان ولا
ن لاسيما الأُتْرُجُّ الذى لا يوجد بغيرها له مناظر ، والليمون الذى يتخذ منه أنواع الأزهار
طيب الثياب والأبدان ولله دَرُّ القائل فى غابر الأزمان .

زارك الأحبـــاب كـن ذا ظـــرافـــهْ | وإكـــرام وقـــاك اللـــــه كل مخافـــهْ
ن ضـاقت الأخـــلاق من ذى كثـافـهْ | فقمقم نـــار الـــورد أحسن طـــرافـــهْ

وقــال ابن حــوقل فى كتاب المســالك والممالك : وأهل طـرابلس مـوقـرون من بين من
اورهم متميزون بالتجمل فى اللبـاس ، وحسن الصورة ، والقصد فى المعاش إلى مروءات
اهرة ولهم عشرة حسنـة ، ورحمة مستفيضة ، ونيات جميلة ، وعقول مســـتوية ، وحجة
ـة ، ومعاملـة محمودة ومذهب فى طاعـة السلطان شديدة ، ومحبـة للغريب أثيرة ولهم فى
غير مذاهب من طريق العصبية لا يدانيهم أهل بلد .

وقال الشريف الإدريسى فى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : وأراضى مدينة طرابلس
ديمة المثال فى إصابة الزرع ، ولا يدرى أن على معمور الأرض كلها .

وقال فى الرحلة النــاصرية أيضا : ولقد أحسن فى وصفهـا بعض المغاربـة فكانت
لله بذلك غير كاذبة .

ـــــا خليلى إن أردت السراحـــــــاً | من سجـــون الأسى ورُمت انشراحـــاً
ح الطـــــــــرف فى محاسـن روض | زاد نـــــوراً وبهجـــة وانفســـاحـــاً
ـــــد يمـــــلأ الصـــندور سروراً | ونيـل الأربـــــاح والأفـــــراحـــــاً
ل من صـــاغهـــا فـــريـــدة حسن | من رواهـــا بـــراحـــة القلب راحـــا
ا فى السُّلُـــــــــوِّ عـن كـل غـم | شـــاغل للمسىّ تفـــوق الـــراحـــا
نـق مــــــــــونـق بها وبهاء | يكسبـان القـــريح فيهـا ارتيـــاحـا
عت منظـــــرين بـــرا وبحــــرا | فـــانظـــر الموج طـافحـاً وإبطـاحـا

للشروق وللغروب بها سِرٌّ   بديع عشية وصباحاً
وهما آيتان بالعلم والقد   رة لله يشهدان صراحاً
لسواقيها للسواقى هدير   وخرير والطير تشدو صداحاً
لهما فى المساق شلل عجيب   يمتعان الأبصار والأرواحا
والبساتين نخلها باسقات   يكمل الحسن حين تبدو صلاحاً
والعناقيد درن حمرا وصفرا   كاليواقيت إن جعلن وشاحا
وصنوف الأشجار فيها صنوف   التمر كالدر حين يجلو الملاحا
لو تراها وقد تجلت بألوان   من النور حين تبدو استفتاحا
فترى حلة يلوح سناها   وشذاها الشهير كالمسك فاحا
طال ماكان للحجيج فيها مناخ   ولزوار طيبة مستراحا
وهى ثغر مبارك ورباط   من فواه بها غزا واستراحا
فهذى الخصال فاقت وراقت   وأضاءت مساكنها وبراحا
وبها طلبة كرام السجايا   لهم الجود عادة و اصطلاحا
ولهم فى العلوم فهم خير   إن جاء مشكل عن الذهن لاحا
وكفاهم جلالة حب أهل العلم   مهما استبان فاضوا سماحا
حَيُّهم عصبة بهم يحفظ الدين   ويبقى هلاله وضاحا
وارفوا الدُّحى فيلغوا الحكم   إرشادا ومنعا وواجبا ومباحا
شرف الله قدرهم ولا قفا   ل المعال أقامهم مفتاحا
وعدو لايرضيهم وهو معهم   ياله شرفا بذا الذكر باحا
وبإيضاحاته العباد سلوهم   لاح فضلهم وزاد اتضاحا
وبهم الروح والهداة وكل الخلق   صاروا الأتباع والأشباحا
درجات برفعها حضهم بعـ   ـد العلوم وزادهم إمناحا
وبنا كانت الملائك مهما   أبصروا طالبيه ألقوا جناحا
فيهم تشرف البلاد وأهل   الحب فيهم لدينهم إصلاحا

يـــاطــرابلـس زد هنــاء ويمنـــا وأمـــانـــا وعـــزة ونجـــاحـــا
قهــر الكفـر بـالجهـاد وتنـال فتحـا وفــوزاً ورفعـــة وفــــلاحـــا
واخــدمـى الـركب إن أتـــاك غــدواً واخـــدميـــه إن أتـــاك رواحـــا
حــرمـــة الله والـــرســـول عليـــه من يعظمـــه لا يخاف اجتيـــاحـــا
رحمة الله تغشـــــاك أهــــــلاً وقصـــــوراً والفحص والأدواحـــــا
وعلى المصطفـى الشفيـع صـــــلاة مـــا تجلت ريـــاض أرض لقـاحـــا
وعلى الآل والصحـــابـــة مـــا دا م المديـح يهدى انشراحــــــــــا

ثم قـال الأستـاذ محمد بن نـاصر رحمه اللـه تعـالى : والحاصل مدح البلـد ، وأهلهـا وحسن أخلاقهم ، وجـودهم سارت به الـركبان ، وعلم علمائها مـلأ الأكوان ، وفضلهم من شمس الضحى ظهـورا وأوضـح ومنـزلـة الأشراف تهجى وتمدح ، ولا التفـات لقـول العبدرى فهو فى ذلك جاهل ومفترى ، وإياه قصد والـد قاضيها المالكى فى الوقت ، وهو الأستاذ أحمد بن عبد الدايم الأنصاري بقوله :

أرى زمنـــا قـــد جـاء يقتنـص المهى بـــلا جـــارح والأســـد فى فلـــواتها
رأى القيض مبيضـا بمـزبلـة الحمى فقـــال كفـــانى أنـــه من صفـــاتها
أتـى أهلــــه يهوى وبشر أنـــــه بــــرفقـــة من ظبيـــانها ومهـــاتها
ألا أيها النحـريـر مـه عن مـدحـة فما فى الأوانى بـــان مـن قطـــراتها
طـرابلـس لا تقبل فـاتـه الـدم إنها لها حسنـــات جـــاوزت سيـــاتها
إذا أمهـــا من قـــد نـأتْـــهُ بـــلاده وأوحشـــه ذو أمـــرهـــا من حماتها
تطـــامـن عن نفـس ومـــال وعشرة ويضحى بعـــر إن أتى لجهـــاتها
فكم من ديـــور أخـربـت وكنـــائس وكم مـن حصـون حـوصرت بسراتها
وكم مـن بـلاد للصليب مـــراكـــز أحـــاطـــوا بها ليـلاً وأفنـــوا طغـاتها
وكم مـن جـوار للكــوافـر ضيقت على سفن الإســـلام من لفحـــاتها

فـاصحـت لمرسـاهـا أميرة فلكهـا وعسكـرهـا فى جيـدهـا من صفـاتها
وكـم مـن أوسـى بها ومعـارف وكـم من جنـدى على شرفـاتها
بها فضـل و الفضيـل يفـوقهـم فـوارس أنجـاد وهـم من حماتها
قـد اختـارهـاالـزروق داراً و مـوطنـا كـذا ابن سعيـد مقتـد بهداتها
تـواتـرت الأقطـاب تترى بأرضهـا وكم سيـد رام المقـام بـذاتها
بها عُلما شكل عـاملـون بعلمهم خمول عـن الإظهـار فى خلـواتها
ولم تـر غشـا ــ قط ــ فى جمع أهلهـا ولا قسماً فى بيعهـم مـن جفـاتها
إذا حـان وقت للصـلاة رأيتهـم سراعـا وخلـوا الـربح فى عـرصـاتها
بها ملك أنـدى مـن السحب راحـة وأرأف بـالأعـراب من والـداتها
لـه همة يـدعـو سنـة بحفـظ مبـانيهـا وجمع رواتها
فـلا قبح أمـاً للثغـور حنـونـة كفـاهـا مـديحا عـدكـم هفـواتها
ويكفـى لأ هليهـا مـن المدح أنها ربـاط لمن قـد قـام فى حجـراتها
وصل وسلـم يـاإلهى على الـذى هـدانـا بنـور الحق من ظلماتها
والآل والأصحـاب مـاقـال قـائل حـوارى فخبث النفس من شهـواتها

وقد وقفت لهذه القصيدة على شرح للشيخ محمد بن خليل بن أحمد بن عبد الرحمن بن غليون الطرابلسى الدار الدرينى إحالـة سماه التذكار فيمن ملك طرابلس ، أو كان بها من الأخيار مولعا فيه بما لا يناسب من الأخبار ما يلاقى ذلك للاختصار والاقتصار .

وقال الأديب أحمد بن حسين بن أحمد البهلول أيام هجرته بالجامع الأزهر :

طـرابلس الفـراق إلى عـودة إليك وهل يـدنى الذى كان قـد ذهب
سقى الجانب الشرقى منك سحـابـة ولا زال فيك من ريـاح الصبـا مهب
بـلاد لها بـالخلـد شبـه رايـة فمنهـا نبـات الـزعفـران كـذا العنب

تـرى سرحهـا من فضيـة فإذا اكتست ... بشمس الضحى أضحت لجنتها ذهب
وفى كل روض حـولها حلـةٌ حلت ... بـرؤيتهـا خضراء مـن سندس القصب
وفيهـا نخيل بـاسقـاتٌ إذا الصبـا ... تهب عليهـا أسقطت يـانع الطَّـرَب
وفيهـا من الأشجار مـا جل وصفـه ... بأوراقهـا الـورقـاء عنت من الـرطب
وفى ثغـرهـا ضفـر الـرضـاب وعينُهـا ... التى قـد سمت مـن فضـة آيـة العجب
فيـا حبـذا ثَغـر لـه النصر خـادم ... ويـا حبـذا عين بها الماء قـد عـذب
أمثل شـوقـا شكلهـا فى ضمائرى ... فسقط دمـع الشكل من شـدة العتب
بـديعـة حُسـن زادهـا اللـه بهجـة ... وأمّـن أهليهـا من الخوف والشغـب
لقـد أعجـزت أوصـافهـا كل معـرِب ... وكل الـذى أملى وكـل الـذى كتب
ولكن قصـارى مطنب القـول إنها ... تفـوق بـلاد الغـرب طـرًّا ولا عجب
ونـاهيك بـالبيـد الجديـد وسره ... وجيرتـه دار بها القلـب ملتهـب
فـلا تلمنـى إن أرق البين مقلتـى ... وكادت بى الأشـواق تفضى إلى العطب
فإن مـن الآمـاق والنص شـاهـد ... تبك الأوطـان عـن سيـد العـرب
وكيف بـدار قـد حـوت كل رفعـة ... بقـوم لهم فى العلـم بـاع وفى الأدب
ومن فضلـه بحـر طـويل ووافـر ... مـديـد مـدى الأيـام لا يعتريـه غب
هـو الـوالـد المفضـال لا زال كاسمـه ... حسينـا أخـا الحسـن لأحمد ينتسب
إمـام مـن الإحسـان أحيـا مـآثـرا ... ومن قبلـه البهلول ذو الفخـر والحسب
فيـافـالق الإصبـاح والحب والنـوى ... تمد لـه عمـرا طـويـلا بـلا وصب
سقيت أيـارَبْـعَ الأحبـة ديمـة ... تـدوم ولا زالـت بك المزن تنسكـب
فيـالك من رَبْـعٍ إذا مـا ذكـرتـه ... أهيم كما الثَّكْلى أو شـارب الحَبَبْ

وقال أبو الطيب يمدح :

لـو كـان فيض يـديـه مـاء غـاديـة ... غـزا القطـا فى الفيـافى مـوضع اليبس
أكـــارمٌ حســـد الأرض السماء بهم ... وقصرت كـل مصر عن طـــرابلس
أي الملـوك وهم قصـــدى أحـادرهِم ... وأي قـــرن وهـم سيفى وهم تـــرسى

وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة يعرف بابن خُرسان الطرابلسى(١) :

أحبـــابنـــا غير زهـــد فى محبتكم ... كـــونـى بمصر وأنتم فى طـــرابلسى
إن زرتكم فـــالمنـــايـــا فى زيـــارتكم ... وإن بهجـــر لكم فـــالهجـــر مفترسى
ولست أرجـو نجـاحـا فى زيـارتكم ... إلا إذا خـاض بحـرا مـن دم فـرسى
وإننى ورمـــاح الخط قـــد حَطمَت ... فى كـــل أروع لا واهٍ ولا نكســـى
حتى يظل عميـــد الجيش ينشـــدنـــا ... نظماً يضىء كضـوء الفجـر فى الغَلَسى
يفـدى بنيك عبـد الله حـاســدكم ... بجبهـة العير يفـدى حـافـر الفـرسى

ولو تتبعنا ما وقفنا عليه من مدحها وأهلها لخرج بنا من المقصود ، وبهذه البلد مزارات كثيرة شهيرة وأخرى خفية ومن الأول .

---

(١) وردت هذه الأبيات عند ياقوت الحموى فى معجم البلدان ٤/ ٢٦

١ـ المنيذر الصحابى رضى الله عنه(١)

قال الأستاذ العلامة أحمد المقرئ (٢) ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه نفح الطيب(٣) : فمن الداخلين إلى الأندلس المنيذر الصحابى الذى يقال : إنه روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ابن الأبار(٤) فى التكملة : المنيذر الإفريقى له صحبة وسكن إفريقية ودخل الأندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب(٥) قاله أبو محمد الرشاطى(٦) ولم يذكره أحد غيره ، روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلى انتهى .

وأنكر غير واحد دخول أحد الصحابة الأندلس ، وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال : إنه المنيذر الأندلسى .

---

(١) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الآبار ولد سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٩م ومات ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م .
له ترجمة وافية فى كتاب الحلة السيراء/ تحقيق الدكتور حسين مؤنس .

(٢) له عدة مؤلفات أخرى ورد ذكرها فى مقدمة الدكتور إحسان عباس عن حياته ومصنفاته .

(٣) طبع هذا الكتاب فى عدة تحقيقات للشيخ محيى الدين عبد الحميد والدكتور إحسان عباس .

(٤) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الآبار ولد سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م ومات سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م .
له ترجمة وافيه فى مقدمة كتابه الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس طبعة دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٨٥ م .

(٥) وهو عبد الله بن حبيب الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمى ثم المراديسى الأندلسى القرطبى ، ولد بعد السبعبن ومائة . وسمع الغازى بن قيس وغيره وحج فأخذ عن عبد الملك بن الماجشون وأسد السنة وأصبغ بن الفرج ، روى عنه بقى بن مخلد وابن وضاح وآخرون . وهو أول من أظهر الحديث بالأندلس ولم يكن بالمتقن له ، ولا يميزه ولا يفهم صحيحه من سقيمه ، ولايدرى الرجال ويقنع بالمناولة ، وكان رأساً فى مذهب مالك ، فقيهاً نحوياً شاعراً أخبار يًا نسابة طويل اللسان متصرفا فى فنون العلم .
مات سنة ٢٣٩
تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٠ ، جذوة المقتبس ٢٦٣ ، الديباج المذهب ١٥٤ ، شذرات الذهب ٢/ ٩٠ ، طبقات الفقهاء ١٦٢ ، طبقات المفسرين للداودى ١/ ٤٢٧ ، لسان الميزان ٤/ ٥٩ ، مرآة الجنان ٢/ ١٢٢ ، ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٢ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٣ ، نفح الطيب ٢/ ٥

(٦) وهو عبد الله بن على بن عبد الله بن أحمد الحافظ النسابة أبو محمد اللخمى المربى روى عن أبى على الصدفى وغيره ، له والأنساب وأوهام المؤلف للدار قطنى ولد سنة ٤٩٦ هـ ومات سنة ٥٤٢ هـ .
أنظر : وفيات الأعيان ١/ ٢٦٨ ، الصلة لابن بشكوال ١/ ٢٩٧ ، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٠٧

وذكر الحجارى(١) : أنه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير غازياً ، وقال ابن بشكوال يقال فيه : المنيذر لكونه من أحداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى(٢) .

وذكره ابن عبد البر(٣) فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة ، وسماه بالمنيذر الإفريقى وقال ابن بشكوال(٤): إن ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذكره أبو على بن السكن(٥) فى كتاب الصحابة وقال : روى عنه حديثا واحدًا ، وأرجو أن يكون صحيحاً ، وذكره ابن قانع(٦) فى معجم الصحابة له ، وذكره البخارى فى تاريخه الكبير إذ قال : أبو المنيذر صاحب (رسول الله صلى الله عليه وسلم): وكان قد حدَّث بإفريقيةعن (رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال : من قال

---

(١) وهو الإمام والمحدث حافظ الأندلس أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون الحجارى الأندلسى من وادى الحجارة . سمع على بن عبد العزيز البغوى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وكان من كبار الحفاظ عصره وفيه تشيع .
قال ابن الفرضى : لم يكن بالأندلس مثله أبصر بالحديث فيه . مات سنة خمس وثلاثمائة .
أنظر : تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٢٦ ، المقتبس ٣٩ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٦ ، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨١ .

(٢) انظر ترجمته فى : العبر ٢/ ٥٨ ، تاريخ بغداد ٣/ ٧٣ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٧ ، شذرات الذهب ٢/ ١٧١ .

(٣) انظر ترجمته فى : بغية الملتمس ٤٧٤ ، تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٨ ، جذوة المقتبس ٣٤٤ ، الديباج المذهب ٣٧٥ ، الرسالة المستطرفة ١٥ ، شذرات الذهب ٣/ ٣١٤ ، الصلة ٢/ ٦٧٧ ، اللعبر ٣/ ٢٥٥ ، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٨ .

(٤) انظر : بغية الملتمس ٢٧٢ ، تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٣٦ ، جذوة المقتبس ١٥٩ ، شذرات الذهب ٣/ ١٤٤ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٧٣

(٥) له ترجمة وافية طبقات السبكى .

(٦) هو عبد الباقى بن قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ العالم المصنف أبو الحسين الأموى مولاهم البغدادى صاحب معجم الصحابة واسع الرحلة كثير الحديث ، سمع الحارث بن أبى أسامة ومن الدار قطنى ، ولد سنة ٢٦٥ هـ ومات سنة ٣٥١ هـ .
ومات سنة ٣٥١ هـ .
انظر : العبر ٢ / ٢٩٢ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٥٣٢ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٣٣٣ ، الرسالة المستطرفة ١٢٧ .

رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً فأنا الزعيم لآخذن بيده فأدخله الجنة كذا ذكره البخارى[1] بالكنية ، وهذا الحديث هو الذى روى عنه لا يعرف له غيره .

وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد[2] فى كتاب مسند الصحابة له ، فقال : المنيذر اليمانى إما من مذجح أو غيرها وذكر الحديث انتهى ، وقبره بطرابلس لدى أهلها مشهور يتبركون به ولايختلفون فيه ، وقد وجد منقوشًا على قبر عتيق بمقبرة هذا الصحابى الجليل هذين البيتين أحببت ذكرهما وهما :

هى فى جوارك يامنيذرُ فاحمها ... ومن المروءة أن يعز الجار[3]

حاشا لفضلك يا رفيق محمد ... من أن تَمَسَّ مجاوريك النارُ

٢ ـ أبو سليمان محمد بن معاوية الحضرمى الطرابلسى[4]

من أصحاب مالك ، وله عنه سماع (ثلاثة أجزاء) قال فى رياض النفوس : قال أبو العرب التميمى . سمع من أبى معمر ومالك بن أنس بموطأه وغيرهما ، مشهور ثقة وسمع منه بكر بن حماد وفرات بن محمد .

قال أبو العرب : قال محمد بن معاوية : كان بَقِيَ عليَّ شيء من الموطأ فى كتاب الصلاة فأتيت إلى مالك ، وقد زال الناس فقال لى : من يقرأ لك ؟ قلت حبيب، وكنت قاطعتُه بخمسة دراهم ، ويقرأ الكتاب خمسًا وعشرين ورقة فقرأها لى حبيب فى مجلس واحد ، قال لى : يا حبيب لَمْ تُغْنِنِى دراهمك يا مغربى ، وقال فى معجم البلدان :

---

(١) وهو صاحب الصحيح الموثوق .
(٢) له ذكر فى ترتيب المدارك للقاضى عياض .
(٣) ورد البيتين فى المنهل العذب ٥٥ .
(٤) انظر : ترتيب المدارك للقاضى عياض ١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١ ، رياض النفوس للمالكى الجزء الأول تحقيق الدكتور حسين مؤنس .

أبو سليمان محمد بن معاوية الطرابلسى : سمع أنس بن مالك رضى الله عنه روى عنه ، حبيب بن محمد الطرابلسى ، انتهى .

٣ـ على بن زيادة الفقيه[1] أبو الحسن العبسى

شيخ المغرب أصله من بلاد العجم ، ومولده بطرابلس ، قال الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام ، كان إماماً ثقةً متعبداً بارعاً فى العلم ، رحل ، وسمع من سفيان الثورى ومالك والليث وطبقتهم ، وسمع قبل أن يرحل من قاضى إفريقية خالد بن أبى عمران فهو أكبر شيخ ، قال أسد بن الفرات ، كان على بن زياد من أكابر أصحاب مالك ، روى عنه غير واحد .

٤ ـ حبيب بن محمد الطرابلسى[2]

من أصحاب مالك وله عنه سماع ، قال فى معجم البلدان : حبيب بن محمد الطرابلسى رجل صالح فَهِمٌ ، سمع أبا سليمان محمد بن معاوية الطرابلسى وجماعة من أهل بلده روى عنه أبو مسلم والعجلى[3] ووثَّقه .

٥ ـ أبو سليمان محمد بن معاوية الطرابلسى[4]

قال فى معجم البلدان : عبد الله بن ميمون الطرابلسى ، سمع مالك عن أنس رضى الله عنه ، روى عنه حبيب بن محمد الطرابلسى ، وحبيب بن محمد رجل صالح فَهِمٌ .

---

(١) انظر : معالم الإيمان للدباغ ، ترتيب المدارك للقاضى عياض ، علماء إفريقية لأبى العرب التميمى .

(٢) انظر : رياض النفوس للمالكى .

(٣) هو الحافظ والإمام أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفى نزيل طرابلس الغرب سمع أباه وحسين بن على الجعفى ، وحدث عنه ولده صالح بمصفعه فى الجرح والتعديل . قال عباس الدورى : كنا نعده مثل أحمد وابن معين ، ولد سنة ١٨٢ هـ ومات سنة ٢٦١ هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٠ ، العبر ٢/ ٢١ ، طبقات الحفاظ للسيوطى ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٤) سبق له الترجمة

٦ ـ عبد الله بن ميمون الطرابلسى(١)

روى عن سليمان بن أبى داود القيروانى ، روى عنه أبو سهل ، عبد الصمد بن عبد الرحمن المروزى ، وكان سليمان قدم مرو وحدَّث بها سمع أبا سهل .

٧ ـ موسى بن عبد الرحمن بن حبيب العطار(٢)

أبو الأسود الطرابلسى ، قال فى معجم البلدان : روى عن شجرة بن عيسى ومحمد ابن سحنون .

٨ ـ عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى

قال فى معجم البلدان : كان أبوه من أهل الكوفة نزل طرابلس المغرب ، وولد له عبد الله وأخوه يوسف بها ، فنسبا إليها ، وبها أولادهم ، وحديثهم كثير مشهور ، وبيتهم بيت المعرفة والدراية والإكثار من الحديث .

٩ ـ الشيخ عبد الله الشعاب

العارف بالله تعالى ، قطب الأقطاب ، وكنز الطلاب ، الشيخ عبد الله الشعاب ، ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ، ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة من الفضلاء ، وكان رحمه الله

---

(١) له ذكر فى المنهل العذب .
(٢) انظر · رسالة سحنون (دكتوراه آداب القاهرة ـ تاريخ ١٩٨٦ م) للمحقق .

تعالى من كبار الصوفية ، وأحد الزهاد الورعين ، وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما فى أيدى الناس وكان نجاراً ولا يأكل إلا من كسب يده ، وكان شديد الزهد ملازما للنسك ، والاعتكاف متمسكا بطريق السلف ، وحررت منه دعوات مجانية ، وحفظت له كرامات ظاهرة ، قال فى الرحلة التيجانية عند تعريفه لمسجد الشعاب : أبو محمد عبد الله الشعاب : أحد الصلحاء الفضلاء من أهل طرابلس وكان نجاراً ونسب المسجد المذكور إليه ، لأنه هو الذى أتمه ولزم السكنى به ، وكان بعض الناس قبله قد ابتدأ بناءه ثم وقف عنه فحضرت الشعاب نية فى إتمامه فرمى الآلة من يده وتوجه إلى القاضى ، قاضى طرابلس فقال له : إنى قد عزمت على بناء ذلك المسجد ، وأحب أن تستدعى فلانا الذى ابتدأ بناءه فتستفهمه هل يتمادى على بناءه أو يرفع يده عنه فأتمه ، وأسكن به فاستحضره القاضى ، وسأله عن ذلك فأقر بعجزه فتولى الشعاب بناءه وسكن به ، ويذكر أن الخضر عليه السلام كان يزور الشعاب ويحدثه وأنهم رأوه مجتمعا معه فى المسجد المذكور

وسمع الشعاب يوما بكاء امرأة عند باب مسجده فسأل عن سبب بكائها ، فأخبرته أن لها ولدا أَسَرهُ عدو الدين وسألته الدعاء له بخلاصه فدعا له وأمَّنت المرأة على دعاءه ثم انصرفت المرأة إلى بيتها فأصبح ولدها فى السكك يسأل عن دار أمه فسئل فأخبر بغواره فى البحر وسلامة وصوله عن عهد قريب فتوجهت المرأة إلى الشيخ تشكره وتعرفه بوصول ولدها وأن ذلك إنما كان ببركة دعائه فهنأها بسلامته ، وقال لها : إنما نجاه الله بدعائك لما علم اضطرارك ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين ومائتين . انتهى .

أقول : وضريحه معروف يقصد للزيارة والدعوات فيه مشهورة الإجابة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

١٠ - إبراهيم بن محمد الغافقى

قال فى معجم البلدان : إبراهيم بن محمد الغافقى الطرابلسى قاضى طرابلس توفى سنة واحد وخمسين ومائتين بالمغرب ، روى عن ابن يونس .

١١ ـ يونس بن أبى النجم

يونس بن أبى النجم الطرابلسى المتعبد ، كان شيخاً مشهـوراً بالإجابة ، قال أبو عبد الله المالكى فى كتاب رياض النفوس فى طبقات فقهـاء مدينة القيروان قال ربيع القطان : حكى لنا الشيخ الطـرابلسى عبد اللـه بن محمد العـازب قال : أخبرنى يـونس المؤدب هذا وكان مـن المجابين الـدعاء قـال : كنت أنا والشعـاب فى غرفـة الشعاب بمسجـده الذى بطرابلس يوم جمعـة إذ دخل عليه رجل أبيض يسطع مسكا فقام الشعـاب إليه وَلَهاً به حتى كأنى لست معه ، وتحدث طويلا ، ثم قال له : قد قرب التهجير ، فقــال له : الشعاب أو لا يصلى معنا ، يريد الجمعة ، فقال لـه : لا ، بقرطبة أصلى ثم خرج من عند الشعاب وهو الخضر عليه السلام أو من مؤمنى الجن ، توفى رحمه الله تعالى سنة خمس وثلاثمائة .

١٢ ـ عبد الله بن محمد الأعمش

قال صـاحب كتاب رياض النفوس عبـد الله بن محمد الأعمش الطـرابلسى المتعبد يعرف بالعـازب كان ـ رحمه الله تعالى ـ من فضـلاء المؤمنين وخيار المتعبدين ، روى عن جماعة من العلماء ، مات سنة ست وثلاثمائة .

١٣ ـ أحمد بن نصر الداودى

قـال فى مختصر المدارك : أحمد بن نصر الداودى الأمـوي أبو جعفـر من أئمة المالكيـة بـالمغرب ، كـان بطرابلس وبها أملى كتـابـه فى شرح الموطأ ، ثم انتقل إلى تلمسان ، كـان فقيهاً فاضلاً عالماً متفنناً مجيـداً له حظٌّ من اللسان والحديث ، ألف كتاب الناعى فى شرح الموطأ الـواعى فى الفقه والنصيحـة فى شرح البخارى والإيضـاح فى الرد على الفكـرية وغير ذلك ، وكان درسه وحده ولم يتفقه فى أكثر علمه على إمام مشهور ، وإنما وصل بإدراكه ،

حمل عنه أبو عبد الملك البونى ، وأبو بكر بن محمد بن أبى زيد ، وتوفى بتلمسان سنة ثنتين وأربعمائة وقبره عند باب العقبة .

١٤ ـ مالك بن سعيد بن مالك القرافى

قال العلامة السخاوى فى تحفة الأحباب وبغية الطلاب : هو القاضى الأجلّ الصالح ، قيل إنه كان قاضى طرابلس المغرب ثم ولى بمصر يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمى ثم فى الخامس من ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة انتزعت منه المظالم وأعيدت إلى ولى عهد المسلمين وأحضره الحاكم إلى عنده وأمره أن يكتب نسب الصحابة على أبواب المساجد فلم يكتب على المساجد إلا قوله تعالى ﴿ **لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار** ﴾(١) الآية فأمر بضرب عنقه فضربت يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة ، وكان محمودا فى ولايته عفيفا عن أموال الناس لا يخاف فى الله لومة لائم ـ رحمه الله تعالى .

١٥ ـ هاشم بن عطا بن أبى زيد

هاشم بن عطا بن أبى زيد هاشم الأطرابلسى ، قال فى تاريخ الصلة : قدم الأندلس تاجراً سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة ، ودخل العراق ، وسكن بغداد ، وأخذ عن أبى بكر الأبهرى ، وأخذ بالقيروان عن أبى محمد بن أبى زيد ، ونظائره ، ذكره أبو محمد بن حزم ، ووصفه بالثقة ، وقال : أخبرنى أن مولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وكان مالكى المذهب .

---

(١) سورة التوبة : الآية : ١١٧ .

١٦ ـ القاضى أبو محمد عبد الله بن هانش

أبـو محمد القـاضى عبد اللـه بن محمـد بن إبراهيم بن هـاشم ، عـرف بابن هـانش الطرابلسى ، قال التيجانى : كانت ولايتـه القضاء سنة أربع وأربعين وأربعمائة وعزل عنها سنـة ستة وسبعين ، فكـانت ولايتـه اثنتين وثلاثين سنـة . حضر عنده يـومـاً الفقيه أبـو إسحاق إبراهيم الأجـدابى مؤلف كفاية المتحفظ فى اللغـة ، فحكم أبو محمـد حكماً أخطأ فيه ، فرد عليه الفقيه أبو إسحاق فقال له : اسكت ياأحول فما استُدعِيتَ ولا استُفْتِيتَ ، فألف أبو إسحاق رسالة ، فى الحول تُعرِبُ عن أدب كثير وحفظ غزير .

١٧ ـ محمد بن صدقة المرادى

قال السيوطى فى بغية الـوُعاة : ذكره الزبيدى فى طبقات النحـويين فقال : كان عالماً بالعـربية يتقعر فى كلامـه وفعل ذلك يوماً بحضرة ابن الأغلب أمير طرابلس فقـال : أكان أبوك يتكلم بمثل هذا الكلام ؟ فقال له : نعم ، أعز الله الأمير وأمه ، فقال أبو الأغلب : مافكر أن يخرج بفيض من يفيض وكان يقرض الشعر .

١٨ ـ أبو الحجاج يوسف بن زيرى

أبو الحجـاج يوسف بن زيرى الطرابلسى القـاضى ـ وهو صـاحب التأليف المعروف بالكافي فى الوثائق ولاه القضاء جـرجير بن ميخائيل حين استولى على طرابلس بأسطوله من قبل رجار ملك صقلية .

١٩ ـ شرحبيل قاضى طرابلس

شرحبيل قاضى طرابلس كـان فاضلاً نزيهاً عادلاً وَلِىَ القضاء فى أيـام سحنون ، وفيه قال سحنون : ما وليت أحداً من قضاة البلدان إلا شجرة بن عيسى المعافرى قاضى تونس وشرحبيل قاضى طرابلس ، كذا فى الديباج .

٢٠ ـ أحمد بن الحسين بن حيدرة يعرف بابن خرسان

ذكره ياقوت فى معجم البلدان عند الكلام عن طرابلس الغرب وأنشد له من نظمه

أحبابنا غير زهد فى محبتكم … كونى بمصر وأنتم فى طرابلسى
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم … وإن هجرتكم فالهجر مفترسى
ولست أرجو نجاحا فى زيارتكم … إلا إذا خاض بحرا من دم فرسى
وأثنى ورماح الخط قد حُطِمَت … فى كل أروع لا واهٍ ولا نكسى
حتى يظل عميد الجيش ينشدنا … نظما يضىء كضوء الفجر فى الغلسى
يفدى بنيك عبد الله حاسدكم … بجبهة العير يفدى حافر الفرسى

٢١ ـ أبو حفص عبد الله بن محمد بن عامر بن أبى عامر

قال التيجانى رحمه الله تعالى : كان فقيهاً صالحاً معلوماً بالخير سمع الحديث : وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ، ومحمد بن فطيس وغيرهم ، ورحل عن الشرق فأدى الفريضة ثم عاد قافلا فأدركته المنية بطرابلس فدفن بها ، آخر خلافة الناصر .

٢٢ ـ سليمان بن محمد الطرابلسى

الأديب الشاعر سليمان بن محمد الطرابلسى ذكره صاحب خريد القصر فى شعراء النصر فى قسم المغاربة ، وأنشد له شعرا .

وقلت : قم يا بدر ثم أدر … فى فُلْكِ اللهو شموس المُدام
بنت عنا قيد إذا خالطت … شيخا أعادته مجون الغلام

ومن شعره :

سبحـــان من صـــاغ الأنـــام بقـــوة ... منـــه وأفـــرد بـــالمحـــاسـن جعفـــرا
جعل المحـــاسن كلهـــا مجمـــوعـــة ... فى وجهـه كـالصيـد فى جـوف الفـرا

٢٣ ـ موسى ، أبو الأسود المعروف بالقطان

موسى أبو الأسود ابن عبد الرحمن بن حبيـب المعروف بالقطان الطرابلسى ، مولى بنى أميـة قاضى طـرابلس الغرب ، قـال الإمام ابن فـرحون فى الـديباج : سمع من محمـد بن سحنـون ومحمـد بن عامـر الأنـدلسى وغيرهما : كـان ثقـةً فقيهـاً حافظـاً ، من الفقهـاء المعدودين : والأئمة المشهـورين ، وله أوضاع كثيرة فى العلم ، كان يحسـن الكلام فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، ولى قضاء طرابلس ، فنفذ الحقوق ، وأخذها لِلضعيف من القوى فَبُغِـىَ عليه ، وَأُوذِىَ ، فعزل ، وحبس فى الكنيسـة شهورا ثم أطلق ، وكـان سبب إطلاقه فى رجـل اشترى حوتا فوجد فى بطنـه آخر فاختلفوا هـل هو للبائع أو للمشترى ؟ فأفتى مـوسى : إن كان الشراء على الـوزن فهو للمشـــترى ، وإن كـان على الجزاف فهو للبائع ، فقـــــال الـوالى : مثل هذا لا يسجن ، وأطلقـه . وألفت الناس فى فضـائله ، وألف أبو الأسود موسى أحكام القـرآن فى اثنى عشر جزءاً ، وتوفى فى ذى القعدة سنة ست وثلاثمائة وهو ابن إحدى وسبعين سنة ومولده سنة اثنين وثلاثين ومائتين .

قال ربيع القطـان : لما غسلناه ، وكفناه وغلقنـا عليه البيت ، وخرجنـا إلى المسجد ، وبقى عنده النســاء فى الدار ، فلما جئنا أخبرنـا النساء أنهن سمعن جَلَبَةً عظيمـة فظننا أن الرجال ومالك يقول إنه روى عن شجرة بن عيسى ومحمد بن سحنون فى البيت فعجبنا من ذلك وتأولنا أنهم الملائكة ترحّمت عليه .

٢٤ ـ عمر بن عبد العزيز بن عبيد

الفقيه الأديب عمر بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسى المالكى ، ذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان أنه لقى السلفى وأثنى عليه ، وهو القائل فى كتب الغزالى .

هـــــــذب المذهب حبر　　　　أحسن اللـــــه خـــــلاصـــــهْ
بسيــــــط ووسيـــــط　　　　ووجيـــــز وخـــــلاصـــــهْ

وسافر إلى بغداد ومات بها سنة خمسمائة وعشرة .

٢٥ ـ أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسى

قال فى مختصر المدارك : والغنية للشيخ للإمام أبى الفضل عياض ـ رحمه الله تعالى ـ ونفع به ، روى حاتم عن مروان بن عبد الملك البونى بن على الأندلسى شرحه للموطأ عنه ، وكتاب الأربعين حديثا للآجرى عن أبى حفص الجهينى عن الآجرّى ، وكتاب الانتصار لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للأصيلى عنه ، وشرح غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى عن أبى عمر الطلمنكى عن ابن عون الله عن ابن الأعرابى كلاهما عن أبى على بن عبد العزيز عن أبى عبيد القاسم ، وقال حاتم : وحدثنى به أيضاً أبو جعفر بن مسمار عن أحمد بن أبى الموت عن على بن عبد العزيز عن أبى عبيد وشرح الموطأ لمروان بن عبد الملك البونى بن على الأندلسى الأصل عنه ، والمسند الصحيح المختصر من المسند لأبى الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى عن أبى سعيد عمر بن محمد المسجرى عن أحمد الجلودى عن إبراهيم بن سفيان عن مسلم والملخص لمسند الموطأ لأبى الحسن القابسى عنه ووصية مالك بن أنس لطلبة العلم ووصية يحيى بن

يحيى لطلبة العلم عن القنازعى عن أبى عيسى عن أبى عثمان بن عجلون قال : نا ابن معلا عبد الأعلى بن معلا نا عثمان بن أيوب نا يحيى بن يحيى قال قال مالك : وأخذ عنه القاضى أبو الأصبغ عيسى بن سهل شرح غريب اللغة لأبى عبيد القاسم بن سلام ، والملخص لمسند الموطأ لأبى الحسن القابسى ، وكتاب الأربعين حديثاً وكتاب الانتصار وصية مالك ووصية يحيى ، وسمع منه عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموى من أهل قرطبة ويونس بن محمد بن مغيث بن يونس ويعرف بابن الصفار وآخر المشايخ بقرطبة الأربعين حديثاً والجبانى ، وعبد الرحمن بن عتاب الملخص لمسند الموطأ لأبى الحسن وسمع منه الشيخ أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن ظريف بن سعيد ، والشيخ الحافظ أبو على الحسن بن محمد بن أحمد الغسانى المعروف بالجبانى شيخ الأندلس فى وقته والخطيب المقرى أبو القاسم خلف بن إبراهيم بن خلف يعرف بابن النخاس ، والفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحشى المعروف بابن أبى جعفر شيخ فقهاء وقته بشرق الأندلس ، والفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محمد الجدامى بقية المشيخة بقرطبة ، والفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حميد التغلبى أحد رجال الأندلس وزعيمها فى وقته المتوفى سنة ثمان وخمسمائة والشيخ الكاتب الروَّاية أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ظريف .

٢٦ ـ أبو الحسن على بن أحمد بن الخطيب

قال فى الرحلة الناصرية : أبو الحسن على بن أحمد بن الخطيب الطرابلسى الفقيه الفرضى وله تآليف أقام أربعين سنة لم يضحك ، ونحو الخمسين سنة لم يحلف بالله ، وقال له ابن أخيه عندما أملى وصيته : أنسيت الكفارة فقال له : لو أنى فى الموت ما أخبرتك ما حلفت بالله تعالى منذ كذا وكذا محقاً أو مبطلاً وما علمت أن علىَّ يميناً أكفرها انتهى وبرع فى الفقه والفرائض والشروط وله فيها تآليف مفيدة .

٢٧ـ الشيخ أبو نزار خطاب البرقى الطرابلسى

أبو نزار الشيخ خطـاب البرقى صحب العارفين من أهل زمانه وأخـذ عنهـم وكان من أجلاء الشيوخ وأكابـر العلماء العارفين زاهداً فاضلاً ، خاض بحـار الأحوال ، ونار أسرار المعارف ، وكانت له كرامات خارقة ، ويخاطب فى المنام بما يكون فى اليقظة ، قال التيجانى رحمه الله تعـالى : كان يسكن هذاالـرجل الصالح بـالجامع الذى بخارج المدينـة من جهة شرقيها على البحـر ، وحكى أبو عبد الله الخيـارى قال : قال لى : خـرجت مرة إلى الحج منفرداً فبينما أنـا فى البرية إذمَـرَّ بى رجل ، فتوسمت فيـه الخير ، ووقع فى قلبى أنه الخضر عليه السلام ، فبادرت بالسلام وأقسمت عليه بالله تعالى : أنت الخضر ؟ فقال :

لقد بقيت فيكم مـن الخير بقية ، لم يزدنى على هـذا ، وغاب عنى ، وأخبرنى أبـــو عبد الله الخيارى عنه أيضا قـال لى : بينما أنا سائر فى البرية إذا بسبع عارضنى فقلت له : يا أبا الحارث إن كنت قد أُمِرْتَ فينا بشىء فـدونك ، وإلا فالطـــريق ، قال : فقرب منى ووقف هنيهة ثم انصرف .

٢٨ـ أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشانى

العارف بالله تعالى العابد الورع الزاهد الشيخ أبو عثمان بن سعيد بن خلفون الحشانى العارف ، اجتمع بكثير من الأولياء وأخـذ عنهم ، وكان من أكابر الصوفية حـاويا للعلوم اللدنية والمعارف القـدسية . والأسرار العرفانية فانقطع للعبـادة ، قال التيجانى رحمه الله تعالى : كان هذا الفاضل يسكن بالمسجد المنسـوب إليه وهو خارج البلد من جهة جوفيها مشرف على المقابر .

واتفق له فى هذا المسجد المذكور فضية مشهورة ، كـان ذات يوم جالسا فيه على عادته فسمع تحته دَوِيًّا عظيماً اهتـز المسجد له فخرج بعض من كان معه لاختبـار ذلك ، فوجده شخصا يقطع الحجـارة من كهف تحت المسجد فنهاه عن ذلك ، فلم يُنْـهَ فرجع إلى الشيخ

فأخبره فنزل الشيخ إليه وقال له : اتق الله ، فإنك تـزلزل المسـجد بهذا الذى تصنع فقال له : ارجع أيها الشيـخ إلى مسجدك فإن الوالى أمـر بهذا ، فقال لـه : لو أمـرك الوالى بهدم المسجد كنت تهدمه ؟ فقال نعم ، والله لـو أمرنى بذلك لفعلت ، فعاد الشيخ إلى المسجد وقال : اللهم احصد عمره . فعند استقرار الشيخ فى المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الرجل فقتله .

وقال الشيخ أبـو عبد الله الخشـاب قاضى طرابلس : خـرجت مع أبى الحسن المنمر من طرابلس لزيـارة الفقيه أبى محمد بن أبى زيد رحمه اللـه تعالى وسماع العلم عليه ، فبينما نحن عنده يوما إذ تحدث أبو الحسن فقال : أراد الشيخ أبو عثمان الحشانى مرة الحج فاتفق مع جماعة من إخـوانه أهل الدين والفضل ، وكنت معهم فخـرجنا على الوحـدة ، وقطعنا صدرا مـن الطريق ، وأقمنا ثـلاثا لم نطعم فأتـى الشيخ أبو عثمان إلى ربوة فمسـح وجهها بيده ، وجعل يأخـذ من ترابها ويجعله فى إنـاء كان معـه ثم ترَّاه بشىء من ماء وقـرأ عليه أو سَمَّى وقـال لنـا : سمـوا الله وكلوا قـال : فجعلنا نأكل ونطعم مـنه طـعـم السوايق قال : فأطرق الشيخ أبـو محمد بن أبى زيد ساعة ثم رفع رأسه وقـال : هذا داخل فى باب الإمكان سيما وقـد ذكرتم أنكم أقمتم ثـلاثًا ولم تطعمـوا وقرأ قولـه سبحانـه وتعالى **﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾** وقال التيجانى رحمه الله تعالى : إن سحنون بن سعيد لما رجع من الحج قيل له : من رأيت من الصالحين ؟ قال : لقد لقيت بطرابلس رجالاً ما الفضيل ابن عياض بأفضل منهم انتهى . وبـالجملة فإن هذا العارف قد اشتهـر فضله وذاع أرجه وفشى خبره حتى عُرِف بالمستجاب وتوفى فى سنةاثنتين وستين وثلاثمائة .

٢٩ـ سمدونـة

كانت عجـوز صالحة تسكن مسجد الشعاب ، وكـان أبو نزار خطاب البرقى يـزورها ويعتقد بـركتها ، ولما رجع المؤدب محرز بن خلف من الحج قيل لـه : من رأيت فى طريقك من الصُّلَحاء ؟ فقـال : رأيت فى طرابلس رجلا وامـرأة ، أما الرجل فأبـو عثمان بن سعيد الحشانى وأما المرأة فسمدونة ما الفضيل بن عياض بأفضل منهما .

٣٠ ـ إبراهيم بن القاسم

قال ابن بشكوال فى كتاب الصلة : إبراهيم بن قاسم الطرابلسى من المغرب روى عن أبى جعفر القروى وغيره دخل الأندلس روى عنه أبو محمد على بن أحمد حكى ذلك عنه الحميدى ، وأخذ عنه القاضى يونس بن عبد الله ، وأسند عنه قصته فى التشبيب عن ابن ماشاء الله القابسى العابد .

٣١ ـ أبو جعفر أحمد المتعبد

قال فى رياض النفوس : أبو جعفر أحمد الطرابلسى المتعبد بالمنستير ، كان فاضلاً مجتهداً إماما مرابطا أربعين سنة لم يأكل لحم صيد المنستير طريا ولا مالحاً ، ولم يشرب من صهريج القصر ماء عذبا ، وكان إذا تاقت نفسه إلى لقمة سحنة يأخذ قبضة من دقيق الشعير بنخالته فيعجنها فإذا نظر إلى نار قد استغنى عنها أصحابُها ، وأنزلوا قدورهم منها دفنها فى تلك النار ، وكان أحمد هذا من المستجابين فى الدعاء ، توفى سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة .

٣٢ ـ العارف بالله تعالى عبد الوهاب القيسى

هو العارف بالله تعالى الناسك العابد الورع الزاهد الجامع للأخلاق المحمدية والنائل لأسرار المعارف القدسية الشيخ عبد الوهاب القيسى عروس الصوفية ، كان رحمه الله تعالى من أجل الشيوخ وأكابر العلماء العاملين وعباد الله الصالحين له كرامات كثيرة ومآثر شهيرة .

قال فى الرحلة الناصرية : وهذا الرجل يعظمونه أهل طرابلس كثيراً ، حكى لى جماعة منهم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه نحو من أربعمائة مرة وأنه كان يشاور النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل إلا بإشارته ، قالوا : ولم يسمع منه هذا فى حياته ، ولكنه وجد بعد موته مكتوباً عنده بتواريخ يذكر كل ليلة وما رأى

منها، ثم أوقفني بعد ذلك بعض أهل البلد على جزء فيه هـذه المنامات وذكر أنه نقلها من خطه فرأيت فيها غرائب من سؤاله للنبى صلى الله عليه وسلم عما يفعله فى جميع ما يعرض له من أموره و إشارة النبى صلى الله عليـه وسلم بذلك بما يراه ودوام ذلك واستمراره فى كل جزئيـة من جزئيـات حاله قـال : وقال لى النبى صلى الله عليـه وسلم : إننى آخيت بينك وبين أخيك أبى يعقوب يعنـى الخشاب وأبى على يعنى يونس بن السماط قـال فرأيتـه ليلة فقلت له : يـارسول الله ما رأيت فى مـا خطر لى ولأخى أبى يعقوب ، قـال : وما ذلك ؟ قلت : نكتب بعض مـا يجرى بينى وبينك يعنى فى المنام لأخى أبى على قـال : فقال لى : نعم أبو على رجل صالح وذلك زيادة فى حقه ، فإنـه يزداد معرفة فاكتب له ولكن لا تمازح غير أخيك أبى يعقوب . هكـذا رأيت هذه اللفظة فى النسخـة التى نقلت منها ولا أدرى هى بالحاء أو بـالجيم قال فرأيته بعد ذلـك ليلة أخرى فقلت له : يارسـول الله قلت لى لا تمازح أحـدًا غير أخيك أبى يعقوب ولم أفهم مقصـودك بذلك ، فقـال لى صلى الله عليـه وسلم : لم آذَنْ لك أن تحدث بهذه المراءى أبا على كما تقـدم فكيف أقول لك أطلعـه عليها ثم أقول لك لا تمازحه ؟ إنما مقصـدى أنك لا تطلع هذه االمراءى غير أخيك أبى يعقوب وأبى على خاصـة ، قال فقلت : إن الأخ أبا يعقـوب يخطر له فما تـرى فى ذلك ؟ فقال لى النبى صلي الله عليه وسلـم : ألم أقل لك يعني فى المنام قبل هذا إن الإقامـة أرفق بحاله ؟ قال : فقلت له : يا رسول اللـه وهو متحير فى الذى عنده من السبب كما تعلم هل يخرج عنه أو يبقيه ، فقـال لى النبى صلى الله عليه وسلم : بل يبقيه على الأمـانة ويعطى منه كل ذى حق حقه إلى أمثـال هذا من المنامـات وهى نحو أربعمائة منـامة وهى على نحـــو هذا كلها ، وفيها يلبسه له منهـا رداؤه ودعاؤه له بأنواع الدعاء وقوله : مـرحبا بالحبيب ومرحبا بالرجل المفلح واعلم يابنى أنى أحبك وأحب أخـاك أبا يعقوب وإنى لأفرح بك ، وأمثال هذا قال : وشكوت إليه ليلة حالى ومخالفة فعلى لقولى ، فقال لى صلى الله عليه وسلم : يا موفق ، من خلق سعيـدا أو سبقت له السعادة أتـراه يشقى ؟ كرر ذلك مرتين أو ثـلاثًا ثم قال لى : وإنى لأرجو أنك وأخاك أبا يعقوب ممن سبقت لهم السعادة .

٣٣ـ أبو يعقوب الخشاب

قال التيجانى رحمه الله تعالى : وأبو يعقوب الخشاب هذا ممن استوطن آخر عمره طرابلس وأصله من الأندلس ، وقد كان فى أمره على ما بلغنى ثاويا فى جبل الفتح رد على بالهلكة هناك ثم نقلته تصاريف الأقدار إلى طرابلس فأقام بها متعبداً متزهداً ، وأتاه استدعاء من حضرة تونس ، فتوجه إليها فى البحر اجتاز على جزيرة جربة فتوفى بها رحمه الله تعالى ، وأمر بتعمية قبره فلا يوقف له الآن بها على قبر ، ويظهر لى أن ذلك ــ والله أعلم ــ لأنه اطلع على أن النصارى ستملك تلك الجزيرة بعدُ فكره اشتهار قبره بين قوم كفار أو لأنه على أحد القولين عندنا فى تكفير أهلها .

٣٤ ـ أبو الحسين بن عبد الوهاب

قال التيجانى رحمه الله تعالى : ولأبى محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ولد يدعى بالحسن ، وهو رجل فاضل زاهد حضرت درسه فى الوعظ وقد قال : قال والده : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال له فى بعض مناماته : إن الله جاعلك وجاعل أولادك من خواص أوليائه ، وفى منامة أخرى أنه رأى كأنه أوتى السعادة قال فجعلت أديرها على ولدى أبى الحسن ومحمد وأبى الحسين هذا ، وأما محمد فتوفى ـ رحمه الله تعالى ـ بمكة ، عند تمام حجة حجها فطاف فيها طواف الإفاضة ، وسقط فى بعض أشواطه ميتا ، أخبرنى بها شيخنا أبو فارس بن عبيدة ، وكان حجهما فى عام واحد انتهى . نفعنا الله بهم جميعا .

٣٥ ـ الحافظ أبو إسحاق إبراهيم الأجدابى

هو الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتى المعروف بابن الأجدابى نسبة إلى (أجدابية) ولد بطرابلس ، ونشأ بها ، وحضر مجالس العلم والعرفان ، وصحب مشايخ عصره ، وكان من العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقهاً ونحواً ولغةً وعروضاً ونظماً ، ولم تكن له رحلة وصنَّف كتبا كثيرة مفيدة ، منها : كتاب كفاية المتحفظ ، وكتابان فى العروض صغير

وكبير، وكتاب الرد على أبى حفص فى تثقيف اللسان وشرح ما آخره ياء ، من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع أحكامها على اختلاف أحوالها من تصغير وتكسير وغير ذلك ، ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جليا تعرض فيه لشرح المقاطيع الواقعة فى سورة مريم، لاشتماله على كثير من تلك الأحكام فجاء هذا التأليف فى غاية الإفادة والتحقيق ، وله كتاب مختصر فى علم الأنساب وآخر مختصر فى الأنواء على مذهب العرب (ورسالة فى الحوَل) تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير وكان أبو إسحق أجول .

وسبب تأليفه لها أنه حضر يوما بطرابلس عند القاضى بها أبى محمد عبد الله بن إبراهيم بن هانش فحكم أبو محمد بحكم أخطأ فيه ، فرد عليه الفقيه أبو إسحاق وقال له : اسكت ياأحول فما استدعيت ولا استفتيت فألف تلك الرسالة ، وكانت ولاية أبى هانش سنة أربع وأربعين وأربعمائة بعد أن فر عنها قاضيها أبو محمد بن فضل البكرى الإفريقى هاربا ، خوفا من أهلها ، فعزل عنها سنة ست وسبعين وثلاثمائة فكانت ولايته اثنتين وثلاثين سنة .

واختصر كتاب نسب قريش لأبى عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله تعالى ، قال التيجانى : وحسبك لهذا التأليف علما وفائدة ، وقد مدح هذا الكتاب الشيخ أبو الحسن ابن مغيث بقوله (هو كتاب عجب لا كتاب نسب) وقد أدخل أبو إسحاق فيه من حفظ زوائد تشتمل على فوائد .

وترجم له الأستاذ محمدبن الطيب القرشى فى كتاب تجريد الرواية فى تحقيق الكفاية بقوله : وكان أبو إسحاق فى صدور المائة السابعة وأئمتها الأعلام ، أثنى عليه المجد اللغوى فى بعض تصانيفه ، وذكره الجلال السيوطى فى البغية ، ووصفه بالجلالة فى العربية واعتنى بهذا المختصر ، وهو كفاية المتحفظ جمع من الأئمة المقتدى بهم واعتمدوه وأكثر من النقل عنه الإمام الحافظ الثقة أحمد الفيومى فى كتابه (المصباح المنير) والإمام كمال الدين الدميرى فى حياة الحيوان وغيرهما وعدله بالمصنفات الكبار كالمصباح والتهذيب والمجمل ونحوهما ، وربما اختار كلامه فى المصباح عنهم أحيانا ، واعتنى بخدمته الإمام

الأديب العلامة جمال الدين قاضى الحرم محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد الطبرى ، فنظمه فى نحو ألف وثلاثمائة بيت نظماً لطيفاً حلواً على ارتكاب أوهام وبعد أفهام .

ومدحه الفقيه الأديب العلامة جمال الدين على بن صالح العدوى فأجاد حيث قال :

من كان يطلب من القريب وسيلة ... من شاعر أو كاتب متلفظ

أو كان يبغى فى الكلام بلاغة ... فليحفظن كفاية المتحفظ

قال التيجانى رحمه الله تعالى : وكفى بهذاالرجل العظيم القدر فخرا لهذا القطر ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس إلى غيرها ، وقد سئل من أين لك هذا العلم ، ولم ترحل ؟ فقال : اكتسبته من باب هوارة وزناتة ، وهما بابان من أبواب البلد نسبا إلى من نزل بهما فى أول الزمان يشير إلى أنه إنما استفاد من العلم بلقاء مَنْ يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقين والمغربين وكان له اعتناء بلقاء الوافدين والقيام بضيافتهم رحم الله الجميع ونفعنا بهم آمين .

٣٦ ـ أبو الحسن على بن محمد المنمر

قال التيجانى رحمه الله تعالى :

الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن المنمر الطرابلسى ، الفرضى المشتهر بفضله وعلمه ورياسته ، وكان مولده بطرابلس قديماً سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وله تآليف فى الحساب والأزمنة وغير ذلك ، سوى كتابه المشهور المسمى بالكافى فى الفرائض وقد لقى الشيخ أبا محمد بن أبى زيد وقرأ عليه وارتحل إلى مكة سنة تسع وثمانين ، فلقى بها أحمد

ابن زريق البغدادى ، وروى عن أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهرى : ثم عاد إلى طرابلس فلم يزل بها إلى سنة ثلاثين وأربعمائة ، فخرج منها لمحنة جرت عليه فتوجه إلى موضع يعرف بغنيمة بالغين المعجمة والنون ، قرية من قرى مسلاقه فسكن بها إلى أن توفى هنالك سنة اثنتين وثلاثين ، وقبره الآن معروف على الطريق .

وهو أول من أظهر السنة بطرابلس لما كانت فى إفريقية الوقعة المعروفة بوقعة المشارقة سنة سبع وأربعمائة قتل فيها الشيعة وأتباعهم ، وعلى يد أبى الحسن هذا قتل من كان بطرابلس منهم وأمر الناس بقطع الأذان (حى على خير العمل) وأذّن فى ذلك اليوم أذان أهل السنة بنفسه ، وقد قتل بنو عبيد بشراً كثيراً ، وأسقطوا هذه اللفظة من أذانهم تعمداً أو نسياناً ، وأول من أقام للناس بطرابلس صلاة القيام ، وقد كان رسم هذه الصلاة الحى من إفريقية .

قال الشيخ أبو الحسن القابسى رحمه الله تعالى : لما دخل بنو عبيد القيروان أرادوا أن يمنعوا الناس من هذه الصلاة قال : وليس شيء أشد على بنى عبيد من هذه الصلاة ، فقيل لهم : إنكم توغرون بهذا الفعل قلوب العامة ، فإنهم يقولون : منعونا من الصلاة فأمروا الأئمة أن يختموا كل ليلة ختمة كاملة لا ينقصون شيئا منها ، فصلى الناس أول ليلة فوفرهم ، فلما كانت الليلة الثانية نقصوا ولم يزالوا ينقصون لثقل ما كُلِّفُوا به ، حتى خلت المساجد منهم كما أرادوا وسقط الناس القيام بهذه الصلاة فكان الشيخ أبو الحسن ابن المنمر أول من أحيا بطرابلس رسمها ، وقدم أبا مسلم مؤمن بن فرج فصلاها بالجامع الأعظم ، ولم تكن قبل ذلك صليت به لأنه من بنى أبى عبيد وأول من أطلق الناس صلاة الضحى جهاراً ولم يكن أحد فى مدة بنى عبيد يصليها إلا مستخفيا بها فإن ظهروا عليه قتلوه ، ومر بعض عمالهم برجل على شاطىء البحر يصلى وقت الضحى فسأله عن صلاته فذكر أنه كان جنبا فلما مر بالبحر واغتسل قضى صلاة الصبح فلم يقبل ذلك منه ، وأمر به فألقى فى البحر إلى أن مات .

وكـان سبب محنـة الفقيـه أبى الحسن بن سعيـد بن خـزرون لما قتلـه زعبـة سنـة تسع وعشرين وأربعمائة فتح أبو الحسن بن المنمـر مدينة طرابلس لخزرون بن خليفـة فدخلها ، وأقام بها أشهر ، ثم لما كان شهر ربيع من سنة ثلاثين رحل المنتصر بن خزرون وكانت معه عساكر زناتـة ففر خزرون بن خليفة من طرابلس مختفيا وتـرك له البلد فدخل المنتصر وأوقع بأبى الحسن مكروهـا عظيما ونفاه من البلـد واستباح جميع أملاكـه وعذب كثيرا من أقـاربه بسببه انتهى .

٣٧ ـ أبو محمد عبد الحميد بن أبى الدنيا

قال التيجانى رحمه الله تعالى : ومن فضلاء طرابلس المشهورين بالعلم ، والمشاركة فى الأدب ، المتقدمين عن عصرنا هـذا قليلا أبو محمد عبد الحميـد بن أبى البركات بن عمران ابن أبى الدنيا الصوفى ، مولـده بطرابلس فى منتصف شعبان من سنة ست وستمائة وارتحل إلى المشرق فقضى فـريضـة الحج ، وأدرك الـريفى والصفـدراى فقـرأ عليهما ، ووصل إلى تونس فى مدة الأمير أبى زكريا فأقام بها زمانا ثم عاد إلى بلده واستدعى بعد ذلك إلى تونس فولى بها الخطط الرفيعـة من قضاء الجماعة وقضاء الأنكحة والخطـابة بالجامع الأعظم وغير ذلك من الخطط وله تصانيف منها العقيدة الدينية وشرحها وحلّ الالتباس فى الرد على نفاةِ القياس وكتاب مذكّر الفواد فى الحض على الجهاد ، وله شعر قليل منه قوله .

طـرق السـلامـة والفـلاح قنـاعـة ... ولـزوم بيت بـالتـوحش مـؤنس
يكفيـه أُنسـا أن يكـون أنيسـه ... أى القـران ونـوره فى الحنـدس
إذا رأت عينـاه إنسـانـا أتى ... فلينفـرن نفـور ضبى المكنس
ولقلما ينفـك صـاحـب مقـول ... مـن زلـة أو عثـرة فى المجلـس
تحصـى وتكتـب والجهـول مغفـل ... حتى يـراهـا فى مقـام المفلس

وأظهر له الخليفة المستنصر فى بعض الأوقات تغيرًا فكتب إليه يستعطفه

أمــولاى مــازلتم يتلــوّن عبــدكم ضروبــا مـن النعماء جلت عـن المثل
ولم يبق إلا العفــو وهــو أجـل مــا ينـال فـأكمل لى بـه منحــة الفضل
فما العيش فى الـدنيـا بغير رضـاكم بـوصف ولا طعـم الحيـات بمحـول
وقـد كـدر الإعراض صفـو معيشتى فأنكــرت أحـــوالى وأنكـــرنى أهلى
ولى أمـل يقضـى بغفــــران زلتـى وبالعفو عن جـرمى وبالصفح عن فعل
بقيت تــزيــد الملك عِــزًّا وبهجــة وتحمى رسـوم الفضل والـدين والعـدل
فــلا يخطئنِّى منـك عفـــو ورحمة فإنهما مــا أخطئـا أحــدًا قبلى
وصلى إلٰــه العـرش بـدءا وعــودة على المصطفى من خلقـه خـاتم الـرسل

وله قصيدة طويلة التى أولها :

بحمـــد اللـــه تُبْـدَأُ الأمــور وتختـم آخِـــرًا فيــه الحبـــور

وكـانـت وفاتـه بتـونس يوم الجمعـة الثانـى والعشرين من شهر ربيع الأول عـام أربع وثمانين وستمائة .

٣٨ ـ أبو على الحسن بن موسى بن معمر الهوارى

وقال التيجانى : ومن فضلاء طـرابلس أبو على الحسن بن موسى بن معمر الهوارى ، أحد أربـاب الرتب الجامعين بين رياسـة الفقه وريـاسة الأدب ، ولد بطـرابلس سنة تسع

وستمائة وقرأ بها يسيراً ثم توجه مع أخيه الفقيه القاضى أبى موسى إلى المهدية للقراءة بها على الفقيه أبى زكريا البرقى فلازماه مدة ، ثم عـاد أبو موسى إلى طرابلس ، وأقام أبو على فلزم البرقى وتفقـه عليه ، واختص بـه اختصـاصاً كثيراً فلما وقعت فتنـة أبى حمراء بـالمهديـة ، ووصل كتاب الشيخ أبى على بـن أبى موسى بن أبى حفص من المهديـة إذ ذاك بالتحـديد من أبى زكـريا البرقى ومن أبى حمراء ، وتـوجه الأمـر له بقتل أبى حمراء وإزعـاج البرقى إلى الحضرة كان ذلك فقتل أبـو حمراء ، وحمل البرقى على حمار ومعه خـواص أصحابه ، يـذكر من رآه على تلك الحالة وهو يتمثل على إشرافـه على الحضرة هكذا فى البر يفعل بى كيف إن زلت بى القدم فكـان صاحب الترجمة أحد من وصل صحبته وأدركت الأمير أبـا زكريا على البرقى شفقة فأعاده إلى وطنه وأقام ابن معمر بالحضرة وكان فقيهاً مفوهاً خطيباً لسناً ، غير أنـه كان فى لسـانـه فضل كثير امتحـانه بـه والتعـرض له بسببـه ، وَتُـوُفِّى فى دولة الخليفـة المستنصر رحمه الله تعـالى فولى خطة القضـاء فى كثير من بلاد إفريقية منهـا باجة وبجـاية وغيرهما ، وولى خطـة العمالـة الكبرى وخطـة الإمعـان والنظـر فى خـزانـة الكتب ، وتغير الخليفة عليـه فنفاه إلى المهدية مكـان خروجه من الحضرة فى يوم السبت الثـامن عشر لذى القعدة من سنة سبع وستين ، ثم وقع الرضا عنه بعد عام كامل وتوجه الأمر بتسريحه ، ولما مات الخليفة وولى ولده الواثق استدعى فى يوم السبت التاسع عشر لذى الحجة سنة خمس وسبعين فأمر بالنظـر فى خزانة الكتب ، واستمر النظر فيها إلى أن تغير عليـه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبى مروان فى بعض القضايا فأمر بتثقيفه فثقف بدار الأشراف مدة ثم أخرج وكانت وفاته بتونس فى التاسع لجمادى الأول من سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، قال التيجانى رحمه الله تعـالى : وله شعر كثير أخبرنى ابن أخيه الفقيـه الفاضل أبو يعقـوب يوسف ابن القاضى أبى موسى عمران قال : كنا جلوسا عنده ، فأنشـد بعض من حضـر بيتين لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى :

ضى زمن المكـــــارم والكــــرام سقـــاه اللـــه من صـــوب الغمام
بكـــان البر فعــــلا دون قـــول فصـــار البر نطقـــا بـــالكـــلام

قال : فأنشدنا لنفسه متمما عليهما .

وزال النطـــق حتـــى لســـت تلقـــى فتى يسخـــو بمـــرجـــوع الســـلام
وزاد الأمـــــــــــر حتـــى ليس إلا يسخـى بـــــالأذى أو بـــــالملام

وكان أبو عبـد الله محمد بن يحيى الفصيلى ممن ثقف بـدار الأشراف معه ، حين ثقفه ابن أبى مـروان على مـا تقدم فحصل بينهما اتصـال وود ، واتفق أن سرح ابن معمـر قبل سراح الفصيلى فنعاه الفصيلى بذلك ، فأنشد مرتجلا :

لئن سرنـى فك لأســـارى مـن الحبس لقـد ســـاءنى فقـدى لما فيـــه من أنس
ولــــــو أننى خيرت فيها أريـــــــده لآثــرت تقــديمى سراحـك عن نفسى

وفى مدة لـزومه داره للجفـوة التى كانت عـرضت لـه قبل نفيه إلى المهـدية قدم مـن السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك فكتب إليه :

كتبت ولـــــولا الحكـم كنت إليكـم من الشـوق بى مثـل الـريـاح أو طيـور
وإنـى أريــــــد أن أمُــــرَّ مسلماً عليكـــــم على وجهـــــى وذاك سرور
وما فى صميم القلـب من خالص الـوفا فِسيَّـــان فيـــه غيبـــة وحضـــور

وأنشدنى له بعض الطلبة من أهل طرابلس قصيدة مرتبة على حسب ما اخترناه منها

ـــولا احـــورار جفـــون أودعت سقماً   ما أمطـرت سحبُ أجفانى الدمـوع دما
قـــد وقفـت أميـــالاً بـــــربعهم   ولا سقيـت ربـــــاه مـن دمـى دِيَمًا
لا نشرت عقيـق الــــدمع فى طلـل   منـــه أذاع الــذى قـــد كـــان مكتتما
ٔمل السلـــو تشتيت بعــد بُعْـدِكُمُ   وطـــال مـــا كـــان قبل اليـــوم ملتئما
لبين يقطـع منـــــــه كـل متصـل   والشـــوق ينشــر منـــه كل مـــا انتظما
والــوجـد شـاد بجسمى مـا يهدمـه   آهًـــا على مـــا بنـــا فيه ومـــا هــدمـــا
يــامـن يلـوم على مــاجَلَّ من أسفى   هـــذا اليسير من الأمـــر الـــذى كُتما
مـــا خطط النـــوم فى جفنـى رسم كـراً   إلا محا السهـــد مـــاقـــد خط أو رسما
إذ أوَ نبـــؤكم أننى مـن يـــوم بينكم   مـــازلت للسهـد والتـذكـــار ملتـزمـــاً
أرتـــاح إن هـب ريح من جنـــابكم   أو لاح بـــرق بـــــذاك الأفق وابتسما
أمـــا ومن قـــدّر الأشيـــاء مقتـــدرا   وحبكـم وكفـى بــــــالحب لى قسما
مـــارام قلبى اصْطبـــاراً بعـــد بُعْـدِكُمُ   ولا تأخـــر بى عـن وجـده قـــدمـــا

وأنشدنى له أيضاً وقد أبلى الخليفة من مرض

الله أنعم بعـــــد اليأس بـــالفـــرج   يـا أزمـة الـدهـر عنـد الشـدة الفرج
شكـــر الخلائق لا يكفى لأيسر مـــا   كفـى وسكن مـن هـــرْج ومن رهـج
أبقى الأنــــام بإبقـــاء الإمـــام بكم   بصـونـه صـــان من مـــال ومن مهج
إذا رعـــا الله لــــلإســــلام راعيهم   لم نأسَ مـن فقـــد ذى قـــدر ولا وهج

وذكر ابن الأبـار فى بعض تآليفه قال : أنشـدنى القاضى أبو على بن معمر لـه ولأحد أصحابه فى أبى المجد الصوفى المهدوى يداعبانه ، لتوليعه بتزويج العجائز :

أبـا المجـد كم تغرَى بحـب العجـائز ... وذلـك فى شرع النهى غير جـــائز
كلفت بأطـلال محا الـدهـر رسمهـا ... فأصبحـت تبغى الفـوز بين المغـاور

وأنشدنى شيخنا الحافـظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الأوسـى قال : أنشدنى أبو على بن معمر لنفسه :

آهًــا زِدْ ولـو تشفـى لنــا كـربـا ... وبـالتعـلاّت نَحيا لـو قضت أربـا
وبـالأمـانى ينـال القلب بغيتـه ... وقـد تحقق من معتـادهـا كـذبـا
يـرتـاح إن لاح بـرق من تهامتهـا ... ومـا تـراءى لـه إلا وقـد ذهبـا
يُسَرُّ إن مـد يـومـا حبل منيتـه ... ومـا تطـاول إلا جـلَّ وانقضبـا
إن عـز مـا يبتغيـه فهـو فى رهج ... ويختشى الفقـد إن مـا يبتغى قـربـا
وارحمتـــاه لقلبى كـم أجشمــه ... أمـرا يـذيب من الأصـلاد مـا صلبـا
وكـم يعـانـى ملمات بأيسرهـا ... يهوّن الأمـر من دنيـاه مـا صعبـا
وكـم يلجلج فى أفكـاره لججـا ... سـودا تـؤجج فى أحشـائهـا لهبـا
وكـم تهب سمـومٌ مـن تنفســه ... لـو استمـرت لما هبت نسيم صَبَـا
أستغفـر الله لا أشكـو الـزمـان ولا ... قلبى إذا طـرقت أحـداثـه رهبـا
ولا ألين لحظ منـــه أعـــوزنـى ... ولا أسرُ إذا مـآء المنـا انسكبـا
أمـا يَسُر اللبيبُ إن رأى حلماً ... ولم يطـرب من خمر الفَنَـا شربـا

٣٨ـ الفقيه القاضى أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الهوارى

كان فقيهًـا عالماً سمع الحديث من أفاضـل عصـره كأبى محمـد بن أبـى الـدنيا وغيره ، وكان مشهوراً بالـدين والورع مُتَّصِفًا بالعدالة والتمسك بـالشرع ، قال التيجانى ـ رحمه الله تعالى : ولى قضاءً بطرابلـس نيفا وثلاثين سنة ، ولاشـتهار فضـله استدعاه

أبو إسحاق إبراهيم المنتصر الحفصى وولاه قضاء تونس عام ثمانٍ وخمسين وسبعمائة فأظهر العدل فى الأحكام حتى توفى سنة ستين وسبعمائة ، قال : وكان ــ رحمه الله تعالى ــ ذا أخلاق جميلة وسيرة حميدة ومعارف جليلة .

٣٩ ـ الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن محمد الهنزوتى

كان ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً فاضلاً ، حضر مجالس العلم والعرفان أخذ عن مشايخ مصره ومشاهير فضلاء عصره ، قال التيجانى ـ رحمه الله تعالى : وكان الفقيه محمد الهنزوتى حين كان القاضى أبو موسى حاضراً معيداً لدرسه بعد قيامه ، وتوفى رحمهُ الله تعالى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

٤٠ ـ أبو الحسن على بن عبد الله بن مخلوف

كان له اهتمام بالتواريخ ، وصنَّف تاريخاً لطرابلس ، وكان فاضلاً فى فنون شتى ، أخذ عنه السلفى ، وسافر إلى الحج فأدركته المنية بمكة فى ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

٤١ ـ محمد بن الحسن بن أبى الدبسى

قال الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى فى كتاب رفع الإصْرِ عن قضاة مصر : محمد بن الحسن بن أبى الدبسى الطرابلسى ، طرابلس الغرب كان قاضيها ، فاستدعى به الوزير يعقوب بن كلس فأمره بالنظر فى الأحكام ، وفوض إليه قضاء دمياط وبلبيس والفرما وغيرها عوضا عن محمد بن النعمان كل ذلك نكاية فى على النعمان القاضى والقاضى لا يعترضه فى شىء ، وكان موجودا سنة تسع وستين وثلاثمائة انتهى .

٤٢ ـ الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبيدة

قال التيجانى ــ رحمه الله تعالى ــ والقائم برسم العلم فى هذه البلدة فى وقتنا هذا شيخنا الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيدة ، وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد ، من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى ، وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفروعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاورٍ لداره فرأيت رجلاً متضلعاً من العلم ذاكرا بالمذهب ذكرًا لا يجاريه فيه أحد ، ولا تكاد مسأله من مسائلة تشرد عنه حسن العبارة ، مشاركاً فى علوم جمة ، وله اعتناء بحفظ كلام القرويين فى المذهب من تعليل أو تفسير أو تفريق أو تخريج ، واعتماده فى الأصول الدينية والفقهية على كلام الإمام أبى المعالى وكلام الشيخ أبى حامد الغزالى وهو سبأى والنسبة من ولد سبأ بن محب بن يعرب بن قحطان ، وأخبرنى أن مولده كان بطرابلس عام تسعة وثلاثين وستمائة وأكثر استفادته على ما أخبرنى على الفقيه القاضى أبى موسى عمران بن موسى بن معمر الطرابلسى رحمه الله تعالى ، وليس له رحلة عن بلده إلا إلى الحج فى عام ثلاث وسبعمائة .

ولما حضرت درسه ، وتحققت مكانته المكينة فى العلم أحببت القراءة عليه مدة إقامتنا هنالك ، وطلب مخدومنا أن يكون ذلك بمحضر منه فلم يكن بد من استدعاء الشيخ لموضع سكنانا فعقدنا مجلساً لذلك بالقصبة ، وفى مجلس الأمير منها وطلب الحضور لذلك المجلس جماعة من أعيان الطلبة بالبلد فأذن لمن أذن منهم ، ورأينا أن يكون المقر وحديث خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الذى هو أصل لجميع الأحكام ، فابتدأت القراءة بلفظى لصحيح مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى رحمه الله تعالى فى غرة شهر شعبان من العام المذكور قراءة تفقُّه فيه وتدقيق للبحث فى ألفاظه الكريمة ومعانيه وقد كنت ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة وأفادته المحاضرة مما جاء كالإكمال لكتاب الأكمال ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأه قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح

لـلإمام الحافظ أبى عبـد الله محمد بن إسماعيل الجعفى البخـارى رحمه الله تعالى وأمتـد فى قراءتها مدى قـراءتى فيه منهما ما هو نور وهدى إلى أن دعـا بنا داعى البين فأعجلت النقلة عن تمام الكتابين وكتب لى شيخنـا أبو فـارس بخطه إجازةً سمى فيهـا من شيوخـه الفقيه القاضى أبو مـوسى عمران بن موسى بن معمر المتقـدم الذكر وأخبرنى أنه قـرأ عليه كتاب التفريع لابن الجلاب ومن أول كتاب التهذيب إلى كتاب الخيـار منه قال : وسافر القاضى أبو موسى إلى تـونس فاستمرت قراءتى للكتـاب المذكور مع سائر طلبة الفقيـه أبى موسى على الفقيه أبى محمد عبد الوهاب بن محمد الهنـزوتى وقرأ على الهنزوتى أيضاً جملة من كتاب المحصول لابن العـربى وجملة من كتاب المستصفى للغـزالى وتوفى الهنزوتى ، ومن شيـوخه أيضاً الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبى البركـات بن أبى الدنيـا قـال : قرأت عليه كتاب الإرشاد لابـن المعالى وبعض كتـاب البرهان له وجملـة من كتاب المستصفى للغـزالى ومنهم الفقيه أبو الحبيش محمد بن إبراهيم الأندلسى اجتاز على طرابلس قافلاً من الحج فقرأ عليه بعض تآليفه فى العربية وسمَّع عليه شيئاً من نظمه وروى عليه المذهبة لابن المناصف حدثه بها عن مؤلفها ومنهم الفقيه أبو محمد عبـد الله بن عبد الكريم الغمارى اجتاز على طرابلس من المغرب قاصدا إلى المشرق فطالت إقامته بطرابلس فقرأ عليه كتابه الذى ألفه فى الفرائض وجل كتـاب الكافى لابن المنمـر فى الفرائض أيضاً وجـل كتاب الحصار فى علـم الحساب وكان ذلك فى عام أربع وخمسين ومنهم الفقيه القاضى أبو العباس أحمد بن عيسى الغمارى وصل إلى طرابلس قاضياً بعد انفصال القاضى أبـى موسى بن معمر منها ، فقرأ عليه جملة من المعالم الفقهيـة لابن الخطيب وسمع من كان يتنـاظر به فيـه بين يديـة من التهـذيب ، ومنهـم الفقيه أبو العباس الأعجمى ورد من المشرق على مدينة طرابلس فى سنة اثنتين وستين قاصداً المغـرب فقرأ عليه بعض المعالم اللـدنية لابن الخطيب ، ومنهـم الفقيه القـاضى أبو محمد عبـد الله بن إبراهيم بن أبى مسلم القـابسى وصل إلى طرابلس قـاضياً ولـه رحلة إلى العراق ودخل فيهـا بغداد قرأ عليـه بلفظه أكثر من نصف البخـارى وهنا انتهى من سمَّى شيخنا أبو فارس من شيوخه .

وبالجملة ، فهذا الشيخ كبير وذكره فى المشرق والمغرب شهير ، رحمه الله تعالى ، وقد كتب لى إجازة ولما ودعته وأنشدته من بحر البسيط .

سقى ربوعك يامغنى طرابلس	حيى يحييك منه كل منبجس
فكم يد لك فى التأنيس مغترب	شطت به الدار عن أنس وعن أُنس
أقمت فيك على حكم النوى زمناً	كأننى فيه للسراء فى عرس
أتُوب من أهلك العز الكرام إلى	قوم أوافى لديهم كل ملتمس
ما بين جود وتانيس بمثلها	ناءى على الخاطر التحافة ونِسِ
لو لم تكن لك عندى فى الزمان يد	أثنى عليك بها ما امتد فى نفسى
إلا ملاقاة من حزت الفخار به	عبد العزيز الإمام العالم الأنس
محى العلوم ومحضيها ومنبرها	فى حلى ألفاظه فى أحسن اللبس
ومحرز الشيم الغر التى كرمت	ففاه بالمدح فيها كل ذى خرس
يجلو إذا أشكلت فى العلم مسألة	وهنا يجلى سناه كل ملتبس
نعمت من قربه لما اتصلت به	بوقت أنس من الأيام مختلس
والله يحفظه غَوْثًا لمستبق	لكشف نازلة من نور مقتبس

٤٣ـ أحمد بن عبد السلام الأموى

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الأموى التاجورى الفقيه الحافظ ، قال العلامة التيجانى رحمه الله تعالى : لزم سكنى طرابلس وهو أحد العدول المصدَّرين بها عارف بالتوثيق وعقد الشروط حافظ الأدب والتواريخ حسن الخط جدا ورد على تونس قبل هذا واجتمعت به فيها ثم اتصلت ملازمته لى بطرابلس مدة إقامتى بها ، وقد قال لى : أنشدنى الشيخ الفقيه البليغ أبو محمد الحسن إبراهيم التيجانى أيام حلوله بطرابلس على غير

اختياره فأقام بها مـدة ثم توجه منها إلى الحج ، وذلك سنـة أربع وثمانين وستمائة وأنشدنى بيتين لنفسه :

لأهل طـــرابلـس عـــادة من الجود تسر الغـــــــــريـب الحميما
حللـت بها مكـــرَهــــا ثـم إذا أقمـت بها أبـــــــدل الماء ميما

٤٤ ـ العارف إسماعيل بن يربوع

الأستاذ البركة الولى الصالح شيخ زمانه وواحده الجامع للشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى سيدى إسماعيل بن يربـوع صاحب الزاوية الغربية معـدن الأسرار القدسية كان رحمه الله تعالى من كبـار الصوفية صـالحاً ورعاً صاحـب فيوضات وظهـرت له كرمـات وخوارق عادات فى حياته وبعد الممات وضريحه بداخل الثغر معروف ويتوسل ببركته كل ملهوف .

ومن كراماته ما أخبرنى به الوالد رحمه الله تعالى قال : بينما نحن نقرأ القرآن العظيم على الحافظ الفقيـه محمـود الخطيب بجـامع الدرج الكـائن بجـوار ضريح الشيخ وإذا بـرجل حسن الهيئة وعليه وقارٌ ، راكب على فرس من جيـاد الخيل قد وقف بباب الكتّاب الكائن بفِناء ضريح هـذا الأستاذ ، وخاطب الفقيـه بقوله يا فقيـه محمود سرح الأولاد أى أذن لهم بالرواح إلى منازلهم ففعل ، وجلس الفقيه للمطالعة حسب عادته فقال له : ولابد أن تخرج أنت سريعاً فخـرج جَبرًا لخاطره فبوقت خروجـه من الكتاب سقطت قبة الكتـاب بأجمعها فكان هذا الرجل سبباً لنجاة من ذكر ثم التمس هذا الرجل لأجل التبرُّك به فلم يوجد له أثر فعلمت النـاس أن هذا من كـرامات الـولى الصالح سيـدى إسماعيل رضى الله تعالى عنـه ونفعنا له

٤٥ ـ خلف الله بن سعيد الطرابلسى المغربى القايدى

ذكره العلامة الحافظ السخاوى فى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع وقال : مات سنة بضع وأربعين وثمانمائة .

٤٦ ـ محمد بن عبد الرحمن الحطاب

قال فى كفاية المحتاج : محمد بن عبد الرحمن بن حسين ، أبو عبد الله الرعينى شهر بالحطاب أندلسى الأصل ثم طرابلسيه وبها ولد ، تفقه على محمد الفاسى وأخيه فى المختصر ثم قدم مع أبويه إلى مكة سنة سبع وسبعين وحضر عند السراج معمر فى الفقه وجلس للإقرار فى الفقه والعربية ، ولد وقت صلاة الجمعة فى العشر الأخير من صفر سنة إحدى وستين وثمانمائة انتهى من السخاوى قلت وأخذ أيضاً عن السنهورى وعبد المعطى الخطيب والعلمى ومحمد بن أحمد السخاوى قاضى المدينة والإمام زروق والحافظ أبى الخير السخاوى والشمس المرغنى وغيرهم ذكر ذلك ولده العلامة محمد الحطاب وأخذ عنه ولداه وغيرهما ، وكان حيًّا فى حدود أربع وأربعين وتسعمائة انتهى وأثنى عليه العلامة محمد الخروبى رحمه الله تعالى بقوله ربانا أحسن تربية وأدبنا أحسن تأديب واجتهد فى تعليمنا ، وكان يقوم بشئوننا ، وكان يتحفنا بخدمة الصالحين وموالاة الفقراء ويقول : من خدم شيخاً كبيراً لكبر سنه قيض الله له من يخدمه فى آخر عمره ، وإنا وجدنا بركة ذلك وثمرة خدماتنا لأولياء الله تعالى ولعباد الله فوفَّى الله لنا المكيال وأمال إلينا قلوب الرجال ، فكنا إذا أمرنا أطعنا وإذا أردنا أعطينا وإذا استشفعنا قبلنا ولله الحمد والشكر ، وكان هذا السيد من أصحاب الوالد رحمه الله تعالى ومن تلامذته رحمهم الله جميعاً ، وكان هذا الشيخ كثير العبادة شديد الورع زاهداً عالماً عارفاً بالله تعالى له تطلع فى علم التفسير ، وأكثر كلامه فيه بالمواهب الربانية ، والحقائق العرفانية والنكت الصوفية إذ كان له قدم فيه وكان دائم الاهتداء شديد الاقتداء فى الأقوال والأفعال والأحوال فى العادات والعبادات حتى كان رضى الله عنه وأرضاه يقتدى برسول الله ﷺ فى لباسه ، وعمامته ، ومشيته ، وجلوسه ، وأكله ، وشربه ، وفى جميع شئونه ، وكان يحض أصحابه على ذلك ، ويعلمهم عمامة رسول الله ﷺ ومشيته وجلوسه وأكله وشربه وجميع أفعاله ويقول : الخير كله فى ذلك وأما العبادات فكان أشد الناس فيها تعليماً للأمة وأحرصهم إلى ذلك حتى كان يسير بأصحابه

إلى البحر ويتجرد حتى يكون فى « شيزر » ويعلمهم كيفية الوضوء والغسل بالفعل بعد القول كل ذلك حرصاً على تعليم الخلق دين الحق وتأدية للأمانة وكان هذا السيد مهاباً وقوراً صموتاً دائم الذكر ملازماً للخلوة إلا إذا خرج للتفسير أو تقرير كلام القوم وإظهار معانى حقائقهم وشرح ما أشكل من عباراتهم : وبيان ما غمض من إشاراتهم وله فى هذه الطريقة أشياخ عظام منهم الولى العارف القطب سيدى أحمد الدهمانى الطرابلسى ، وهو عنده العمدة ، ومنهم مولاى الوالد ومنهم الشيخ العالم العلامة العالم بعلم الشريعة الماهر فى علم الحقيقة المطلع فى المعقول والمنقول سيد إفريقية وعالمها أبو عبد الله البكى التونسى رضى الله عنه .

وكان هذا السيد يستعمل السماع لكن بشرطه ، ومع أهله ، وفى محله ويقال بمحضره كلام الوفائية ومقطعات الششترى والبراوى ، وكلام أبى المواهب وينشد فى مجلسه كلام ابن الفارض وقاله فيزيل مافى كلام القوم من الإشكال ، وينفى مافيه من الإبهام ويشرحه على طريق جامع للشريعة ، والحقيقة فلايجد فى كلامه ما يرده عليه المعترض .

وكان يقسم السماع على ثلاثة أقسام فمجلس لا يحضره إلا خاصة أصحابه كسيدى عبد الحميد القمودى ، وسيدى عبد الحميد بن يربوع ، وسيدى محمد الضكاوح وسيدى الحاج قاسم بن قلاع والسيد الصالح الفقير الصادق والمريد السالك ذى الأحوال السنية سيدى محمد غميض ، والشيخ الولى العارف الغوث سيدى خليفة بو غرارة ، وأمثال هؤلاء السادات الكرام ، والصالحين العظام .

ومجلس يحضره خواص أصحابه كسيدى محمد بن طاهر وسيدى محمد بن خروف وسيدى محمد غميض السالف ذكره وسيدى محمد بن مسلم وأمثالهم .

ومجلس يحضره عوام الفقراء فهذا طريقه فى سماعه ولهذا السيد كرامات منها ما قاله لى السيد الحاج قاسم بن قلاع وكان من خواص أصحابه وكان من المريدين السالكين ومن أرباب الأحوال أخبرنى رحمه الله تعالى : أنه كان مع الشيخ يوماً فى مسجد سيدى أبى يعقوب وعلى ساحل البحر من طرابلس قال والشيخ ينظر فى كتب له قال : فقلت فى

نفسى : هذا الشيخ شديد العبادة كثير ا لمجاهـدات دائم الأحوال ولم تظهر له كرامة يعنى من خوارق العادات فبينما أنـا أقول فى نفسى هذا الكلام وإذا بالشيخ رفع رأســـه إلىّ وقال لى : ياحـاج قاسم الذى ينظـر فى أمر الخالق خير من الـذى ينظر فى أمور المخلـوق فهذا الشيخ رحمه الله تعالى كنا تحت واسع كنفـه وسديد نظره وحسن رأيه يؤدبنـا بآداب الصوفية ويعلمنا الأحكام الشرعيـة والحقائق الإحسانية والنكت والدقائق والأسرار العـرفانية إلى أن قبضه الله تعـالى إليه وهـو راضٍ عنا فللـه الحمد والشكـر ، أقول : وتـوفى رحمه الله تعالى بطرابلس وضريحه بزاويته الكائنة بالقرب من قرية تاجورا .

٤٧ـ أبو الحسن على بن عبد الله بن مخلوف

أبـو الحسن على بن مخلـوف الطـرابلسى كـان له اهتمام بـالتـاريخ ، وصنف تـاريخاً لطرابلس وكـان فاضلاً فى فنـون شتى أخد عنـه السلفى ، وسافر إلى الحج فأدركتـه المنية بمكة فى ذى الحجة سنة خمسمائة وثلاث وثلاثين .

٤٨ـ الرماح الشيخ أبو القاسم

قال العلامـة أحمد بابا فى نيل الابتهاج : الـرماح الشيخ أبو القاسم الطـرابلسى قال الشيخ زروق ، هو من أحد عدول طرابلس : كان رجلاً صـالحاً حسن النية جميل الحالة له شرح على حكم ابن عطاء الله وضع فيه لكل حكمة خطبة مع ذكر كثير من كلام الحاتمى ، وابن الفارض ، وغيرهما بلا منـاسبة نفعه الله بنيته تـوفى سنة سبع وثمانين وثمانمائة عن نيف ومائة سنة .

٤٩ ـ الولى الصالح سيدى سالم المشاط

الإمام الشهير الكرامات ، الكبير المقامات ، ولى الله بلا نزاع وحامل راية أوليائه بلا دفاع شيخ السالكين وقدوة العارفين وعمدة المحققين سيدى سالم المشاط رحمه الله تعالى .

قال فى فتح العليم : إن الشيخ سيدى عبد السلام الأمر رضى الله تعالى عنه يكثر من التوسل به فى مقاطيعه سيما مقطعته المشهورة بالسلسلة قال : وقد سمعت الشيخ العارف سيدى أبا راوى رحمه الله تعالى يقول : إنه ما ذكر فيها إلا من بلغ القطبانية العظما رحم الله الجميع توفى فى سنة تسع وتسعين وثمانمائة ودفن بداخل الثغر مما يلى السور البحرى قريبا منه وضريحه ظاهر يقصد للزيارة والدعوات فيه مشهورة الإجابة .

٥٠ ـ الأستاذ محمد الحطاب

قال فى كفاية المحتاج : محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب ولى الله شمس الدين شيخ شيوخنا كان إماماً علامة محققاً بارعاً فظا حجة نظاراً جامعاً ورعاً صالحاً معتبراً من أولياء الله ومن سادات العلماء وسراتهم متفننا متقنا محصلاً نقادًا عارفاً بالتفسير ووجوهه محققا للفقه وأحواله ومسائله مستنبطاً لها يقيس على المنصوص غيره حافظاً كبيراً فى الحديث وعلومه محيطاً باللغة وغريبها عالماً بالنحو والصرف فرضيا حسابيا معدلاً محققا لها إمام مطلق فى ذلك كله جامعاً لسائر الفنون ، آخر الأئمة المتصرفين فى الفنون التصرف التام آخر أئمة المالكية بالحجاز له تواليف بارعة تدل على إمامته وسعة حفظه وسيلان ذهنه ودقة إدراكه وجودة نظره وحسن تصرفه واطلاعه أدرك فيها فحول الأئمة كابن عبد السلام وخليل وابن عرفة فمن فوقهم وفى الحديث على حفاظه كابن حجر والسيوطى والسخاوى وناهيك بذلك أخذ الفقه وغيره عن والده الحطاب الكبير والعلامة أحمد بن عبد الغفار

والعارف بالله محمد بن عراق وروى عن الحفاظ عبد القادر النويرى وابن عمه المحب أحمد ابن أبى القاسم النـويرى والبرهان القلقشنـدى والعز عبد العـزيز فهو والجمال الصـاغانى وعبد الرحمن القايونى وغيرهم وأجازوه وأخذ عنه عبد الرحمن التاجورى ومحمد الفيش وولده شيخنا يحيى الحطاب وشيخنا محمـد الفلانى وغيرهم وله تواليف حسان أجـاد فيها ما شاء كشرحه على مختصر الشيخ خليل تـركه مسوداً فبيضـه ولده يحيى فى أربعة أسفار كبـار يدل على جودة تصرفـه ، وكثرة اطلاعـه ، وإمامته ، ولم يـؤلف على خليل فله جمعـاً وتحصيلاً بالنسبـة لأوائله وله كتـاب الحجم منه اشترك فيـه على خليل وشراحه وشراح ابن الحاجب وابن عـرفـة وغيرهم وأشيـاء كثيرة وشرح مناسك خليـل شرحاً حسنـا وشرح قـرة العين فى الأحوال لإمام الحرمين والتأليف فى مسائل الالتزام أى إلـزام الرجل نفسه معروفاً سماه تحرير الكلام حسن فى نوعه لم يسبق إليه ومناسك سماه هداية السالك المحتاج لبيان فعل المعتمر والحاج فى كراريس وشرح رجز ابن غازى فى نظائر الرسالة سماه تحرير المقالة وكتاب تفريج القلـوب بالخصـال المفكرة لما تقـدم وما تقـدم من الذنـوب جمع فيه بين تأليفى ابن حجـر والسيوطى وزاد عليها فى كـراسة والبشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخـل مكة والمدينة والقول المتين أن الطاعون لا يـدخل البلد الأمين وعمدة الراوية فى أحكام الطـواعين ومقدمة بسط فيها مسائل الجرومية وثلاثة رسائل فى استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة من الآلات كبرى وسطى وصغـرى انتشرت الوسطى ومـؤلف فيما يلزم من فضل على نبينـا ﷺ أحداً من الأنبياء والملائكة وتفضيله عليهم ومؤلف فى استقبال عين الكعبة وجهتها والفرق بينهما شرح به كلام صاحب الإحياء فى كتاب السفر فى نصف كراس مفيد ومختصراً إعراب خالـد الأزهرى للألفيـة مع زيادة يسيرة فى أربعة كـراريس ومما لم يكمل من تـواليفه تفسير القرآن إلى سورة الأعـراف وحاشية على تفسير البيضاوى وحـاشية على الإحياء نحو ثـلاثة أرباع الكتاب وصل فيه إلى أواخر ذم الجاه وشرح قواعد عياض وصل فيه إلى القائمة الثانية وتعليق على ابن الحاجب فى بيـان مـا أطلقــه من الخلاف ومـا خـالف فيـه على المشهـور والمذهب إلى سنن الصـلاة والتعليق ، وتعليق على مواضع من أنحـائه وجزء فى مسـائل لم

يقف فيها على نص فى المذهب وجـزء على ما فى كـلام بهرام فى شروحه الثلاثـة من إشكال ومخالفـة النقل كتب منه يسيراً ، وتعليق على الجواهـر إلى شروط الصـلاة وعلى أن عرفـة فى الكلام على تعريفاته وبعض اعتراضه كتـب منه يسيراً ، وحاشية على توضيح النحو وشرح خالـد الوقـاد عليه وشرح على مختصر الحوفى إلى المناسخـات وجزء جمع فيـه المواضع الذى غلط فيها صاحب القاموس وصاحب الصحاح وجزء فى ألفاظ العربية التى فسر صاحب الصحاح كل لفظ منهـا بمرادفه فاستغنى بها عن التفسير كقـوله الجدب نقيض الخصب ثم قال فى فصـل الخصب بالكسر نقيض الجدب ثم يفسر هـو كلا اللفظتين بما قالـه أهل اللغة وحاشية على الشامل إلى شروط الصلاة وحاشية على الإرشاد إلى الاستقبال وتأليف فى القراءات وحاشية على قطر الندى فى النحو ، ولد ليلة الأحد ثامن عشر رمضان سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعمائة وتوفى تاسع ربيع الثانـى سنة ٩٥٤ أربع وخمسين وتسعمائة انتهى أقول توفى رحمة الله تعالى بطرابلس وضريحه بداخل الثغر مشهور معظم مزار .

٥١ـ الأستاذ عبد العزيز بن محمد الأوسى الأنصارى

قال فى الإرشـاد كان فقيهـا تاجـراً له حظٌّ جليل فى العلم وبـاع متسع فى الأدب وهو الذى أسس المسجد الكـائن بداخل الثغر بقرب سورهـا الغربى وضريح الشيخ المزاريدى عمران واستوطن آخـر عمره عند الجلاء واستيلاء الإسبانيـون على طرابلس سنة ٩١٦ ست عشرة وتسعمائة بجبل غربان وأسس جامعاً بوادى النخل وكـان يؤم الناس به ورفض الدنيا وتجدد لأعمال الآخرة وانقطع إلى الله عـز وجل مجتهداً فى ذلك على أقـوم طريقـة إلى أن توفى ودفن بإزاء مسجده وقبره يـزار وقفل ابنه الأستـاذ أحمد إلى طرابلس بعـد الفتح وأصل هذا البيت من الأندلس من بـلاد الثغر الشرقى انتقل عنـد الجلاء وغلبة ألفونس ملك إسبـانيا عليه إلى طرابلس أواخـر المائة السابعة ونسبه فى الأندلـس إلى أبى عبد الله محمد بن عيسى

ابن بقاء الأنصارى قال العلامة المقرىءفى نفح الطيب عند تعريفه ببعض من رحل من الأندلس إلى البلاد الشرقية ما نصه ومنهم أبو عبد الله .

٥٢ ـ محمد بن عيسى بن بقاء الأنصارى

من الثغر الشرقى أخذ القراءات بالسبع وأخذ عنه جماعة من أهلها وكان شيخاً فاضلاً حافظاً للحكايات قليل التكلف فى اللباس ذكره ابن عساكر وقال : رأيته وسمعته ينشد قصيدة يوم خروج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر أولها .

أستغفر الله من ذنبى وإن كبر واستقل له شكرى وإن كثر

وكان يسكن وادى الحجارة ، ويقرئ بالمسجد الجامع ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة ٤٥٤ أربع وخمسين وأربعمائة ، وتوفى يوم الأربعاء عند صلاة العصر ، ودفن يوم الجمعة لصلاة الظهر الثامن من ذى الحجة سنة ٥٢٢ خمسمائة اثنين وعشرين ودفن فى مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبى الدرداء رضى الله تعالى عنهم قال : وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه ، وذكره السلفى رحمهم الله جميعاً وأمدّنا بأسرار علومهم انتهى .

٥٣ ـ الشيخ عبد الرحمن التاجورى

قال فى كفاية المحتاج : عبد الرحمن ابن الحاج أحمد المغربى الطرابلسى التاجورى به عرف قال القرافى : شيخنا العالم الناسك ذو الحقيقة ، والطريقة علامة الوقت فى علم الميقات بإطلاق ، أخذ الفقه عن الأخوين الشمس اللقانى والناصر وغيرهما واعتنى بالتهذيب والرسالة والموطأ يدس فيها قرأ عليه يوماً (وأنه فوق عرشه المجيد) فذكر ما

أجيب بـه من أن لفظ (بـذاته) دست عليـه فى كتـابـه فأنكر بعضهم وقـال : كل عبـارة أعرضت يجاب عنها بـذلك فلا يبقى اعتراض على عبارة فغضب الشيخ وقـال : هذا إمام مجمع على جلالتـه لم يوصف شيء مما يوهمه اللفظ ثم قـال للسائل : تسكت وإلا أتكلم وكرره فقال الطـالب لوجه الله : لا تتكلم فذهب الشيخ مغضبـاً وسئل الطالب بعد ذلك فقال : خفت فوات الـدرس وأنا جنب فحضرت فى المسجد جنباً فـزجرنى الشيخ بما رأيتم توفى قـرب الستين وتسعمائة ٩٦٠ قلت : لقيه والـدى ، وشيخنا محمـد لما حجا ، وحضر شيخنا درسه رحمهم الله تعالى انتهى .

٥٤ـ الأستاذ محمد بن على الخروبى

العالم الفقيـه الصوفى الراسخ الشهير العارف بـالله تعالى أبو عبد الله محمـد ابن الفقيه الجليل العارف على الخروبى ولـد بقرية فـرقارس وبيتـه بيت علم من لدن أسلافـه الكرام وحضر مجالس العلم والعرفان وأخذ عن أسـاتيذ مصره ومشايخ عصره ، ثم ارتحل إلى ثغر جزائر الغـرب وأوطن بها إلى أن مات فى سنة ٩٦٣ ثـلاث وستين وتسعمائة ، وكان رحمه الله تعالى إمـاماً بارعـاً محققاً وضّـاح الفهم ساطع الحجة عبـاب علمى الظاهـر والباطن متين الحفظ متسع المعرفة شديد الروايـة معتـدل الإفادة .

ومـن تآليفـه مزيل اللبس عن آداب وأسـرار القواعـد الخمس وشرح على الصلاة المثنية فى غاية الجودة والنبـل .

أثنى عليـه المحقق محمد بن المدنى كنون فى بعض تصانيفه ، ووصفه أبو حامد محمد العربى بن يوسف الفاسى بأنه واسع العلم والمعرفة شهير الذكر قدم المغرب الأقصى فأخد عنه كثير من أهل المغـرب الأقصى وأخذ هـو عن أساتيذ أعـلام منهم أبو العبـاس سيدى أحمد زروق رضى الله عنه ومنهم الأستاذ محمد بن عبد الرحمن الحطاب .

٥٥ـ الأستاذ الحاج قاسم بن قلاع

قال الفاضل الأستاذ محمد الخروبى ، وممن عاشرناه وصحبناه وأفادنا وله علينا تربية لفقير الصادق السالك الناسك ذو الأحوال السنية والأخلاق الكريمة الزكية سيدى الحاج ناسم بن قلاع الطرابلسى منشأ ومولداً ، دفن بمدينة فاس كان رحمه الله تعالى يوالينا ريفيدنا ويخدمنا بحرمة مولانا الوالد لأنه شيخ شيخه واقتداء بشيخه سيدى محمد الحطاب ن فعله معنا ، ولقد وقعت له معه وقعة كانت بداية الخير ، وذلك أنا كنا جميعا عشية يوم ن الأيام فتذاكرنا حالة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وزهده وقرأنا شيئا من رسالة سيدى يوسف العجمى وأنشدنا من لامية عمر بن الفارض وهو قوله رضى الله عنه

هو الحب قاسم بالحشا ما الهوى سهل ... مما اختاره مضنى به وله عقل

فطاب الوقت وصفى وحسن الروح إلى أحوال أهل الوفا وفتح الباب وزال الحجاب ينادى منادى الوصال هلم وتعال فنزعت ثيابى وأجبته بلبيك ها أنا منك وإليك وأخذت ياب سيدى الحاج قاسم ولبستها ولبس ثيابى وعمدت إلى دارنا فكان لى فيها بعض طعام نأخرجته وفرقته على من احتاجه وبعت ثيابى من غير أن تعلم الوالدة رحمها الله تعالى فكان يمتها اثنين وعشرين ذهباً طرابلسية تزيد قليلاً أو تنقص عن ذلك وكتبت فى زمام كل ن كانت له عندى تباعة وفرقتها كلها فمن الآخذ ومن التارك والمسامح إلى أن نفدت لدراهم فعلمت بذلك الوالدة وسرت بما صنعت وهذا كله من فضل الله تعالى ومنه معرفة الصالحين وذكر أحوالهم والنظر فى كتبهم نفعنا الله تعالى بهم بمنّه ، وكان صاحب لترجمة سيدى الحاج قاسم يأتى بعض أيام ويسألنى عما يخصنى فى الدار وإذا أخبرته منّه لجأنى إلى روضة خارج بلد طرابلس تعرف بروضة سيدى عبد الله الشعاب ونبيت هناك فى مذاكرة وعبادة وخير ونرجع إلى البلد وقد تأثرت قلوبنا واطمأنت أنفسنا ، وربما حملنى إلى

الجامع الأعظم من طرابلس نـذكر الله ونتذاكر حكـايات الصالحين ومعامـلاتهم فيأخذني البرد وأنا حينئـذ صبي صغير فنزع جبة له من صـوف ويفرشني إياهـا رحمه الله تعالى وعفى عنه وأرضاه وجزاه الله خيراً كما هو أهله فكان هذا دأبه معنا إلى أن قضى الله بفراقنا ومنهم .

٥٦ـ الأستاذ عبد النبي الجبالي

قال : وممن عرفناه من الصالحين وأخـذنا عنه من أولياء الله المتقين الشيخ الكبير الولي الشهير فريد عصره ووحيد دهره العارف بالله تعـالى القدوة مربي المريدين ومفيد السالكين ذو الكـرامات الشهيرة والأحـوال الزكيـة الأثيرة المكاشف المربي سيـدي عبد النبي الجبـالي نفعنا الله به آمين وقفنا ببابه وتأدبنا بآدابه وخدمناه ودعى لنا بخير .

وكان هـذا الشيخ كثير الاتباع عام الانتفاع زكي الطبـاع له أحوال سنية وأفعـال زكية وكرامات وخوارق عادات ذات هيبة عند الأمراء يعظمونه ويقومون إجلالاً له فأمره عندهم مطاع ، ولقد وقعت لي معه وقعة وذلك أنا لما صـافحنا شيخنا أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بزيتون أعـاد الله علينا من بركاته لقنت ذكـراً ، وأرسـلنا إلى هذا الشيـخ سيدي عبد النبي وكان ببلـد جانزور بزاوية أبي جعفـر غربي طرابلس ومن أحوازهـا وكان شيخنا زيتون بطـرابلس فمضيت أنا وأخ لي في الله وهو السيد الفقيـه العلامة الصالح البركـة بقية السلف الصالح سيدي أبـو بكر بن إبراهيم النفاتي ، وكنت صافحت شيخنا زيتون معه في سـاعة واحـدة وآخى بيننـا وقال لـه محمد يعنيني يكفيـك هم الدنيـا وأنت يكفيك هم الآخرة أو العكس الشـك مني فلما وصلنا إليه مكثنـا عنده والله أعلم ثـلاثة أيـام فلما أردنا الانصراف إلى البلد والرجوع إلى الشيخ سار معنا راكبا على فرسه كأنه كان مودعاً لنا ومشينا فلما أراد الرجوع عنا أخذت بركابه وقبّلت يده فنظر إلي وقال لي يا ابن الشيخ لا ينبغي للعبد أن يطلعـه الله على غيب السموات حتى يكمل أربعين سنـة وهي السنة التي يكمل فيهـا

عقل الإنسان وفيهـا أرسل ﷺ إلى الناس أو كلامـاً هذا معنـاه ؛ فلما فتح الله علينا بها فتح منحنا من المواهب الربـانية ما منح تذكرت كلام الشيخ فإذا الفتح وقع لنـا فى الوقت الذى أشار بـه الشيخ : وكنت حين وقوع هـذه الإشارة منـه ابن نحو اثنتين وعشرين سنـة أو ما قاربها ، ولقـد التقى هذا الشيخ بشيخنا زيتـون بطرابلس فلما التقينا تكلمنـا بكلام عظيم لولا أنى أخاف أن أزيد فيه أو أنقص لأنى حينئذ صغير السن لذكرته معهم ومنهم .

٥٧ ـ الأستاذ العارف خليفة أبو غرارة

قال وممن عرفنـاه ، وخدمناه ، وله علينا مشيخة ، وفينا تـربية الشيخ القطب الغوث العارف بـالله تعالى ذو المجاهـدات العظيمة والأحوال الـزكية الكـريمة شيخ زمانـه ووحيد أقرانـه ؛ المكاشف سيد خليفـة أبو غرارة رحمه الله تعـالى ورضى عنه وأرضاه ، وكـان هذا الشيخ كبير المجاهدات مسكنه بموضع قريب من بلـد طرابلس بنحو ثلاثة أميال يقال لها الحارات فكان مهاباً صمـوتاً وقوراً يهابه الملوك والأمراء وتعظمـه العلماء والفقراء وكان يحب السماع ويحضره عنـد شيخنـا سيـدى محمـد الحطـاب فـإذا حضر لا يبقى أحـد من أهل طرابلس إلا حضر يتبركون فإذا أنشـد المنشدون وقال القوال يقع صريعًـا فلا يبقى فيه روح حتى نقول إنه مات فيبقى صريعاً مـا شاء الله تعالى ، ثم يقوم كأنما خرج من القبر ويتكلم بحقائق وأمور .

وكان يقول الفقير إذا غاب فى الحضرة وغيبة السماع إذا لم يستفد فى غيبته علوماً من الله عز وجل فغيبتـه كاذبـة ولقد شـاهدته مـراراً إذا أخده الحال يجعل فى رقبتـه حبلاً ويـدفعه لبعض الفقراء فيأخذه ويطوفون به فى الأسواق بأمره ويأمره أن ينادى من يشترى هذا العبد السوء المفترى الكـاذب الآبق من سيده فيدفع النـاس الدراهم لمن يطوف بـه فتجتمع منها دراهم كثيرة فيأخدها الشيخ ويدفعها للقوالين يقسمونها بينهم .

وكان رضى الله عنـه إذا أخذه الحال فى بعض الأوقات يأتى البلد وهـو يصيح فيتلقاه أهل البلد ويعلمـون أنه جـاء لأمر ظهر لـه لما يعلمون من عـادته فيتكلم بحقـائق وأمور بينهم .

٥٨ ـ الولى البدل محمد شان الشان

قال : وممـن خدمناه وصحبنـاه وله علينـا تربيـة ومشيخة الـولى البدل سيـدى محمد المشهور بشان الشان كان مجذوباً من أهل الحال أطبق الناس على ولايته واجتمعت القلوب على محبته ، وأطلق الله على ألسنة النـاس أنه من الأوتاد وكان مكـاشفاً يتكلم على الخواطر فيأتون المسـافرون يكلّمهم بما يكون فى سفـرهم ويدخل عليه النـاس من الآفاق فيسميهـم بأسمائهم ويعـرف بلـد كل واحد منهـم وأين مسكنه وكم أولاده ومـن جاره ويقـول لهم : رأيت بلدكم وكذا يتيماً فكنا نـرى أنه يريد التربية الخاصة ، فكـان يحبنا ويألف إلينا وينظر من حـولنا أنـا وإخوتى ويقـول لنا والـدكم عطانى الكلفـة بأن أربيكم وكان ربما دعـانى وألبسنى الثياب الثمينة وأحضر آلات وجعلنـى إمامهم ويأمرهـم أن يطوفـوا بى البلد وكان يشير إلينا بإشارات رأينا أثرها وظهر لنا أمره وبان خبرها فلله الحمد والشكر .

وكـان رحمه الله مهابـا إذا انقبض مـؤنساً إذا أنبسط ، ولهذا الشيخ كـرامـات عديـدة وخوارق عـادات كثيرة لولا خـوف الإطالـة لدرجتهـا ولما مات هـذا السيد حضرت وفـاته وختمت عليه وصاحب لى ختمة من القرآن وليلـة أن مات رأى بعض الناس ملائكة كثيرة هبطت من السماء فقـالـوا نهبط لجنازة فـلان فلما صلى عليـه فى الجامع الأعظم حضر جميع أهل البلد فلم يبق رجل ولا امرأة ولا صبى إلا وحضر الصلاة عليه وكنت فيمن حضر فلما صلى عليـه ورفع سمع ضجـة عظيمة وأصـوات كثيرة بـالتهليل والتكبير حتى كأن الأرض انطبقت فلا شك أن الملائكة حضرت حينئذ والله سبحانه وتعالى أعلم ومنهم .

٥٩ ـ الأستاذ عبد الرحمن التاجورى

قال كان يؤدبنا بآداب الفقراء ويتوسم فينا الخير ويرجو أن تكون الخلافة فينا وصحبناه زمانا وخدمناه أياما وكان صالحاً ورعا متعبدا له أتباع كثيرون وأصحاب صالحون أخذ الطريقة عن الشيخ الصالح الولى العارف القطب الوارث المربى ذى الكرامات الطاهرة والخوارق الباهرة شيخ شيوخ أهل إفريقية سيدى محمد بن أبى بكر وهو أخذ عن سيدى محمد الدخلى وهو أخذ عن سيدى فتح الله العجمى رحم الله جميعهم ونفعنا بهم وصحبنا غير من ذُكر من الصالحين عدداً كثيراً وجمًّا غفيراً كلهم صالحون زاهدون عالمون ذوو طريق قويم وصراط مستقيم كسيدى محمد الأندلسى ، وسيدى محمد المكاوع ، وسيدى عبد الله الكمودى ، وسيدى عبد الحميد ، ابن عمه ، وسيدى محمد الصغير ، وسيدى عبد الرحمن بن إدريس ، وسيدى أحمد الرجبانى ، وسيدى عبد الله العبادى ، وسيدى الشيخ الولى الكامل شيخ زمانه وواحده ،وعملاً وزهداً وتعبداً ، سيدى أبو بكر المحجوب المصراتى وابنيه : سيدى يحيى وسيدى أبى القاسم ، وسيدى على بن أبى القاسم كان فريد عصره ووحيد دهره علما وزهداًوورعاً وتوكلاً وتجريداً حضرى الطبع كثير النفع ، وسيدى محمد غميض ، وسيدى محمد بن سعيد والسيد الصالح الحاج عبد الرحمن الكتفى ، والسيد الصالح سيدى عبد الرحمن بن إدريس التاجورى والسيد الولى الصالح البركة سيدى محمد الصغير من البلد المذكورة والشيخ الصالح السيد التيجينى وسيدى عبد الحميد ، والسيد الصالح التالى كتاب الله سيدى قاسم بن حمدون الأموى وغيرهم ممن يكثر تعدادهم .

وهؤلاء السادات كلهم قادة بهم يهتدى وبسنتهم يقتدى عالمون عاملون جامعون بين الشريعة والحقيقة ذوو صدق فى الإدارة والاستقامة فى السلوك ولهم فضائل كثيرة رضى الله عنهم صحبناهم كلهم وخدمناهم وأتحفونا بأسرار شريفة وحقائق دقيقة لطيفة فلهم علينا المنة الكبرى رحم الله الجميع وأمدنا بأسرارهم .

٦٠ـ الأستاذ بركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب

الطرابلسى الأصل الفقيه الصالح العالم العلامة المفتى المعمر قال العلامة الفاضل سيدى أحمد بابا التنبكتى فى كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج أخذ عن والده وغيره ، لقيه والدى وغيره من أصحابنا وأجازهم .

ألف المنهج الجليل فى شرح مختصر خليل فى أسفار أربعة ، توفى بعد ٩٨٠ الثمانين وتسعمائة عن عمر عال أخذ عنه ابن أخيه العالم يحيى الحطاب شيخنا بالإجازة انتهى .

٦١ـ الأستاذ أبو زكريا يحيى الحطاب

قال فى كفاية المحتاج يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكى فقيهها وعالمها شيخنا بالإجازة كان عالماً متفننا فاضلاً مؤلفاً صالحاً وآخر فقهاء الحجاز له تواليف فى الفقه والمناسك والنحو والحساب والعروض وغيرها . لقيه جماعة من أصحابنا بمكة أجاز فى مكاتبة فى أشياء معينة ، ثم عمم وكتب لى بخطه وتوفى بعد ٩٩٣ ثلاث وتسعين وتسعمائة رحمه الله .

٦٢ـ الأستاذ أحمد بن عبد العزيز الأوسى الأنصارى

قال فى الإرشاد : كان صالحاً فقيهاً فاضلاً نحويا لغويا عروضيا ورعاً زاهداً عارفاً بالحديث وطرقه ومعرفة رجاله كثير المتابعة ؛ لما كان عليه المصطفى ﷺ معتكفاً بالمسجد الذى أسسه والده غالب أوقاته يعلم الناس العلم ، وكان جميل العشرة مع من صحبه

حسن اللقاء محبا فى الفقراء والمساكين مؤثراً لهم حريصاً على إيصال النفع لعباد الله . تولى النيابـة إلى أن توفى ليلة الاثنين سـادس أشرف الربيعين سنـة ١٠٢٣ ثلاث وعشرين وألف رحمة الله تعالى .

٦٣ـ القطب العارف بالله سيدى محمد العبد

الولى الكبير والقطب الشهير فـريد عصره بـلا نزاع ووحيـد دهره بين هـذه البقاع ، العارف بـالله تعالى القـدوة مربى المريـدين ، ومرشـد السالكين ذو الكـرامات الشهيرة ، والأحوال الزكية الكـريمة سيدى محمداً الصيد ، والصيد فى لغة هـذا القطر هو الأسد ؛ وسمى بذلك لكثرة ردعه الظلام وقهر الجبابرة .

وكـان رحمه الله تعالى لا يجترئ على معـارضه فيما آمـر بـه ولا يتعرض لمن انتسب إليـه لهيبته عند الأمراء وأمره عنـدهم مطاع وظهرت له كرامات خارقـة ، وقد أخذ الطريقة على سيـدى عيسى بن محمد التلمسـانى المشهـور بأبى معزة ، وهـو أخـذ عن الولى الصـالح الكبير ، والعالم الشهير سيدى أبى عمـر المراكشى رضى الله عنهم ونفعنا بهم توفى رحمه الله تعـالى فى سنة ١٠٥٠ خمسين وألـف ودفن فى زاويته بـالهنسير على ستـة أميال مـن مدينـة طرابلس ، وضريحه هذا مشهور يقصد للزيارة والدعاء فيه مشهور الإجابة .

٦٤ـ أبو العباس أحمد بن محمد من ثغر طرابلس

أبـو العباس أحمد بن محمـد من مـدينة طـرابلس الغـرب ، الشيخ الصالح الصـادق الأحوال المشتهر البركات قال المراكشى فى كتاب صفـوة من اشتهر من أخبار فصحاء القرن

الحادى عشر قال : كان رحمه الله تعالى مجذوباً سالكاً والغالب عليه الجذب أخذ عن سيدى أحمد الشريف البقال ، ومن كراماته أنه لما حج بقى أمام النبى ﷺ وقال فى نفسه : أنا لا أذهب لزيارة حمزة ولا لغيره ، النبى ﷺ يكفينى قال : فأخذتنى سنة فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال لى : ياأحمد ياحبيبى عم الرجل عوض أبيه قال فقمت فى الحين وذهبت لزيارة سيدنا حمزة وكان وقت خوف فلقيت فى هناك ثلاثة رجال أحدهم الخضر عليه السلام وفى فوائده قال : أخبرنى الشيخ اللقانى أن الوزغ يتفدى بعينه وأنه أى اللقانى كان ذات يوم يأكل بطيخا ووزغ ينظر إليه من السقف فأمره بقتله فوجدوا معه من الخضراء التى كان الشيخ يأكلها وكان المترجم حيا فى ١٠٦٠ الستين وألف .

٦٥ ـ الشيخ محمد بن شعبان

قال فى خلاصة الأثر : الشيخ محمد بن شعبان الطرابلسى الحنفى من أهل طرابلس الغرب ذكره ابن نوعى ووصفه بالفضل الباهر وقال : قدم قسطنطينية فى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف وتناظر مع علمائها فظهرت مزيته وروعى حقه ، وأقبل عليه شيخ الإسلام صنع الله أفندى بن جعفر وأعطاه قضاء بلده باعتبار المولوية ، وأضاف إلى القضاء الفتوى والتدريس ، فتوجه إلى وطنه ، وله تآليف باهرة منها شرح مجمع البحرين سماه تشنيف المسمع فى شرح المجمع ، وجمع مناقب الشيخ أبى الغيث القشاش ، وله غير ذلك من الآثار ماليس له نهاية ، وفتاويه كلها مسلمة توفى سنة ١٠٢٠ عشرين وألف رحمه الله تعالى .

٦٦ ـ الشيخ أحمد بن عيسى اليربوعى

كان علماً من أعلام الزمان ، وعينا من أعيان البيان باهر الفصاحة طاهر الجنان

والساحة أثنى عليه الأستاذ العياشى رحمه الله تعالى فى رحلته بقوله : وكان الشيخ أحمد بن عيسى من أماثل هذه البلد علماً وورعا وذكاء أخلاق وطيب أعراق وكان أبوه سيدى عيسى هو قاضى المدينة منذ أزمان كثيرة فلما توفى أبوه تولى هذا القضاء ، وحمدت سيرته فيه ، وتحلى بحلية العدل ، ثم استعفى ثم أعيد ثانية وعظم صيته وانتشر الثناء عليه وكثر ما حده إلى أن توفى رحمه الله تعالى فى سنة ١٠٧١ إحدى وسبعين وألف وكثر توجع الناس عليه وأعقب الذكر الجميل فيهم كلما سمعنا خبر موته تفجعنا لفقده رحمة الله عليه تترا ورضوانه دنيا وأخرى .

٦٧ ـ الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل

الفقيه الصوفى الفاضل ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ، ونشأ بها وقرأ العلوم على غير واحد من أفاضل عصره وروى بها وأسمع ، ولم تكن له رحلة ، وكان رحمه الله تعالى من الطلبة المخلصين ، ومن كبار الحفاظ الثقات المحدثين زاهداً ورعا ، ومن عباد الله الصالحين قال الأستاذ أبو سالم العياشى رحمه الله تعالى : وهذا الشيخ رضى الله عنه من أحسن من رأينا سمتاً ودلا وأصدقهم قولاً وفعلاً ، له مشاركة فى العلوم ، وحسن اطلاع على فروع المذهب . طالت ولايته للفتوى نحو أربعين سنة ، وحمدت سيرته فيها وله مع ذلك ميل قوى لطريق القدم وقد أخذ الطريق على ولى الله بلا نزاع بين أهل تلك البقاع سيدى محمد الصيد وقلت فيه رضى الله عنه :

أسيدنا مفتى الورى ابن مساهل ... ومنهل فضل فاق كل المناهل
عليك سلام الله ممن غدت لكم ... عليه أياد فى الفصول الأوائل
بنورك يستهدى إذا الارض أظلمت ... على أهلها بالجهل أهل السواحل
فكم قد أملت ألوف سائلة وكم ... نال بلا سؤال وجدت بنائل

توفى رحمه الله تعالى فى غرة رمضان سنة ١٠٧٧ سبع وسبعين وألف .

٦٨ـ العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن الإمام

الأستاذ الفاضل الذاكر العامل صاحب العلوم اللدنية والمعارف القدسية القدوة الهمام أبو عبد الله الشيخ محمد بن أحمد بن الإمام . كان رحمه الله تعالى من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء وجمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع لعبادة الله تعالى والتخلى عن الناس والتمسك بطريق السلف الصالح كثير التلاوة والخشوع وشرح خليلاً شرحا حافلا رحمه الله ونفعنا بأسرار علومه وتوفى رحمه الله تعالى سنة ١٠٨٣ ثلاث وثمانين وألف .

٧٠ـ الأستاذ محمد بن سعيد الهبرى

العارف بالله تعالى الناسك العابد الورع الزاهد ، أبو عبد الله الشيخ محمد بن سعيد ابن عبد الحق الهبرى المستغلنمى ، ولد رحمه الله تعالى بمستغانم قرية من عمل جزائر الغرب وبها نشأ وأخذ عن أفاضلها وتفنن فى العلوم من الأصول والفروع ، ثم ارتحل إلى طرابلس واستوطنها وأخذ عن الأستاذ الكبير والعلم الشهير العارف بالله تعالى الشيخ سيدى أحمد النفاتى واهتدى بهديه واستنار بنوره حتى تمكن عن طريق القوم ورسخ قدمه فيها وصار من كبار العارفين بالله ومن أجلاَّء الشيوخ ، وأكابر العلماء العاملين .

له باع طول فى تفسير القرآن العظيم والأحاديث النبوية والأسرار النورانية مذلل له القول ممهد له الصواب مسخر له الخطاب . أخبر الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصارى قال : حدثنى الشيخ محمد بن سعيد عن سبب قدومه لطرابلس واستقراره بها قال : كنت متعلقاً بالبحث عن صاحب الوقت فحمت أماكن بالمغرب أسأل عنه فقيل لى : إنه بناحية المشرق فأتيت تونس وزرت أوليائها فقال : لى رجل اعتقدت صلاحه إنه بطرابلس فارتحلت إليها وقدمت جبل غريان فوجدت لدى ضريح من كبار أوليائها رجلاً صالحاً

فقال لى : ياولـدى إن صاحب الوقت بغار تاجوراء ووصف لى البلـد والمنزل فخر. ت من غريان صباحاً ووصلت تاجـوراء قبل العصر وكنت ألبس قلنسوة أعطانيها رجل اعتقدت صلاحه وقال لى : إن فيها السر ، فبينما أنا بأزقة البلد وإذا برجل عليه قلنسوة حمراء جديدة اختطف قلنسوتى وألبسنى قلنسـوته فعز بى ذلك وقال لى : وهـذه فيها السر فسألت عن الرجل فقيل لى : هـو سيدى أحمد أبـو قطاية المتقـدم ذكره ، ثم أتيت الـدار التى قصدتها فخرج الشيخ محمـد بن الشيخ القطب سيـدى النفـاتى فتطـارحت بين يديـه وتكلمت لـه بمـرادى فقـال لى : لم أر شيئاً سـوى مـا تـرى من أرض ونخل ولكن اذهـب إلى ابن أخى سيدى أحمد فإنه تكلم بما تكلم به وهو الآن بالظهرة التى قرب المدينة يعلم القرآن العظيم لعل الله يفتح لك الباب على يديه فأتيته بالموضع فلما رأيتـه وجدته هو الذى رأيته فى منامى فسلمت علبه فلم يكترث بى وغضب وتلظّى واستطـال علىّ بالعنف وقال : من دلّل علىّ فما ازددت ألا تعلقـاً ثم قـــال أمـا علمت أن أهل البلـد يسمـونى أحمد الكـذاب فقلت ياسيدى : إن كنت كاذباً فأكذب معك والحالـة التى أنت عليها أكون عليها فحينئذ فرح وجدد لى السـلام وكان لـه صــاحبان وهما ســيدى أحمد بن شمس الـدين وسيدى على الأسير وكان يبشرهما بقدومى فصرت ثالثهما وأخذت عليـه واهتديت بهديه رحمهم الله تعالى وأمدّنا بأسرارهم وتوفى رحمة الله تعالى سنة ١٠٩٣ .

٧١ - العارف الشيخ أحمد المكنى

الفقيـه العلامـة العـارف بالله تعـالى الشيخ أحمد بن محمـد المكنى ولد رحمه الله تعـالى بطـرابلس سنـة ١٠٤٢ اثنتين وأربعين وألف ، ونشأ بها ، وحضر مجالس العلم والعـرفـان وصحب المشايخ ومشاهير الفضلاء من أهل زمانه ، وجمع علم الشريعة والحقيقة ومهر فى علوم الفقه حتى صار فقيه عصره والمشار إليه فى عصره .

وتولى الإفتاء بنفس الثغر ، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم ثم تخلى عن الإفتاء وقنع ،

وتورع وأعرض عن الشهوات فأصبح زاهداً عابداً متشقّفًا وجرت منه دعوات مجابة وظهر له كرامات خارقة للعادة .

ومن مؤلفاته شكر المنة فى نصر السنة قال الأستاذ أبو سالم العياشى رحمه الله تعالى :
وممن لقيته بطرابلس فقيهاً الشيخ الذكي والفقيه اللوذعى خير خلف من خير سلف سيدى أحمد المكنى بيته بيت علم من لدن آسلافه الكرام (وأبوه سيدى محمد المكنى كان أعلم أهل ذلك الساحل تولى الفتوى ببلده مراراً ، واشتغل بالتدريس ، وله مشاركة حسنة فى فنون كثيرة توفى قريباً من سنة ١٠٥٦ ست وخمسين وألف) ولم يخلف إلا ولده هذا واشتغل بالقراءة على شيخنا سيدى محمد بن ساهل وعلى غيره وكان له ذكاء عقل ، وزيادة نبل فمهر فى فنون عديدة وفاق أقرانه فلما عزل شيخنا ابن مساهل عن الفتوى تولاها هو فحمدت سيرته فيها ، وظهرت نجابته وسدد فى فتواه وولى أيضاً تدريس الجامع الكبير والخطبة والإمامة لقيته بداره واستعرت منه المطول لسعد الدين فأعاره لى ، وكانت له خزانة ليس مثلها لأحد من أهل بلده ثم استعرت منه بقولك بعد ذلك العضد على مختصر ابن الحاجب ، وكان ذلك قرب رحلتنا فأعاره لى وكتب له مع الرسول بيتين وهما :

فمنوا به قبل الرحيل لنا كما ... تفضلتمُ من قبله بالمطول
فإنكم أهل لكل فضيلة ... كما أنكم أهل لكل تفضل

٧٢ـ الشيخ محمد بن مغيل

الإمام العلامة الحجة الفهامة الفقيه الصوفى صاحب العلوم اللدنية ، والمعارف القدسية ولد رحمه الله تعالى بطرابلس سنة ١٠٥٤ أربع وخمسين وألف ونشأ بها وقرأ العلوم على مشايخ عصره ، وخدم الأستاذ أحمد المكنى وتلمذ له ونال علماً وافراً ، واشتهر بالفضل والذكاء وجودة الطبع وحسن الشعر والفصاحة فى النظم والنثر .

وكان من أحـد الأئمة المبرزين المتبحـرين فى العربية والفقـه فى مذهـب الإمـام مالك ى الله تعـالى عنه ، وتولى الإفتـاء وحسنت سيرته ولم تكن لـه رحلة ومن نظمـه يخاطب ستاذ محمد الإمام المتقدم ذكره لما وفد على طرابلس :

ـد لاح فى أفق الـذكـاء ذكـاء	بـه انجـاب عن وجـه العـويص غطـاء
ـاهـو إلا الأوحـد الجهبـذ الـذى	عليـه بمضمار الفحـول لـواء
ـام همام قـد عـلا منبر العـلا	فأفحـم من تبيـانـه البلغـاء
س لـه سلطـان كل ريـاسـة	إذا مـا تـراءى قهقـر الفصحـاء
ـذا البـارع البحـر العبـاب محمـد	إمـام لـه بـابـن الإمـام جـلاء
ـه مقـاليـد البراعـة سلمت	فحـق لها فخـر بـه وعـلاء
ـائفـة جلت فكم مـن أفـاضل	أمـاثـل أعيـان لها خطبـاء
هـا شمـوس كـالغـزالـة مسبل	عليهـا حجـاب اللغـز وهى ضيـاء
ـؤنس فى دار الـدجـا ووصـالها	ووصل الملاح الغـانيـات سـواء
لمحت تضنـى بلـدغـة لحظهـا	ومن شهـدهـا للـذائقين شفـاء
ـذا خطـاب كـاشف السر كـاسهـا	لتقصيره والعجـز فيـه وفـاء
ـلا زلت حبرًا للفـوائد لافظـاً	نفـائس منهـا تنفق الأدبـاء

وتوفى رحمـة الله تعـالى ليلة الأحـد الموافق لتسع من جمادى الأولى سنـة ١١٠٠ مائة ف .

٧٣ ـ السيد سعيد الشريف

الشيخ العارف مستجمع العلوم والمعارف فريد عصـره وأوانه الأسـتاذ السيد سعيد

الشريف وُلدَ بمدينة طرابلس الغرب ، وكان والده نقيب الأشراف بها وحفظ بها القرآن العظيم وتفقه ، ثم قدم إلى مدينة تونس وأخذ عن مشايخ أجلة منهم الشيخ العلامة محمد العماد وعن الشيخ قدوة العلماء سيدى عبد القادر الجبالى وعن الشيخ سيدى محمد فتاتة ، وعن الشيخ جعفر قرباصة ،وعن الشيخ على الأندلسى وغيرهم من علماء الوقت وانتهت إليه الرياسة واليد الطولى فى المعقول ، والمنقول ، وبلغ المرتبة العلياء فى النحو ، واللغة ، والمنطق والمعانى والبيان ، وعلم الحديث ، ومصطلحه ، وأخذ عنه أجلاء العصر ، واسنفادوا منه كثيراً وهو شيخ مشايخ عصره فى العلم ، والبركة ، والدين محقق مدقق صرف مدة عمره فى التدريس أفاد وأجاد ورحلت إليه الناس من أقاصى البلاد وأخذوا عنه ، وكان يقسم الليل ثلاثاً ثلثا للمطالعة ، وثلثاً للنوم ، وثلثاً للقيام والعبادة .

وكان صاحب كشف و إشارات لا يخاف الحكام وكان ذا هيبة ووقار ويقرأ كتب المعقول عن تحقيق وله باع طويل فى قراءة مختصر الشيخ خليل ، وكان إذا حضر مجلسا واجتمعت فيه العلماء لا يؤخذ إلا بقوله وكان متينا فى الديانة تخرج عليه خلق درس بجامع الزيتونة درسين فكان يدر س فى الصباح ألفية المصطلح وقطب الدين الشيرازى على الشمسية فى المنطق ومختصر التفتازانى على التلخيص قراءة تحقيق فى جميعها ويجلس بعد الظهر به أيضاً لإقراء مختصر الشيخ خليل إلى قرب العصر قراءة تحقيق أيضاً وكان له قدم فى الطريقة ربما كاسف توفى رحمة الله تعالى سنة ١١١٢ أثنى عشر ومائة وألف .

٧٤ـ العارف بالله تعالى الشيخ أحمد البهلول

العارف بالله تعالى طود العلم المنيف وعضو الدين الحنيف ومالك أزمة التأليف عالماً عاملاً زاهداً ورعا متقشفاً حليماً متواضعاً هينا لينا سخيا جوادا عطوفا رءوفاً رحيما جمالياً لا يكاد أن يصبر عليه جميع من يعرفه قال لى مرة : ياولدى أبداً ما عاشرت إنسانا مطيعا أو مسيئًا وسرنى فراقه .

كان رضى الله عنه كثير البذل والعطاء ، وكان يطعم الطعام الكثير ، وكان يقول : طريقنا طريق الأفايدة والمائدة والحكمة الزائدة وكان كثيراً ما يتمثل بقول القائل :

ذرونى فإن البخل عار بأهله   وما ضرَّ مثلى أن يقال عديم

كان رحمه الله تعالى يمد أصحابه بخالص التوحيد وصرف المعرفة بالأمور العادية . كان رضى الله عنه إذا حاول بعض أصحابه أمراً وتعاصى عليه يقول له قل : باسم الله وقد قيل بـالله من الولى بمنـزلـة كن من الله تعـالى . كان إذا تكلم على الأوراد يقـول وِرْد المحققين إسقاط الهوى ومحبـة المولى . كان رضى الله عنه إذا وقع من بعض أصحابـه سوء أدب وأراد الشخص أن يقيم القدر لذلك يقول له : قالوا كن مع العارف كيف شئت . كان رضى الله ذا شيبة عظيمة عليهامن النور والبهاء مـالا يزيد عليه . كان رحمه الله تعالى حسن السمت وآثار الخير لائحة عليه وبالجملة فما هو إلا كما قيل :

لـــو لم تكن لـــه آيـــات مبينـــة لكـــان منظـــره ينبيك بـــالخير

كان رضى الله عنه يقول : طريقتنا طريق التربية بالهمة وهى طريقة السلف الصالح .
كان رضى الله عنه مجرداً من اللحم قـد مصَّته العبادة وأدبلته المجـاهدة ، حتى يبس جلده على عظمه وأنشدوا :

إذا مـاشكـوت الحب قـالت : كـذبتنى فما لى أرى الأعضـــاء منك كـواسيـا
فـلا حب حتى يلصـق الجلـد بـالحشى وتــذهـل حتى لا تجيب المنــاديـا

قال لى يوماً : يـا ولدى إنى لا آكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أيـام أَتَجَرَّعُ جرعة حليب .
كان رضى الله عنه ساكن الأحوال والأفعال والأقوال وفى مثله قيل :

ومن عِلْمــه أن ليس يُــدْعَى بعـــالم ومن فقـــره ألا يُـرَى يشتكى الفقـــرا
ومن حـالـــه أن غـاب شـاهـد حـالـه فـلا يـدعى وصـلا ولا يشتكـى هجـرا

كـان رضى الله عنه قـد كف بصره فى آخـر عمره فكـان يقـول : ما بقى علىَّ من فَقْـد بصرى إلا وجوه الأحبة فى الله والنظر فى كتب الطريقة .

فصل فى ذكر مشائخه

أخذ رضى الله عنه عن عدة مشايخ منهـم : الشيخ سيد محمد بن عبد الحفيظ الصيد كان من أكابر العارفين قيل إنه بلغ القطبانية الكبرى ومات فى اليوم الذى وصلها .

ومنهم والده الشيخ سيـدى محمد بن جـابر كان ممن أطلعـه الله على سر الحرف فكان يتصرف به ، ومنهم الشيخ العـالم العامل الفقيه سيدى محمـد المكنىّ أخبرنى الشيخ : بأنه أخبره بإنه دخل الخلوة الاصطلاحية يعنى الأربعينية وفتح عليه .

ومنهم الشيخ الصـالح العـالم العامل الفقيـه المحـدث المتفنن سيدى أحمد بن نـاصر المغربى الدرعى . كان رضى الله عنه يأخذ عن الشيخ زروق يقظة فكان يأتيه ويربيه قال لى مرة : ياولدى خطر لى فى بعض الأيام أننى من الصـالحين فجاءنى العـارف بالله سـيدى أحمد زروق فى اليقظة وقال : ياأحمد من خصال الصالحين كذا فهل أنت كذلك فقلت : لا ثم قـال : ومن خصالهم كـذا ومن خصالهم كذا وعـدد لى نحو العشر خصـال فأحجلنى وانصرف عنى وقال لى أيضـاً : قلت مرة فى نفسى نقـول ياسيدى فـلان فهلا نقـول يا الله يارسول الله فجاءنى العارف بالله سيدى أحمد زروق فقال لى : ياأحمد قل يا الله يارسول الله ويا أولياء الله .

قال الأستاذ عبـد الله الهاروسى خدمته سنتين ، وكان رضى الله عنـه يحبنى محبة زائدة ودعا لى بدعوات أنـا إلى الآن نخوض فى بركتها وقرأت عليه من كتب الطـريقة منها عوارف المعارف للسهـروردى ، وكتاب آداب المريـدين له أيضـا وهى من أمهات كتـب التصوف وطرفا من القـوت وطرفا من الإحياء ، وقرأت عليه من كتب ابن عطـاء الله الحكم والتنوير وتاج العروس ، ولطائف المنن ، والقول المفـرد فى الاسم المفرد ، ومفتاح الفلاح وكتب ابن عياد عـالم الصلحاء وصـالح العلماء شهير الكرامـات كبير المقامـات الأستاذ أحمد الملقب بالبهلول ابن حسين بن أحمد محمد بن على بن أحمد بن قائد بن أحمد بن سيد الناس .

ولـد رحمه الله تعالى بطـرابلس ونشأ بها على الاستقامـة والصلاح والاهتـداء وارتحل فى طلب العلم إلى مصر ولقى بها الشيخ أحمد البشيشى الكبير والشيخ محمد الخرشى والشيخ عبد الباقى الزرقانى والشيخ الشرنبلالى وعدة أفاضل .

وروى الحديث وتفقه بهم فى كل العلـوم وناظر وأخذ بحظٍّ وافر وعـاد إلى طرابلس ، وكان رحمه الله غزير المادة باهراً فى الرواية والدرايـة كلفا بالمعانى البديعة والألفاظ الصقيلة

وله القصائد المشهورة البلاغة منها ، تخميسة العياضية فى مدح خير البرية ، فاق فيه الأصل وله الرسائل المشهورة الفصاحة والآداب السنية كالمقامة الثورية ، واختصر العربية نظماً رائعاً سالماً من الحشو ، وله منظومة فى العقائد سماها درة العقائد ، وهى سبعون بيتا ولم ير مثلها فى سلاسة النظم ، وعذوبة اللفظ تهب ريح المعرفة من أرواحها ، وتسقط لؤلؤ اليقين على باسم أزهارها ، وله منظومة فى مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه سماها المعينة وكان رحمه الله علامة عصره فى كل العلوم ففى أى علم تكلم أعجز فحوله وأفحم بلغاءه وقد مدحه الأفاضل بغرر القصايد فمما مدح به :

يا فاضلا فضله بين الورى ظهر — وعاقلاً وهو بالبهلول قد شهرا
ويافقيها له فى الفقه مرتبة — أبدى بها سر ما أخفى من اختصرا
وعالما بتقارير الشفاء شفا — أمراض قلب الذى فى درسه حضرا
وصح لما روى عنه مشافهة — صحيح متن البخارى وارتووا دررا
لقد حباك إله العرش جل بها — حباك محا بة قد صرت مشتهراً
بابن الحسين جزاك الله مكرمة — أبديت فى كل علم للورى عبرا
عرية الشاذلى كانت منثره — نظمتها فعَلَتْ قدراً على النظرا
وفى العقائد أبديت لمشتغل — بعلمها درة قد فاقه الدررا
كفاك فى مذهب النعمان نظمكم — معينة سرها فى السالكين سرا
وكم مسائل قد كانت مشتَّتة — جميعها فغدت كالدر حين برا
يا أيها العلم الفرد الذى انتحرت — به طرابلس لما أن بها اشتهرا
دامت عليك من المولى نعائمه — ولا برحت بسر الله مستترا
ودمتمو قِبْلَةً للقاصدين ولا — زالت فضائلكم فى العالمين ترا
بجاه أحمد خير العالمين ومن — على البراق إلى السبع الطباق سرا
عليه والآل والأصحاب قاطبة — تحيَّة عرفها قد أخجل الزهرا

رحم الله الجميع ونفعنا بهم وأمدنا بأسرار علـومهم وبركاتهم آمين وتوفى رحمه الله تعالى ليلة السبت الموافق للثانى من رجب سنة ١١١٣ ثلاث عشرة ومائة وألف .

٧٤ـ العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن أحمد النائب

قـال فى الإرشاد : كـان من أولياء الله تعـالى الـذين جمعوا العلم والعمل زاهـدا تاركـاً للشبهات ، رقيق القلب ، شديد الحزن ، غزير الدمعة ، مجاب الدعوة ، حسن الأخلاق ، أخـذ عن جماعة مـن العلماء منهم العارف بـالله تعـالى الأستاذ أحمد بـن محمد بن محمـد البهلـول ، والفقيه المفتى الشيخ محمـد بن مساهل ، وتـولى النيابـة بعد والـده وتوفى عنـد الزوال يوم الأحد مهل محرم الحرام سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف .

٧٥ـ العارف بالله تعالى سيدى أحمد بن جاز

قـال الأستـاذ عبـد الله الخيـاط بن محمـد الهاروشى المغــربى الفـاسى منشأً ودارًا ثم التونسى رحلـة وقرارا قـال : أما شيخنـا العارف بـالله ، والدال على الله مربـى المريدين ، ومرقى السـالكين وقدوة عيـون العارفين صاحب القـوة والتمكين والرسـوخ فى اليقين فهو الشيخ أبو العباس سيدى أحمد بن الشيخ سيدى محمد بـن جابر النابلسى نسبا الطرابلسى منشأً ودارا . كتب رضى الله عنه التنبيه والرسائل الكبرى ، ومن كتب العارف بالله سيدى أحمد زروق النصيحة الكافيـة وبدل المناصحة ورد الحوادث والبـدع وأحوال الطريق ومبنى الطريق وإعانة المتوجه المسكين وعـدة المريد الصادق وشرح عيوب النفس وشرح المباحث الأصلية وشرح الـوغليسية وشرح القـرطبية ونبـذة من شرحه لـرسالـة ابن أبى زيـد وكتاب القواعد من نسخة عليها خط المؤلف وغير ذلك ومن أخذ عنه وانتفع به .

٧٦ـ الشيخ سيدى محمد بن دوحة من بلاد سوكنة

رجل زاهد عابد متقشف أكرمه الله بطى الأرض ولما استشعرت منه ذلك فى بعض الأيام سألته فقال لى : كثيراً ما يقع لى ذلك ومنهم .

٧٧ـ الشيخ سيدى عبد الرحمن المجدولى من أهل تاجوا

كانت بين عينيه غرة من أثر السجود كأنها نور تتلألأ كأن أقمار كانت (هجيراه) لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد رأيته وهو فى غطيط النوم الثقيل وهى تخرج من أنفاسه كما له فى اليقظة وذلك (فى) بحسب امتزاجها بلحمه ودمه وقال لى : قالوا يعنى أولياء الله ابقى تحية الأولى بيض والثانية فروخ والثالثة ريش وإذا طار الطائر فلا يقف إلا حيث شاء الله إشارة إلى أن الدعاء يرتفع مع الثلاثة ويلح أبواب الإجابة ومنهم .

٧٨ـ الشيخ سيدى الحاج عبد الرحمن بن عبد النبى أبو سيف

له أسلاف فى هذه الطريقة من أكابر الأولياء له بركة ظاهرة ، ومزيد اتباع اجتمعت به بمحروسة طرابلس فتكلمت معه فى شىء من كلام أهل الطريقة ، ثم قلت له : إنا لله وإنا إليه راجعون خاف ساداتنا رضى الله عنهم كثيراً مما وقعنا فيه وقد قالوا : أوفأ آفة المنطق الشهرة وكفى بها بلية فقال لى : ياأخى إنما كان هذا فى زمن السلف الصالح حيث كان هذا الماء فى كل مكان ، أما اليوم فالذى يمنع هذا إنما أراد قتل إخوانه عطشاً لأنك لا تكاد تجد اليوم من أين تشرب هذه المعارف ولامع من تتكلم فى هذه الحقائق فالذى يمنع هذا كمن هو على فضل ماء يمنع منه ابن السبيل فاستحسنت كلامه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، قال : فوضع يده الكريمة على قلبى وقال لى : ياولدى الغيبة حرام ألم تسمع قوله تعالى ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً** ﴾ الآية والغيبة فيها التكدير بين

الأخوان ، وخراب الجنـان وفيها البعد عن الإحسان وفيها غضب الـرحمن ، وفيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر على قلب بشر . فالمراد أن لا تغتب أحـداً فإن كان ولابـد فاقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين واهدى ثـوا بها للمغتاب فيه لعلهما يتوارثان ويترا فعان إن شاء الله ، وكما قال صلى عليه وسلم وهـو إنما قال لى : رد بعض الصالحين تستراً على حب عادتهم وفهمت أنا بـالقرائن أنه هو الراوى وهذا الـرجل ممن غلب عليه الورع الكبير حتى عمل قولـه صلى الله عليه وسلم : يـوشك أن يكون خير مـال المسلم الغنم يتبع بها شعب الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن فهو إلى الآن على هذه الحالة بمكان يقال له رأس الطبل من عمل طرابلس له بـركة ظاهرة وكـرامات خاطرة ، معظم محترم عند الكـافة تاب على يده خلق كثير من المفسدين فى الأرض ، ولـه وجاهة عند السلطنة وكلمة نـافدة ببركة اتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم ولده .

٧٩ـ العارف بالله تعالى سيدى محمد الصالح

كان رحمه الله تعالى من أجمل الناس وجهـا ، وأحسنهم خَلْقَاً وخُلقَاً ، كان رحمه الله الغالب عليـه شهود الحقيقة كانت تعتريـه الأحوال العظيمة فيكاد يتـلاشى منها ، ويفنى ويضمحل ويمسك مع ذلك نفسه كان والده سيدى الشيخ يحبه كثيراً ويثنى عليه ، وكان يقول : محمـد الصالح يكون أعظم منى وكـان له فهم رقيق فى علوم هـذه الطائفة عـاشرته أزيد من سنتين لا نعرف له عبادة إلا أداء الفرائض فقط ومـاهو إلا المشاهدة والمراقبة . قال لى مرة يا أخى إنى لأترك قراءة حـزب النووى فى أكثر الأوقات لما أجد فى نفسى من الاعتماد على مافيـه من التحصن ؛ لأن ذلك يفوتنى الاعتماد على الله . ورأيتـه مرة ينظـر فى كتاب الطبقات فقلت بـه : ياأخى ما فـائدتنا فى معـرفتنا أن فلانـاً كان يملك كذا وكـذا وفلان يملك مائة ألف لو خدمنا فى درهم واحد لعاد علينا نفعه ولكان أولى وأليق بنا .

وهذه الطبقـات فيها كان فلان يصلى الصبح بـوضوء العشاء أربعين سنة وكـان فلان

يمكث أربعين يوماً لا يأكل شيئاً ونحو هذا فقال لى : ياأخى إن النفس فى بعض الأحيان تحدثنى إنى من الصالحين فأتيت بها لهذا الكتاب حتى تسمع كيف كان حال الصالحين فتترجر وتخلف وتعرف قدرها وقد كان عاهد فى أول معرفتى له إن من سبق منا لحضرة الله تعالى يكون آخذاً بيد أخيه بالحمد لله رب العالمين . توفى رحمه الله تعالى أواسط سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف ودفن لجنب والده . انتهى .

وكانت وفاة والده سيدى أحمد بن جابر يوم الجمعة تاسع صفر الخير سنة ١١٣٧ سبع وثلاثين ومائة وألف ودفن بزاويته وقبره مشهور ظاهر يزار .

٨٠ـ محمد بن أبى بكر بن محمد المغربى الشهير بالأثرم

الشيخ الفاضل محمد بن أبى بكر بن محمد المغربى الطرابلسى الشهير بالأثرم المجذوب صاحب الأحوال قال العلامة الجبرتى فى تاريخه : ولد بقرية من عمل طرابلس فى حدود ١١٤٥ خمس وأربعين ومائة وألف وتنسب جدوده إلى خدمة الولى الصالح الشهير سيدى أحمد زروق قدس الله سره وغلب عليه الجذب فى مبادىء أمره ، وحفظ جملة من كلام الشيخ المشار إليه ومن كلام غيره ، وقد توجه إلى تونس برسم التجارة ، وظهرت له أمور هناك واشتهر أمره وأتى إلى الإسكندرية فسكنها مدة ثم عاد إلى مصر وهو مع ذلك يتجر فى الغنم وتموّل ، وكانت الأغنام تجلب من وادى برقة فيشارك عليها مشايخ أولاد على وغيرهم فيه فصاحة زائدة وحفظا لكلام القوم وذوق وفهم ومناسبات للمجالس ، وله أشراف على الخواطر فيتكلم عليها فيصادف الواقع . توفى نهار الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة ١٢٠١ إحدى ومائتين وألف .

٨١ـ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن مكرم

قدوة المحققين وفخر العلماء الراسخين صاحب لسان العرب أبو عبد الله محمد

ابن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم بن حقَّة بن منظور الأنصارى الطرابلسى نزيل مصر يتصل نسبه بسيدنا رويفع بن ثابت الأنصارى . قال الأستاذ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : ولد فى المحرم سنة ثلاثين وستمائة وسمع من ابن المقير وغيره وجمع وعمر وحدث واختصر كتباً كثيرة من كتب الأدب المطولة كالأغانى والعقد الفريد ومفردات ابن البيطار . ويقال : إن مختصراته خمسمائة مجلد وخدم ديوان الإنشاء مدة عمره وولى قضاء طرابلس ، وكان صدرًا رئيسًا فاضلاً فى الأدب مليح الإنشاء روى عنه السبكى والذهبى وقال : تفرد فى العوالى .

وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ واختصر تاريخ دمشق فى نحو ربعه وعنده تشيع بلا رفض ، وذكر الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة مثله وقال : كان مغرماً باختصار كتب الأدب المطولة كالأغانى والعقد والذخيرة ونشوان المحاضرة والتواريخ الكبار ، وكان لا يمل من ذلك قال الصفدى : لا أعرف فى الأدب وغيره كتابا مطولاً إلا وقد اختصره قال : وأخبرنى ولده قطب الدين إنه ترك بخطه خمسمائة مجلد ويقال : إن الكتب علقها بخط خمسمائة مجلد قلت : وجمع فى اللغة كتاب لسان العرب جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية وحاشية الصحاح جدده ما شاء ورتبه على ترتيب الصحاح وهو كبير قال أبو حيان أنشدنى لنفسه :

ضع كتابى إذا أتاك إلى الأر ... ض وقلبه فى يديك لماما
فعلى ختمه وفى جانبيه ... قبل قد وضعتهن توأما

قال وأنشدنى لنفسه أيضاً :

الناس قد أثموا فينا بضنهم ... وصدقوا بالذى أدرى وتدربنا
ماذا يضرك فى تصديق قولهم ... بإن تحقق ما فينا مايظنونا

قال الصفدى : هو معنى مطروق للقدماء لكن زاد فيه زيادة وهى قوله ثقة بالعفو من

أحسن متممات البلاغة وذكر ابن فضل الله أنه عمى فى آخر عمره ، وكان صاحب نكت ونوادر وهو القائل :

بـــــالله أجـــــزت بـــــوادى الأرا	ك وقبّلت عيـــــدانـــــه الخضر فـــــاك
فـــــابعـــث إلى عبـــدك مـن بعضهـــــا	فـإننـى والله مـــــالى ســـــواك

٨٢ـ الشيخ محمد العربــى

الفاضل الأديب والشهم النجيب الأريب الشيخ محمد بن العربى محمد بن حمودة بن الصغير الهاشمى ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وأخذ عن أفاضل عصره ، وكان كلفاً بالقرءاة ثاقب الذهن أصيل الحفظ جيد الفهم عذب الفكاهة حلو المجالسة وله معرفة جيدة بالأدب وخبرة تامة بالشعر والخطب . ارتحل إلى مصر ولقى بها الأفاضل وسمع وتفقه فى العلوم من الأصول والفروع وشارك فى كثير من الفنون ثم عاد إلى طرابلس وأسمع فاشتهر فضله وذاع أرجه وفشا خبره رحمه الله تعالى . ومن نظمه يمدح أحمد باشا :

لك الخير عـــرج بى على طلل الـــربع	محط المنـــى مغنـــى الكمـــى المقنـــع
وكن خـــالعـــاً نعليـك بين دمـايـــة	مقـــدســـة تبلغ منـــاك وتـــرفع
هنـــاك المنى والعـــز حيث تقطعت	تمائمـــــه والمجـــــد منك بمسمـع
به جـاء حات الـورق سمع فى الصحى	تنـــادى هـــذيـــلاً بين أرواح أجـــرع
يباكننـــى إذ شـــط عنـــى وليهـــم	وقـــد خلفـــوا جمر الغضـــايين أضلعى
وبـت بليـل نـــــــابغى كـأننـى	ضمينـــة شرك فـــرخهـــا وسط بلقع
وأحـــزان يعقـــوب تسربلت درعهـــا	وحيك فـــراشـى من ســـلالـــة أدمع
وزهـــر ريـــاض مـــائس بين جـدول	بـــه الماء منســـاب إلى كل ممـــرح
يحاكى جنـــا ورد نـــدى بـــوجنـــة	فبـــاء بفضـح فى صـــدور مشرع

فماذا عليهم لوا باحوا اجتناءه	لمقلة صب مدمن السهد مصرع
وعيناه قد أعماهما كثرة البكا	فديمنهما تنحى على كل مربع
تحاكى نوالاً لاح من كف أحمد	يقسمه ما بين كهل ومرضع
على الغيث شبه من نداه كأنما	يمر بدا فوق السحاب المرفع
ألا فاعجبوا من أربع وملاعب	كاتب سيب منه ليس بمقلع
فلم لا يكون الورد موطىء أرجل	تجاورها من كل شهم سميدع
أديب أريب فاضل متعفف	نجيب حسيب عالى القدر أورع
أقول لأصحابى عليكم بأحمد	أفاد فجاء بالحياء المنوع
فكم أضحك المحزون من نقش اسمه	وأبكى جرياً بالسكاك مولع
أتيت وجيش الهم جرخميسه	فقهقر جبنا من حسام مورع
إليك أبا الإمداد ضنت مطيتى	وآمالها سفن وجسمى بموضع
لها منك حاجات وفيك قطانة	سكوتى بها أو لا لكم من توجع
متى تعلم الأيام والدهر مدتى	لكم ترعوى عنى وترثى وتخضع

وتوفى رحمه الله تعالى فى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ١١٤٣

٨٣ـ الأستاذ محمد بن محمد بن على السكلانى

الأستاذ الكبير ذو القدر الخطير سيدى محمد بن محمد على السكلانى الشهير كان رحمه الله تعالى من صدور الأفاضل وأعيان الأماثل . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وارتحل إلى الديار المصرية ، وجاور بالأزهر زمنا طويلاً وحضر مجالس العلم والعرفان ولقى الأفاضل من الأساتيذ الكبار ، ومن أعظمهم الأستاذ سالم بن محمد النفراوى المالكى والأستاذ محمد الحفناوى الشافعى ، والأستاذ حسن المغنى ، والشيخ محمد بن إبراهيم

الزيادى الحنفى ، والشيخ حسن بن على القنافى المقدسى ، وغيرهم من الأفاضل الأجلة ، ونـال علماً وافرا وأجـازوه بما لـديهم من معقول ومنقـول وقـد ترجمه الأستـاذ حسن الحفنى المذكور فى إجازتـه بقوله وكان المجاز ممن عـلا كعبه فى سباق هذه الحلبـة ، وزاحم فرسان ركبه حتى صلى فى مضمارها وجلىّ وضرب فى آثارها بـالقدح بالمغلى جامع أطراف الكمال ، والرجل الذى يعد بكثير من الرجال العـديم المثال ، العزيز المنال الغنى بما فيه من شريف الخلال وكـريم الخصال عن إطـراء فى المقال من شهـدت لـه الأيام بإنـه واحدهـا الفريـد وفاضلها الذى ضنت قطوف الفضائل فاقتطف منهـا ما يريد ، فهو الذى غد بما هواه من الفضائل بهجـة المتملى مولانا وسيـدنا محمد بن محمـد بن على المغربى الشهير بـالسكلانى أبقى الله ذاته الشريفة مالكة لزمام السعادة ثم أتى بأسانيده فى جميع علومه ووصفه الأستاذ محمد الحفناوى الشافعى فى إجازته أيضا : شيخ العارفين ومقصد المحصلين ومن أجلهم تحصيلا لدقائق العلوم وأكملهم إدراكاً للمنطـوق والمفهوم ، واسطة عقد الفضلاء ونتيجة الأذكيـاء النبـلاء أفتى وروى عن الشيخ حسين بـن على القنـافى المتقـدم الـذكـر حـديث المصافحة أسنده وصافحه وأجازه بذلك ثم عاد إلى طرابلس وذاع أرجه وانتفع به الكثير من أهلها وذلك سنة ١١٤٧ سبع وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

٨٤ ـ الأستاذ أحمد بن عبد الرحمن النائب

قال فى الإرشاد : كـان من العلماء العاملين الأعلام الأجلة الفخام فقيهـا محدثاً متفننا فى جميع العلوم بـارعًا فى المنظوم والمنثور مع نـزهة وعفة وعـذوبة ألفاظ ورقة وطهـارة صدر وحسن خلق سريرته كعـلانيته . أخذ العلوم من الأئمّة منهم الأستـاذ الكبير العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن سعيد الهبرى والأستـاذ أحمد بن عمر القيروانى أصلاً الطرابلسى داراً ومنشأ ، له تعليق على البخارى الشريف وشرح لطيف على الآجرومية نحو الثمانية كراريس ولى النيابة بعد والـده ، توفى بعد قرب الزوال يوم الجمعـة السادس عشر من محرم فاتح سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة ألف .

٨٥ـ العارف بالله تعالى الشيخ محمد الماعزى

شيخ السالكين وقدوة المحققين الأستاذ أبو عبد الله محمد بن مصطفى القول أوغُلى الملقب بالماعزى أمام العارفين . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وأخذ عن أماثل عصره وفحول عصره ، وتفقه فى العلوم من الأصول والفروع وصار أحد الأئمة فى القراءات وعلوم القرآن الكريم ومن كبار المحدثين والحفاظ الثقات المخلصين ، وكان رحمه الله تعالى شديد الزهد كثير العبادة له كرامات خارقة ومن خيار عباد الله الصالحين قال فى التذكار : إنه رحل إلى الحرمين ولقى بمكة الأستاذين بهاء الدين الهندى وأبا الحسن السندى وأخذ عنهما ونال علماً وافراً ثم عاد إلى طرابلس وكان يجلس بزاويته التى بالمنشية لبث العلوم وانتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى ونفعنا بأسراره ، وتوفى ١١٦٧ سنة سبع وستين ومائة وألف .

٨٦ـ الولى الصالح المجذوب الحاج أبو بكر

الأجل الولى الصالح المجذوب السايح الحاج أبو بكر قال العلامة المؤرخ الشيخ محمد بن جعفر الكتانى الفاسى رحمه الله تعالى فى كتاب سلوة الأنفاس ، ومحادثة الأكياس فيمن أخبر من العلماء والصلحاء بفاس قال : كان الحاج أبو بكر الطرابلسى فى أول أمره من الطلبة القاطنين بالمدرسة الصباحية ويحضر بالقرويين مجالس العلماء للعلم ، وكان يحضر فى قراءة خليل على الشيخ أبى عبد الله جسوس وكان كثير البحث والمجادلة فى المجلس ، وكانت تسرفه فى بعض الأحيان أحوال حتى يتخلخل من ذلك عقله ثم قوى عليه ذلك وكثر حتى صار مجذوبا هائما فى الأسواق ، ولا يشعر بحر ، ولا برد ولا يبالى بوسخ ولا يغيره ولا يكلم أحداً من الناس إلا قليلاً ، ثم صار يحمل معه فى ثوبه فلاليس القطران ، والزيت ، والسمن ، والشحم وأحجاراً وحديداً ويجعل ذلك فى عنقه يطوف فى الأسواق ويجلس به بالقرويين ، وإذا جلس طرح ذلك على ظهره وصفف تلك الفلاليس واحدة واحدة ، وأخرج الدواة ، والقلم ، واللوح واشتغل بالكتابة وإذا أراد القيام ردَّ ذلك إلى ثوبه وحمله على ظهره وإذا مر بسوق العطارين أخذ من الحوانيت

المقصات والإبر وغير ذلك وجعلـه فى شاميته هذه كانت سيرتـه ، وكان يشير بإشارات لا تفهم حتى تقع وهـو من جملـة الصلحـاء الـذين لقبهم العـارف الأكبر مـولاى العـربى الدرقـاوى وتبرك بهم وقد أورده فى رسـائله قـائلا ما نصـه : وكنت أعـرف سيدى أبـا بكر الطرابلسى المكنى عنـد أهل فاس سيدى أبـو بكر أبو قلالـس وجدته بمدينـة فاس حين عرفتها وكان من المجاذيب الكبار غائباً عن حسه دائما وقد شربت بوله يوماً لشدة تصديقى بولايته .

وحدثنى الأستاذ الجليل أبو عبد الله سيدى محمد بن على النجارى عنه أنه قال لبعض الطلبة : هل تسمح معى فقـال له : نعم فخرجـا معا على باب الفتـوح فإذا هما بباب من أبواب طرابلس التى هى بلدته وسمعت أنه كان من أولاد الباى الذى كان هالك وكان هذا البـاى لما فقـده يعطى عليـه قنطـاراً من المال لمن يخبره بـه ، والحاصل أنهما دخـلا المدينـة الطرابلسية وجالا فيها ماشاء الله وهذا لا يكلم هذا ثم خرجا فإذا هما بباب الفتوح بفاس . توفى رحمه الله تعالى بفاس سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف .

٨٧ ـ العارف بالله عبد الكريم بن أحمد النائب

قال فى الإرشاد : كان فقيها عالماً قاضيا جليلاً عادلاً رئيساً أوحد العلماء شرف الفقهاء واسطة المدرسين محدثاً لغويا خطيبا متقناً أحوليا متكلماً صـالحاً زاهداً ورعاً قوَّامًا خاشعاً له نور وعليـه قبول . أخذ من الأخوين الفقيـه المحدث أحمد والعلامة محمـد ابنى السكلانى والفقيه الإمام على بن محمـد بن صالح . ولى النيابة مكان والـده رحمه الله تعالى وحسـنت سيرته ، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم وله شعر رائق وأدب فائق منه قوله :

يـا مشتكى حـزنى شرخ الشبـاب نما	والشيب وافى فعلق العمـر ضـاع سـدا
نـاديـت بـالـويـل إذ بـانت طـلائعـه	ووفـــده رام للفـــوديـن أن يفـــدا
وقلـت مــــا تبتغـى كلفت بــــه	لـــوددت من قبل ذا من أجلـه لـــومـا
أجـــابنى بلســـان الحال ينشــدنى	لاتبتئس يـا فتى فـالعيش عيش غـدا
يــوم تـرى فيــه من خـاف الإلــه على	كثبــان مسك فــلا يخشــون فيــه ردا

وجوههم أسفرت بالبشر ضاحكة ... والمبلسون استجاشوا بالبكا كمدا
ياطول حسرتهم ياعظم حيرتهم ... لا يذكرون بها مالا ولا ولدا
يامشتكى حزنى من خاف نار لظى ... فكيف لا تألف الأحزان والسهدا
من خاف أدلج والموعود مرتقب ... والعبد لم يتخذ زاداً ولا عددا
مثقل الظهر قد ضاعت شبيبته ... سيهلا بغيا التسويف قد حددا
إنا إلى الله إنا راجعون له ... من نفس موردات نمى الهوى رشدا
يارب يارب لطفا منك يشملنى ... بجاه من قد أتى للعالمين هدى
عليه أزكى صلاة منك دائمة ... كذا سلام ذكى ماحدى وردا
والآل والصحبة ما أنشىء حلف أسا ... يا مشتكى حزنى شرح الشباب غدا

وقد خمَّسها تخميساً جليلاً وكان قبل موته بنحو سنتين كثيراً ما يردد كلام الغوث سيدى أحمد بن عروس رضى الله عنه حيث يقول :

ما غرها ؟ غرها البين ... وأهل العقول استراحوا
ماذا أفنت من سلاطين ... وسياق بالجير طاحوا ؟
أين الذى قبلنا أين ... لعبت عليهم ورا حوا

ثم مرض نحو شهرين وتوفى فى غرة ذى الحجة الحرام عام ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف .

٨٨- الأستاذ مصطفى بن أبو بكر باكير

الأستاذ الفاضل مصطفى ابن الشيخ أبى بكر باكير بن عوف مفتى الحنفية بطرابلس كان رحمه الله تعالى فقيها نبيها فاضلاً أخذ عن مشايخ بلده ، وارتحل إلى حاضرة تونس

وحضر مجالس العلم والعرفان حضور المحصل المستفيد مقبلاً على أسباب التحصيل أتم إقبال معتكفاً على ذلك من غير توان ولا إهمال حسبما وصفه الأستاذ الكبير محمد بن حسين بيرم وذكره به فى إجازته ، وحضر مجالس الأستاذ محمد بن محمد بن حسين بيرم الحنفى ولازم درسه زمناً طويلاً وقرأ على الأستاذ أبى القاسم ابن المحجوب الشريف وغيرهم من الفضلاء فوصل وحصل وبرع فيما أم له ونال علماً وافراً من المنقول والمعقول ولقى الأستاذ الكبير محمد بن حسين بيرم وأجاز له بجميع مروياته وما أجازه فيه شيوخه بأسانيدهم فى فهارس إجازاتهم وذكر له من ذلك سنده فى صحيح البخارى وقال أما عن جماعة منهم شيخنا العلامة أحمد الماكودى وهو يرويه عن شيخه أبى الحسن أحمد الحرُيشى عن أبى محمد عبد القادر بن على بن يوسف الفاسى عن عم والده أبى زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى عن أبى عبد الله محمد بن قاسم القصار عن أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل خروُف التونسى عن أبى محمد عبد الرحمن شُقَيْن القاضى عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى عن ابن حجر عن التنوخى عن الحجار عن الزبيدى عن أبى الوقت عن الداودى عن الفربرى عن الغريرى عن الإمام الكبير والعلم الشهير محمد بن إسماعيل البخارى وأجاز له الأستاذ أبو القاسم المحجوب بصحيح البخارى أيضاً وذلك سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف .

٨٩ـ الشيخ شامل أحمد بن رمضان

الشيخ شامل أحمد بن مسعود الطرابلسى المقرئ الأزهرى العمدة الفاضل والنبيه الكامل صاحب العلامة الوجيه قال الجبرتى فى تاريخه : حضر من بلده طرابلس الغرب إلى مصر سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف وجاور بالأزهر وكان فيه استعداد وحضر درس الشيخ أحمد الدردير والبيلى وأبى الحسن الغلقى وسمع على شيخنا السيد محمد مرتضى المسلسل أيضا وأخد منه الإجازة فى سنة ١١٩٢ اثنتين وتسعين ومائة وألف وكان سموح النفس جدا دمث الطباع والأخلاق جميل العشرة و، لما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسى عن مشيخة رواق المغاربة كان المترجم له هو المتعين لذلك فتولاها

بشهامة وكرم وكان وجيهاً طويل القامة بشوشاً ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه صاحبنا الشيخ حسن العطار بقصيدة منه

انهض فقد ولت جيوش الظلام وأقبل الصبح سفير اللثام

وعنه الورق على أيكها تنبه الشرب لشرب المدام

وهى طويلة يقول فى آخرها

بشراك مولانا على منصب كان له فيك مزيد الهيام

وقاك إقبال به دائما وعشت مسموداً بطول الدوام

فقد رأينا فيك ما نرتجى لازلت فينا سالماً والسلام

توفى رحمه الله تعالى فى سنة ١٢١٤ أربع عشر ومائتين وألف . انتهى .

٩٠- الشيخ الكاتب مصطفى بن قاسم

اللوذعى الأريب ذو الذكاء العجيب والأدب الظاهر والحفظ الباهر والفطنة النقادة والقريحة المنقادة الشيخ الكاتب مصطفى بن قاسم خوجة بن عرف المصرى ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ، وبها نشأ وقرأ العلوم على أساتيذ عصره وأعلام عمره منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكانوى البرناوى والأستاذ محمد بن سالم الفطيسى والعلامه محمد بن عبد السلام بن ناصر ونال علماً وافرا ثم استخلصه على باشا قرمانلى لخدمته واتخذه مستشاراً وكبير الكتاب ونال لديه حظا تاما فى الظهور وحسن سيرته ، وله تآليف : كتاب المسائل المهمة والفوائد الجمة فيما يطلبه المرء لما أهمه ، وأسس المسجد الكائن بداخل الثغر بغرب سورها الشرقى والمدرسة المتصلين وخزانة كتب قيمة وأوقف على ذلك أوقافا فأجمَّه وتوفى سنة ١٢١٣ رحمه الله تعالى .

٩١ ـ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن مكرم

كان رحمه الله تعالى فاضلا عالما متورعا من الفقهاء المعدودين ، والفضلاء المشهورين ، قال الأستاذ محمد بن عبد السلام بن ناصر رحمه الله تعالى فى رحلته عند ذكره لطرابلس : ومن اُجتمع به من فقهائها ، وسائر من لاقيناه من فضلائها الفقيه البركة الطائع لربه فى السكون والحركة ، الشيخ الضرير أبوعبد الله محمد بن مكرم المالكى له مشاركة فى العلم والاتصاف به ، رحل إلى تونس وجربة وغيرهما فتخرج بتونس على الشيخ محمد الغريانى وبجربة على سيدى إبراهيم الجمنى الصغير وله منهم إجازات وأنشدنى لغيره .

احرص على حفظ القلوب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يعسر

إن القلوب إذا تنافر ودُّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قال ومنهم قطب دائرتها وشمس جارية فلكها الشاب العلامة الدركة الفهامة سبيل الأولياء ونخبة الأصفياء أبو عبد الله سيدى محمد العربى (وقد تقدمت ترجمته) لازال مولاه عليه من فضله يربى له مشاركة فى العلوم مع مزيد الذهن الثاقب والفهوم على مذهب الإمام مالك السالك فيه أحسن المسالك ، رحل للحرمين ولازم من بمصر من الأئمة فانقلب بعلم وافر بغير مين وكان مما أنشدنى لابن دقيق العيد .

لقد كثرت دعاة العلم حتى ... لقد كثر النهيق على الصهيل

فما كل الوقود كنار موسى ... ولا كل الفواطم كالبتول

أهدى بعض الفضلاء بفل وياسمين فأنشدته ارتجالا فى هديته :

أتحفنا بالفل والياسمين يا دوحة المجد من الأكرمين

يا قرة العين يا مصطفى نجل مقبل أنت ذو نسبتين

لله ما أبهاك فى بلدة تزهو بها أوليت من نسمتين

اسم خيالك فى غيبة يسمو كما النسرين

فسألت صاحب الترجمة فل بالضم أو الفتح وأنشد على ذلك للشهاب الخفاجى رحمه الله تعالى :

دخلت جنينة أستاذنا وجدت بها كل روح وفل

تعاظم قدر جده كما تصاغر قدر عداه وفل

وأنشدنى لغيره من أهل الزمان فى والد سيدى مصطفى (وقد تقدمت ترجمته) أيضا :

قلنا لذى ابن مقيل السري النبيه النبيل

فى روضة من علوم مزاجها سلسبيل

ياربنا احفظ علاه واختم بخير جميل

ولما خرج فى طائفة لوداعنا وقد ضاق بعض أزقة المنشية علينا بها غصت من إبل الركب فرجع بنا ذات اليمين ، فقال له بعض : أنت اليوم الدليل فقلت : إلى غير سبيل وأنشدته ارتجالاً استدعاء لشعره إذ قيل إنه من دوى صدره .

نعم الدليل أنت هو بل والسمى كفه

أبقاك ربى للعلا وليس إلا أنت هو

فأجابنى ارتجالا بقوله :

مــــــــا زان در نحــــــره ولاح نـــــــور فجـــــــره

إلا ابــن عبـــــــد الســــــلا م الفقــــــى لا مـــــن غيره

ومنهم المسن البركة أبـو عبد الله (محمد بن أحمد عبـد الدايم الأنصارى) تـردد علينا مراراً وزار معنا صلحاء البلد وله كمال المحبـة وجميل الاعتقاد ومنهم الأبر الجواد أبو عبد الله (محمد بن السكلانى المالكى) .

ومنهم المسن البركة أبو عبـد الله (محمد بن محمد السكـلانى المالكى) تردد فى قضاء حوائجنا وأوقفنا على سفر من شرح الخضيرى الفزانى على مختصر خليل وهو شرح لا بأس بـه مبسـوط سهل التنـاول فى أربعـة أجـزاء ضخام (وقـد تقـدمت تـرجمة الأستـاذ محمـد السكلانى قبل هذا) .

ومنهم البركة الفهـامة (الحاج عمورة بن على الجدع) بـه عرف ترد إلينا وتحفنـا عيناك ابن فرحون جزى خيرا ووقى ضيراً .

ومنهم ذو الحالــة المرضيـة والمواهب اللــدنيـة سيــد (مصطفى المدين بن عـــرف) الأنصارى يخطب بجامع الترك خطبة تلين لها القلوب وتجود لها العيون بما لديها وتئوب وهو حنفى المذهب هذا إليه ذلك من قبل كونه فى حجرة جده لأمه وكان على ذلك المذهب .

ومنهم خطيب جامـع الباشا سيـدى (مصطفى بن أبى بكر) الحنفى ، وكـان والله على سمت أقول وقد تقدمت ترجمته :

ومنهم المسن البركـة الـوفى سيـدى (أحمد بن مسعـوده) الحنفى وكـان أخـذ العهـد الناصرى على عمنا الشيخ أبى يعقوب وكان والله محبًا هيناً لينا .

ومنهم المسن البركة سيدى (على بن غشير) ومنهم الحاج الفاضل (محمــد بن عليش) ذو الخلق المستحسن ، ومنهم الهمام أبـو الحسن (على بن أحمد بن على بن عبد الصـادق)

شارح المرشد وملقى العهد الناصرى فى زمانه ، حدثنى حفيده هذا أنه رأى أيام غربته بتونس رحلة لابن العربى المعافرى فى أسفار فأوقفنى على تأليف فى مبيضات لجده المذكور منها شرحه على المرشد المعين وعليه تقريض أبى سعيد (عبد السلام بن عثمان التاجورى) بخطه ما نصه .

جزاك فى الدارين ربٌّ خالق — من كل خير يا ابن عبد الصادق
فلقد أجدت القول فيما رمته — من شرح مرشدنا العظيم الفائق
ما إن رأينا مثل ما أبديته — من حسن سبك فى اختصار رائق
لا يبلغن معشار ماقد ضمه — ممدوح شرحك صامت أو ناطق
لو شابه مبارة مع شرحه — لأقر قطعا أن شرحك فائق
أو قد رآه عاشر من قبله — لأشار لابنه أن هذا السابق
إن كنت فيها قد تأخر مهده — فلأنت فى بحر العلوم الفائق
فضل من الرحمن فاشكره على — أنعامه فهو الكريم الرازق
لازلت مقداما لكل فضيلة — لا يلحقنك فى المكارم لاحق
ومحبكم عبد السلام مؤمل — منكم دعاء من فؤاد صادق
بصلاح حال فى الحياة وبعده — ختم بخير يرتضيه الخالق

ومنهم من الحنفية أيضا سيدى (مصطفى بن الباشا يدعى ولد شارب رأسه) وكان رحمه الله تعالى ذكيا ظريفا ذاكرا ، ومنهم خاتم الوقت فى أوانه على رجال أهل الدين والخير فى زمانه كاتب الجناب العالى الساكن سراج مملكة آل قرمان لازال فى عز وأمان بجاه المختار من مصر وعدنان سيدى (مصطفى بن قاسم العرى خوخه) به عرف المذهب .

كان من سيرته الحميدة ومن مآثره المجيدة أنه ابتنى جامعا ومدرسة وأوقف عليها كتب جمة وجعل بها مـرتبا لمن لها من الطلبـة رحمه الله تعـالى ، أقول : قـد تقــدمت ترجمـــة هذا الفاضل .

ومنهم سيدى (مصطفى بن محمد بن مقبل) وأنشدنى وقد أتى بتين عجيب لغيره :

التين يعجبنى عـن كل فـــاكهـــة حيث استوى والتوى فى غصنه الباهى
مـوشم الخد قــد ســالت مــدامعــه كـــان قـــد بكـى من خشيـــة الله

قلت وفى المعنى :

أهـــــلاً بتين جـــــاءنـــــا منضبـــــــداً على طبـق
فبعضـــــــه يحكـى الضحـى وبعضـــــــه يحكـى الغَسـق

وأنشدنى وقد ذكر والده وتأوه على فراقه رحمه الله تعالى آمين (وقد تقدمت ترجمته)

الموت أفنـت مـــــا مضـى والموت تفنـى مـــــا بقـى
يـــا من أســـا فيها مضـى كـن محسنـــــا فيها بقـى
اللــــه يجمع فى الثـــرى بين السعيـــــد والشقـى

وأنشدنى أيضا :

إذا شئت أن تبقى سعيـدا من الـورى وتمضى بـــه بعـــد النبى المكـــرم
فـــلا تبكين إلا على فقـــد عـــالم يبـــــالغ فى التعليم للمتعلـم
وفقـــد إمـام عـــادل صـادق ملكـه بأسرار نـــور العلم لا بـــالتحكم
وفقـــد ولى صـــان الـوعــد والـوفى مطيـع لـــرب العـــالمين معظـم
وفقـــد شجـــاع مخلـص فى جهـــاده قـــد انتشرت أخبـــاره بـــالتقـــدم

وفقـــد سخى لا يبـــالى من العطـــا يفـــرج هم العسر عـن كل معـــدم
فهـم خمســــة يبكـى عليهم وغيرهـم إلى حيـث ألقت رحلهـــــا أم تشفـع

وأنشدنى أيضا :

مـن مشــــا مشيــــة تيــــه وينسـى مــــا كــــان فيــــه
وتــــــردى بــــــرداء ليـس مـن ثــــوب أبيـــــه
ســـــوف يـأتيــــه زمــــان يتمنـى الموت فيــــــــه

ومنهم أخوه الأكبر أبو العباس سيدى (أحمد) وتـولى الفتوى على مذهب مالك بعد وفاة أبيه وفقنا الله وإياه لطاعته وأضافنا وإخـوته مرارا وترددوا فى قضاء حوائجنا ليلا ونهارا وأرونا ما لـديهم من الدفاتر ومما استـــغربته لديهم مختصر صـــحاح الجوهرى لمحمد بن أبى بكر الرازى وزاد عليه زيادة وهدية ونقحه فى سفر ومنها لب الألباب فيها تضمنه أبواب الكتـاب من الأركان والشروط والمواقع والأسبـاب لمحمد عبـد الله بن راشـد البكرى نسبـا القفصى نسبا شارح بان الحاجب فى الفقه .

ومنهم (أبو الحسن على بن محمـد بن عمر أبو نـوارا) المسلاتى ومسكنه بقـرب زاوية الصيد بالسـاحل وسأل مما فى المسبعات من قولهم اللهم افعل بى عاجـلا وآجلا فى الدين والـدنيا والآخـرة مـا أنت أهله إلخ ، هـل هذا مطـابق لآداب الـدعاء المقـررة ، فقلت : المسبعات واردة عن بعض السلف عن الخضر عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم وليست بثابتـة فى السنة وإنما أوردها أبـو طالب مكى وأبو حـامد الغزالى وشهـاب الدين السهـروردى وغيرهم ، وقد أسنـد حديثهـا فى القـوت عن كرز بن وبـرة قال : وكـان من الأبدال عن أخ له من أهل الشام عن إبراهيم التميمى عن الخضر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حـديث طويـل ونقله فى الإحيـاء دون سنـد واختصره فى القوارف ولم يصح عنـد

العراقى وقال شيخ الإسلام ابن حجر رواه ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة وفى إسناده مجهول وضعيف والمجهول هو الرجل الشامى والضعيف هو كرز ، صرح بذلك المحدثون يريدون من قبل حفظه لاغير .

وقد كان من أكابر أهل زمانه دينا وصلاحاونصفا إذا علمت ذلك فلا دليل فيها فإن ثبت من نص الشارع كان ذلك عين النص فى الجواز فعارضنى بقول الشبرخينى فى شرحه عن الأربعين النووية ما نصه (من شرط الدعاء أن لا يعقبه بما هو شأنه تعالى كاللهم افعل بى ما أنت أهله فى الدنيا والآخرة) فأجبت بعد التأمل بأنه ككثير من الشروط قبله شرط كمال وهو لا يعارض الوارد فى المسبعات على فرض ثبوته حيث محمله على التشريع وبيان الجواز وذلك لدينا فى أن الأكمل خلافه وللبحث فيه مجال انتهى .

ومنهم أبوالحسن (على الجريسى) نسبة لبلدة من جانزور القاطن فى الوقت بتاجوراء ، وسأل عن حديث إذا أكلتم فأفصلوا وإذا شربتم فابتسروا فأجبت بأنى لا أعرفه صح فمخصوص بقوم دون آخرين أو بحالة دون أخرى والله أعلم ، ثم راجعت ابن عرف والقليوبى فلم أجده ثم وجدت السخاوى أورده فى المقاصد (نقص فى الأصل) وكأنه لم يجد له أصلا انتهى .

وأنشدنا وقد جرى بيننا التأسف على ذهاب العلم وأهله وضعف طالبيه وكساد سوقه :

شيئان أحلى من عناق الخرد ... وألذ من شرب الشراب الأسود
وأجل من رتب الملوك عليهم ... حلل الحرير مطرز بالعسجد
سود الدفاتر أن أكون جليسها ... طول الزمان وظل برد المسجد

ومنهم المسن البركة أبو محمد (عبد الله بن على الطشانى) التاجورى الأصل الساكن بمنشية طرابلس ، حدث أن الشيخ أبى العباس أحمد بن محمد بن ناصر لما اجتمع بسيدى عبد السلام التاجورى صاحب تذييل المعيار فى سفرين وشرح المرشد قال له ارتجالا :

من أين أقبلت يا من لا نظير له ... ومن هو شمس والدنيا له فلك

فأجاب ابن عثمان ارتجالا وقد أقبل خلوة :

من منزل يألف العباد خلوته ... وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

ومنهم الشاب الفاضل سيدى (أحمد أبو طبل) به عرف يسكن بزاوية الصيد ، أوقفنى على رحلة البلوى وله شعر وأدبيات .

ومن المنسوبين للصلاح بها أيضا سيدى (عمر بن صالح) أصله من الزاوية الغربية واستوطن بالمنشية ، ربما غلبت عليه الأحوال تؤثر عنه كرامات ومكاشفات مع كونه طاعنا فى السن أوصانا بالصبر وخفض الجناح ، قال : ولا ترون فى سفركم هذا إن شاء الله تعالى إلا النجاح فكان الأمر على ما وصف فى الغداة والرواح انتهى .

وكانت عودة هذا الفقيه النزيه السيد والوجيه الإمام الكبير والطود الشهير أبى المعالى سيدى محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ناصر ووصوله إلى مدينة فاس سنة ١٢٠٠ مائتين وألف فيعلم من ذلك عصر المترجم لهم فى رحلته رحمهم الله تعالى .

٩٢ ـ الأستاذ محمد بن عبد الكريم النائب

الأستاذ الكامل ، والعلامة الفاضل الشيخ محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى الأوسى الأنصارى الأندلسى الأصل ثم طرابلسيه ، وبها ولد وتلقى العلوم عن أعلام عصره ، وفحول مصره وكان فقيهاً تاجراً واسع العلم كثير

الحفظ والرواية فريد عصره عقلا وفهما وفريد أوانه جلالة وعلما ، مع ورع وحسن سمت ووقار وارتفاع همة وعذوبة ألفاظ وملاحة إبراء ومن القائلين بالحق والعاملين به . تولى النيابة بنفس الثغر بعد والده وحسنت سيرته وقرنت بالعدل أحكامه ألف كتاباً سماه الأشياء لمعرفة الأجداد) ضمنه ذكر أسلافه الكرام وتراجم أمثاله العظام رضوان الله عليهم وإنهم يعرفون قديما ببنى (العونى) وهو لقب منحوت من(عيسى الأوسى) الجد الأعلى الوافد من الأندلس إلى طرابلس فى أواخر المائة السابعة عند غلبة الأسبانيول وحديثا يعرفون بآل النائب لتسلسلهم سلفا عن سلف فى النيابة الشرعية وخدمة العلم الشريف وتوفى رحمه الله فى سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف .

٩٣ ـ الأستاذ محمد بن خليل بن غلبون

الفقيه الأجلُّ الصالح الصوفى محمد بن خليل بن أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون الطرابلسى كان رحمه الله تعالى فقيهًا فاضًلا واسع العلم مؤلفا صوفيًّا واعظاً ، ومن القائلين بالحق والعاملين به لا تأخذه فى الله لومة لائم خطيبا لسنا ، ألف التذكار فيمن ملك طرابلس أو كان بها من الأخيار غير أنه كان فى لسانه فصل كثير امتحانه والتعرض له بسببه ، وذلك أن بعض الوشات ذوى الغايات أوشى به للوالى يومئذ أحمد باشا القرمانى البانى لجامعه الكبير المعروف به ، أن صاحب الترجمة قال : فى بعض وعظه وخطبه منقدا ومتعرضا بأن هذا الجامع بنى بأموال حرام على بعض أراضى مغتصبة وأتى بأقوال الفقهاء فى هذا الباب وأنشد لغيره .

كمطعمة الأيتام من كد فرجها فليتها لم تزن ولم تتصدَّق

فأوغر أحمد باشاعليه صدره فأمر بقتله فقتل شهيدا رحمه الله (ولاية أحمد باشا سنة ١١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة وألف ووفاته سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف) فيعلم من ذلك عصر المترجم رحمه الله تعالى .

٩٤ ـ الأستاذ على بن موسى

العلامة الجامع لأطراف الكمال والرجل الـذى يعد بكثير من الرجال الأستاذ على بن موسى بن حسين العالم يتصل نسبه بالذوت الأكبر والكبريت الأحمر (سيدى عبد السلام الأمر) رضى اللـه تعالى عنه نشأ بقرية تاجوراء وحفظ القرآن العظيم بها وارتحل إلى مصر وجاور بالأزهر زمنا طويلا نحو اثنى عشر سنة ، وأخذ عن الأساتيذ الكبار ومن أعظمهم الأستاذ قطة والشيخ التميمى والشيخ السقا وغيرهم من الأفاضل ، ونال علما وافرًا من العلوم الأصولية والفروعية وأجازوه بها لديهم من معقول ، فنقول : فكان رحمه تعالى صدرا من صدور الأفاضل ومن أكابر الأعيان الأماثل وأكملهم إدراكا للمنطوق والمفهوم وأجلهم تحصيلا لدقائق العلوم ، وباع طويل فى علم المنطوق والمفهوم ثم انقلب إلى طرابلس وجلس للتدريس وانتفع به خلق كثير وشاع فضله وذاع أرجه . وتوفى رحمه الله تعالى سنة ١١٧٧ سبع وسبعين ومائة وألف .

٩٥ ـ الأستاذ الحافظ أبو الطاهر محمد محجوب

الأستاذ الحافظ أبو الطاهر محمد بن محمد المحجوب الشريف النسب المالكى مذهبا الأشعرى اعتقاداً العروسى طريقة الطرابلسى داراً ، ومنشئاً . كان رحمه الله تعالى فقيهاً حافظاً من الفقهاء المعدودين ، والفضلاء المشهورين ارتحل إلى مصر ، وجاور بالأزهر ، ولقى الأفاضل ومن أعظمهم العالم الإمام الشهيد محمد الأمير وتفقه فى العلوم من الأصول والفروع ، ثم عاد إلى طرابلس فشاع فضله وذاع أرجه ، وكان رحمه الله تعالى من الصالحين حليماً كريم الأخلاق حسن النية جامعاً للأخلاق النبوية حافظاً للقرآن العظيم وتفسيره ومن أصحاب الحديث والفهم والرواية وانتفع به الكثير من أهل البلد .

وتوفى رحمه الله تعالى بذى الحجة سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين وألف .

٩٦ ـ العارف الأستاذ محمد العارف بالله أبو عبد الله ابن محمد تاجه

الأستاذ العلامة الفاضل الصوفى الورع الزاهد المتبحر فى علم المعقول والمنقول العارف بالله تعالى محمد بن محمد رقاجة بن عرف الشريف الملانى الأصل ثم طرابلسيه قرأ بمدرسة تاجوراء . وتفقه عن الأستاذ أحمد بن محمد النعاس وغيره من أساتيذ عصره وأفاضله وسمع من جماعة مـن النساك ، ونال علماً وافرًا من العلوم الأصـولية والفـروعية وكـان صدراً من صـدور الأماثل وأعيـان الأفاضل ، ولـه تـآليف كثيرة فى كل فن منها الـدورة العرشيـة فى أحكام القرشية فى التصوف والقافية الوافية حل مشكلات ابن مالك فى الكافية وغرة الدين على ديباجة قـرة العين فى شرح ورقات إمام الحرمين وكتاب إكسير الأحـاجى المستظرف فى تفسير سورة الـزخرف مجلـد كبير ضخم وله فهـرسة سماهـا الحلوى والفـانيد فى علـويات الأسانيد وغير ذلك . توفى رحمه الله تعالى سنة ١٢٨٣ ثلاث وثمانين ومائتين وألف .

٩٧ ـ الحافظ أبو عبد الله محمد المسعودى

العــارف بـالله تعالى الفقيــه الحافظ الثقـة الورع الزاهد الواعظ الأستـاذ الكامل أبو عبـد الله محمـد بن أبى الفضل المسعـودى التـواتى الصيـد الطـرابلسى المالكى الأشعـرى الشاذلى طـريقة الأزهرى وبيتـه بيت علم وبركة وصلاح منـذ أسلافه الكـرام ويتصل نسبه بالولى الشهير والقطب الكبير (سيدى محمد الصيد رضـى الله تعالى عنه) قرأ العلوم على أساتيذ عصره وفقهـاء مصره ورحل إلى مصر وجاور بالأزهر وحضر مجالس العلـم والعرفان ولقى الأفـاضل من الأسـاتيـذ الكبار ذوى الشأن ومـن أعظمهم شيـــخ الجماعـة (شيخ العدوى الصعيـد) وغيرهم ونال علماً وافراً وأجـازوه بما لديهم من معقول ومنقـول وعاد إلى

بلده فكان صدراً من صدور الأفاضل ومن أعيان الأماثل مؤلفاً متقنا مجيداً ومن أصحاب الحديث والفهم والرواية حافظاً لحديث البخارى ورجاله حائزاً من العلوم الأصولية والفروعية أوفر نصيب ذاكر للمذهب لا يجاريه فيه أحد ولاتكاد مسائله تشرد عليه ، وانتفع به خلق كثير من أهل بلده وتوفى رحمة الله تعالى شهيداً فى سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين وألف .

٩٨ ـ الأستاذ محمد النائب الصوفى الأنصارى

الأستاذ الفاضل العلامة الفقيه المالكى الصوفى الحجة الفهامة ذو الفطنة الفقادة والقوى المنقادة العارف بالله تعالى أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم النائب الأوسى الأنصارى وتوفى رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان ولقى الأستاذ الكبير العارف بالله تعالى (المرشد المربى الشيخ محمد حسن ظافر المدنى وتخرج به ، وأخذ العلوم عن أساتيذ عصره وأعلام مصره فأصبح متقنا لعلم الحديث متفننا فى العلوم عن الأصول والفروع عالماً بأقسام البراعة ومعانيها حائزاً لقصب السبق فيها ، وكان له معرفة بطريق القوم الصوفية وعلماً من أعلام العرفان وله تقدم فى النظم والنثر على طريق التحقيق والبيان ومن بعد ما نظم من درره وفاه به من محاسن غرره هذا التشطير :

هذه أنوار ليلاً قد بدت ... وجلاها النور فى أحسن زى
هزمت جيش النفوس سطوة ... ولسلب العقل ياحامى تهى
فالفتى من سلبته جملة ... وأزالت عن مرياه الغطى
ذاك من حاز الوصال دفعة ... لا الذى تسلبه شيئاً فشى
لا ترى فى شمسها ظل السوا ... قد طوت بساطه الأنوار طى

عجباً تــــراه فى وجـــــدتها وهــى شمس وهــى ظــل رسى ذنــى
وإذا الحسن بـــدا فـــاسجـــد لـــه نـــاف التقليـــــد عن ليلى ومنى
حـــــرم اللـــــه حللت أمنـــــا وسجـــود الشكـــر فـــرخى يـــاأخى

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ١٢٥٨ سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف .

٩٩ ـ الأستاذ حسين بن محمد النائب الأوسى الأنصارى

أحد الأعيان وفضلاء الزمان العارف بالله تعالى حسين بن محمد بن عبد الكريم النائب الأوسى الأنصارى عرف العسوى وقد تقدم ذكر نسبه والتعريف بأسلافه بترجمه جده عبد الكريم ، ولد رحمه الله تعالى بطرابلس يوم الجمعة الثالث عشر من شوال سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف وبها نشأ وقرأ العلوم على الشيخ أبى طاهر محمد المحجوب وغيره من مشايخ بلده وارتحل إلى تونس ولقى الأستاذ إبراهيم الرياحى وحلبته ثم ارتحل إلى مصر وأخذ عن جماعة بها ثم عاد وأخذ التصوف عن الأستاذ الكبير (المرشد المربى محمد حسن ظافر المدنى) رحمه الله تعالى ، وبرع فى العلوم الشرعية وعلوم التصوف وتمكن فى فقه الإمام الأعظم رضى الله عنه وكان من صدور الأفاضل وأعيان الأماثل له تصرف فى شتى الفنون ، وتقدم فى معرفة الفروض والسنن واليد الطولى فى علم الكلام والحكمة والتمكن فى الحروف والزايرجة وله شركة فى علم الجبر والنجوم والهندسة والهيئة والمساحة واليد الطولى فى علم الميقات ، وكان رحمه تعالى حسن الأخلاق لين العريكة كثير الصمت والمطالعة يستوفى المعانى الكثيرة باللفظ اليسير مع معرفة بأقدار الناس ، جامعا للأخلاق المحمدية ولى النيابة الشرعية ، وسار فيها بسيرة مرضية ، وناهيك من عدل أطهر ومن فضل أشهر وله تصانيف مفيدة منها (إرشاد السالكين ونصرة الذاكـــرين) فى

التصـرف و(إيضـاح الأمر المنهم عن الفرق بين الخاصيـة والكلم) فى الحكمة ولـه تاريخ مختصر أجازه الإمام الكبير والصدر الجليل الشهير سيدى (عبد الجليل بن عمر الجزايرى) مولدا الأندلسى المحتد التطاونى دارًا رحمه الله تعالى بجميع ما تجور له روايته ، وورثت لديه درباته مـن منقول ومعقول وفروع وأصول فـأحببت ذكرها تيمنا وتبركـا بها ، وقال رحمه الله تعالى بعد المقدمة والديباجة : أجـزت خلاصة المجد معدن الفخار والحمد مخدوم السيادة والسعد ، أهـل الحل والعقد وأحد الفضـلاء عمدة النبـلاء الحائز لشرفى الحسب والنسب والتحلى بـدقاتق العلـوم ورقائق الأدب ذى الخبـاب العلى الأريب اللودعى الأديب الـذى بنيانه على التقــوى مؤسس (مولانا السيد الحسين بن محمد العسوى) بجميع ما يصح لى وعنى روايته وما حصل لى والمنـة لله تحقيقه ودرياته من كل مقر ومسمـوح مفرق أو مجموع ونوعىْ مناول أو مجاز على رأى من لهما أجاز من معقول أو منقــول وفروع وأصول إجازة تامة مطلقة عامـة خصوصاً بسائر العلوم العـربية الاثنى عشر والأربعة عشر المشار إليهـا وفاقا وخلافا بقول بعض شيوخنا وشيوخهم :

لغـات المعـانى نحــو صرف اشتقـاقتهم ... بيـــان قــوافى قل عـــروض وقـــرضهم

وأنشــــاء تـــاريخ وخط وأسقطــــوا ... بـديعــا ووصفـا فـزت بـالعلـم بعـدهم

خصوصا سائر العلوم الشرعية الاثنـا عشر أو الأربعة عشر وقعت المفاوضة مع المناولة فى أغلبها المشار لها بقول بعض أجلة مشايخ شيوخنا :

تفقـــه بتفسير الحديـث مـــؤرخـــا ... بـــوقت بيــــان الإرث أصل المحبــــة

ولا تغفلن نحـــوًا يضمـن لغـــاتـــه ... تطـــوف بسر من علــــوم الشريعـــة

تنل بـــه مـــرقًى من مـــراقى أفـــاضل ... وتحظـى بنيـل المجـــــد أبلـغ منيتـى

قـائلا قـولى أصل المحبـة يتنـاول أصول الفقـه وأصـول الـدين بسر أشير بـه إلى علم التصوف انتهى .

وفى نسخة بصرف لغـاته وهو كما قال بعضهم : شـامل لعلمى الصرف والاشتقاق إذ فى كل منهما رد لفض الآخر أمـا بالتفريع أو بـالتأصيل أو التناسب والتحصيل ولكل منهما فى العلوم الشرعيـة أصل أصيل فتكون أربعة عشر علما كاللسـانية الشاملة للعلـوم الأدبية الثمانيـة ، بل وسائر العلـوم الإسـلامية الشرعيـة الثلاثين المذكـورة فى قـانون شيخ شيـوخ مشايخنا العـارف بالله البوسى بل وسـائر العلوم السبعين المنتقاة مما فى كتـابه المذكور بأعلى سند لنـا فى خصوص تلك السبعين كما فى علـم المجاز المذكـور ، وأجزته أن يجيـز بجميع ذلك وبجميع ما لنـا وعنا من استجازة فى ذلك بـالشرط المعتبر عند أهل الأثر من عـلامة التقوى والديانة والتحلى بحلل السماحة والصيانة ، وما يستطاع من ضبط الرواية ، وإتقان الدراية والتثبت والتنقيب عن أحوال الـرجال بالرجوع إلى أئمة ذلك المجـال مما هو مسطور بمحله متعـارف عند أهله بعـد أن سمع علينا صدرا من الكتب العشرة و'سنن والمسـانيد وغيرها ممـا اشتمل عليه كتاب الأوليـات جميعه وطرفـا من الأحاديث المسلسلـة كالمسلسل بالأولية والمسلسل بيوم العيـد وبالضيافة على الأسودية ، مضيفا له بذلـك وصالحته وناولته السبحة وألبستة الخرقـة ولقنته الذكر وأدخلتـه الخلوة وعقدت له الإخـوة فى الله بينى وبينه مجيـزا له بـذلك كله وبجميع مـااشتمل عليه كتـابنا السلسبيل المعين فى أسـانيد الطـرائق الأربعين ، وناولتـه عدة وافرة من كتب الحديث والتفسير منـاولة مقرونة بـالإجازة على رأى محققى ذلك بواضح الدلالة القطعية وناهيك بجماعة منهم الإمام مالك وأئمة الحرمين وكم لسبيلهم من سالك وأحـلت الأسـانيد فى ذلـك على ما فى فهرستـنا الكـبرى المسمّاه (بالشمـوس الشارقة فى أسـانيد مشايخنا المغـاربة والمشارقـة) وفهرستنا الـوسطى (البدور الشافرة فى عـوالى الأسانيد الفاخـرة) وفهرستنا الصغرى (المنهل الـرائق فى أسانيد الحديث والتفسير والطرائق) ومـا حضرنى حالاً مـن بعض فهارس شيوخ شيـوخنا وشيـوخهم من جملة مـا ناولته من الكتب كفهـرست الإمام البوسـى وفهرست أبى سالم العيـاشى (اقتفاء الأثـر بعد ذهـاب الأثر) وفهـرست (تحفة الأخـلا بإجازات المشـايخ الأجلا) وفهـرست الفاسـى (المنح الباديـة فى الأسانيد العـالية) وفهـرست العلامـة الروداني (صلـة الخلف بموصـول السلف) ، وفهرست العـلامة السنـدى (إتحاف الأكابـر بـرؤية الشيـخ عبد

القـادر) ، وفهـرست أبـى مـهدى عيـسـى الثـعالبى (منتخب لأسـانيـد فى وصـ
المصنفات والأجزاء والمسانيد) ، وهذه الفهارس الثلاثة من أعظم ما صنف فى هذا الفنّ
وفهرسـت أبى إسحاق الكورانـى الموسومة (بـالأمم بأيقـاظ الهمم) ، وفهرست العـلاه
الفـلانى الموسومـة (بقطف الثمـر فى رفع المصنفـات والفنون والأثـر) وغيرهـا من بعض
الفهارس الأربعين الواصـلة إلينا بواسـطة أو واسـطتين غالبا حسـبما هو مبين فى كتاب
(سوابغ الأيد بروايات أبى زيد) إذ تتبع أسانيدمـا سمعناه فضلا عما ناولناه يستدعى مؤلف
واسـعا ، وتلـك الفهارس منتشرة أى انتشار فى غـالب الأقطار ففـى مراجعتها غنيـة عن
ذلك ، وعلى المجـاز المذكور الإتحاف بصـالح دعواتـه فى خلـواته وجلـواته عسى اللـه أن
يجمعنا عليه ويقطعنا عما سواه ويقربنا إليه وأن يتم لنا السعادة بالخاتمة الحسنى وزيادة .

ثم إن المجاز المذكـور رام أن يفصل له بعض التفصيل لمزيد التحصيل ولـو بنذر قليل
لعدم تحصيلـه تلك الفهارس المذكورة حالا ، وإن كـانت مشهورة لكونه على جنـاح سفر
وإلى الله المقر وبه الإعانة والظفر .

فاقول : قـد أخذت مـا اشتهر تعـاطيه من كتب المنقـول والمعقول ومسـانيد الأئمـة
الثقات المتصف بالقبول عن أئمة عظام أجلة من مغاربة ومشارقة حسبما أثبتناه .

فى كتابنـا الشموس الشافرة والبـدور السافرة كما مـر واقتصر له منها على ذكر أسـانيد
كتب الأئمة العشرة وهى الموطأ والكتب الستة ومسانيد الأئمة الثلاثة أبى حنيفة والشافعى
وأحمد ، فممن رويناه عنه جميعها وحيد دهره وفريد عصره أبى سليمان مولانا (عبد الحفيظ
ابن محمد العجمى) مفتى مكة المشرفة ، وقاضيها أخـذت عنه رضى الله عنه موطأ الإمام
مالك رحمه الله سماعا لبعضها وإجازة لباقيها عن شيخه المفتى عبدالملك المكى عن شيخه
عبـد القادر بن أبى بكـر المفتى المكى عن الشريفة المعمـرة (قريش) الطبريـة ح(١) وعن
شيخنا البـدر بن عامر العمـرانى عن صاحب الإتحاف بإجـازته العامـة عن شيخه الشيخ
عبد القادر المذكـور عن الشريفـة المعمـرة (قريش) الطبريـة ح ، وعن شـيخنا

---

(١) حرف الحاء دلالة على تحول السند للكلام من سند إلى سند آخر .

(أبى سليمان) المذكور عن شيخه الشيخ محمد طاهر سنبل عن شيخه الشيخ عارف الفتنى عن الشريفة (قريش) المذكورة بإجازتها العامة عن الشيخ المعمر إبراهيم بن أحمد الحصار عن الشيخ محمد بن إبراهيم النمرى عن الحافظ ابن حجر العسقلانى عن أبى العباس ابن الخراط عن أبى جابر الوادياشى عن عبد الله بن محمد القرطبى عن أحمد ابن زيد بن بقى القرطبى عن محمد بن عبد الرحمن الخزرجى القرطبى عن أبى عبد الله محمد بن فرج مولى بن الطلاع عن يونس بن عبد الله الصفارى عن يحيى بن عبد الله الليثى بن يحى قال : أخبرنا عم والد عبيد الله بن يحيى بن يحيى قال : أخبرنى والد يحيى ابن يحيى الليثى قال : أخبرنا الإمام (مالك) وأرويه أيضا عن شيخنا البدر المعدانى المذكور عن كل من أبى حفص الفارسى وأبى عبد الله التاودى ابن سودة والأول عن الحريشى عن شيخ الإسلام أبى محمد عبد القادر الفاسى والثانى عن ابن المبارك اللمطى وابن عبد السلام بنانى كلاهما عن أبى عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى والحريشى كلاهما عن شيخ الإسلام الفاسى المذكور عن عم والده أبى زيد عبد الرحمن الفاسى المشهور بالعارف بالله عن القصار عن الشيخ خروف التونسى عن شقيّر عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى عن أبى الفرات عن ابن جماعة عن ابن الزبير عن ابن خليل الخولانى عن الطلمنكى عن ابن عيسى عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى الليثى عن الإمام (مالك) رحمه الله وأرويه عالياً بأعلى سند يوجد اليوم عن جماعة من شيوخنا منهم شيخنا العجيمى المذكور عن الشيخ صالح الفلانى عن شيخه ابن سنة عن الشريف ابن أرقماش الحنفى عن ابن حجر العسقلانى عن المراغى عن الفاروقى عن أبى إسحاق مفيدا الحافظ المكناسى عن ابن زقون عن الخولانى عن أبى عيسى عن عم أبيه يحيى بن يحيى الليثى عن الإمام (مالك) فيكون بيننا وبين النبى صلى الله عليه وسلم باعتبار ثنائيات الموطأ على الأول ستة عشرة واسطة وعلى الثانى خمس عشرة واسطة وهو علاما يوجد اليوم (وأرويه) بالسند السابق من طريق الحافظ ابن حجر العسقلانى ، كما أنى أروى باقى كتب الأئمة العشرة الآتية من طريق مقتصراً عليها بالسند السابق إلى الشيخ عبد القادر المفتى عن الشيخ إبراهيم بن حسن الكورانى الكردى الشافعى سماعا لبعضه وإجازة لسائره عن

العــارف بالله تعالى صفى الـدين أحمد بن محمد الدينى الأنصارى القشاشى عن الشمس الرملى عن شيخ الإسلام القـاضى زكريا الأنصارى عن الحافظ ابن حجـر العسقلانى عن المسنـد المعمر عمـر بن الحسن بن أميلة المراغى بسنـده السابق إلى الإمـام مالك رحمه اللـه تعــالى (وأرويـه) بهذا السنــد إلى الشيخ عبــد القـادر المفتى عـن الشيخ حسن بن على العجيمى عن الشيخ أحمد بـن العجل عن البـدر محمـد بن محمــد العــربى عن الجلال السيـوطى عن ابن حجـر العسقـلانى عـن ابن الخراط عن الـواديـاشى بســنده السـابق (وأروى) (صحيح الإمام البخـارى) بأعلى سند يوجد فى الـوقت بالسند السـابق يليه إلى ابن حجر العسقلانى عن التنوخى عن الحجار عن ابن المبارك عن أبى الوقت عن الداودى عن السرخسى عن الفـربرى عن (محمـد بن إسماعيل البخارى) فتقـــع إلى ثلاثيـــاته بثلاث عــشر واســـطة وهو أعلى ما يوجد اليـوم (وأرويـه) بالسند إلى كل من أبى البقاء حسن بن على العجيمى ، وأبى إسحـاق إبـراهيم بـن حسن الكـورانى والأول عن الشيخ أحمد بن العجل اليمنى عن الإمام يحيى الطبرى عن جـده المحــب الطبرى عن الرســـام الدمشـــقى عن عبد الـرحمن الفرغانى عن شيخه أبى عبد الـرحمن الفرغانى إيضاح وروى أبو البقـاء المذكور عن القط عن أحمد النهـروالى عن والده عن الطـوسى عن الفرغـانى عن الختلانى عن الفربـرى (عن البخار) ، والثانى عن عبد الله بن ملاّ سعيـد الله اللاهورى المدنى عن القطب النهروالى سنده السابق فتقع إلى ثلاثيـاته بثلاثة عشر كالأول فإن شيخنا ابن الشارف يروى عن كل من الشيخ حسن العجيمى والشيخ إبراهيم بن حسن الكورانى بإجـازتهما العامـة فإنهما كما قـال : شيخ شيـوخ مشايخنـا أبـو عبـد الله محمـد بن سليمان الرودانى فى فهرسته ما نصه وعموم الإجـازة ، وإن كان دون خصوصها لا ينبغى طرحه فى هـذا الزمـان (وأروى صحيح الإمام مسلم) بـالسنـدإلى ابن حجر عن ابن الكـويك عن عبدالرحمن بن محمد المقدسى عن عبد الدايم النابلسى عن محمد بن على بن صدقة الحرانى عن الفـرادى عن عبـد الغـافـر بن محمـد الفـاسـى عن الجلـودى عن إبـراهيم بن محمـد النيسابوري عن ما ألفه الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى (وأرويه) بالسند إلى حسن العجيمى عن يحيى الطبرى عن جده المحب الطبرى عـن المراغى عن الحجار عن الحمامى

عن أبى الفرج الثقفى عن ابن منده عن الجوزقى عن أبى حامد الشرقى عن الإمــام مسلم (وأرويـه) عن شيخنا العـلامـة الحسن القويسنى أجـازه عن العـلامه الأمير عن شيخـه السقـاط عن الشيخ إبـراهيم العيفرى عن الشيخ أحمد القـرقـاوى المالكى عن الشيخ على الأجهـورى عن الشيخ على نـــور الـدين القـرافى عن الحافظ السيـــوطى عن البلقينى عن التنوخى عن سليمان بن حمزة عن أبى الحسن على بن نصر عن الحافظ عبـد الرحمن بن منده عن الحافظ أبى بكر محمد بن عبـد الله النيسابورى عن الإمام مسلم (وأرويه) بـالأسانيد السابقة لابن حجر عن أبى محمـد الشادى عن أبى الفضل المقدسى عن أبى محمد الحسن ابن محمد الهاشمى عن عبـد الرحمن بن محمد بن إسحـاق عن أبى بكر محمد بن عبـد الله الشيبانى عن مكرم بن عبيد الله عن مؤلفه (وقرأه) ابن حجر أيضا فى أربعة مجالس سوى مجلس الختم على الشـرف أبى الطاهر محمـــد بن محمد بن عبد اللطيف بن الوكيل عن أبى الفرج عبد الـرحمن بن عبد الحميد بن عبد الهادى الحنبلى القدس سماعـا عليه بجميعه عن أبى العباسى أحمد بن عبـد الدايم النابلسى سماعـا بجميعه عن محمد بن على بن صنـدقة الحرانى سماعا لجميعه عن فقيه الحرم أبى عبد الله محمد بن الفضل سماعا بجميعه عن أبى الحسن عبد الغفار بن محمـد الفارسى سماعا بحال . أخبرنا أبـو محمد بن عيسى الجلودى بضم الجيم نسبة لسكة الجلود بين نيسابور الدارسة ، وقيل بفتحها نسبة لجلودا قرية سماعا قال : أخبرنـا إبراهيم بن محمد بن سفيـان الفقير الزاهد سماعا قـال : أخبرنا مؤلفـه الإمام مسلم سماعا إلا ثلاثة معلومـة فكان يقول فيهـــا عن مسلم : قال ابن الصلاح الأندرى : أحملها عنه إجـازة أو وجادة (وأروى سند أبى داود) بالسنـد إلى ابن حجر عن ابن المطرز عن الـدبـوسـى عن على ابن المنير عن الأسفـراييني عن الخطيب البغـــدادى عن القـاسم الهاشمى عن اللـولوى عن ما ألفـه الإمام أبى داود سليمان بن الأشعـث السجستانى رحمه الله تعالى وأروى (جامع الترمذى) إلى ابن حجر عن التنوخى عن على بن محمد بن معدود البـديخى عن أبى منصور محمـد بن على بن محمد بـن الهنى عن عبد العـزيز بن محمـد بن الأخضر عن أبى الفتح عبـد لملك الكـروخى عن عبـد الجبـار المروزى عن محمـد بن أحمد المروزى عن الإمام الترمذى رحمه الله تعـالى (وأروى سند النسائى) المسماة بالمجتبى إلى ابن

حجر عن التنوخى عن عثمان خطيب القرابة عن أبى طاهر السلفى عن أبى أحمد الرونى عن الكسار عن ابن السنى عن النسائى رحمه الله تعالى وأروى (سند الحافظ ابن ماجه) به إلى بن حجر عن أبى الحسن بن أبى المجد الدمشقى عن الحجار عن أنجب ابن أبى السعادات عن أبى زرعة طاهر بن محمد المقدسى عن الفقيه أبى منصور القزوينى عن القاسم بن أبى المنذر الخطيب عن على بن إبراهيم بن سلمة القطانى عن الإمام ابن ماجه أبى عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزوينى رحمه الله تعالى وأما المسانيد الثلاثة بقية كتب أئمة الإسلام العشرة فأروى (سند الإمام أبى حنيفة النعمان)بالسند السابق إلى ابن حجر عن الصلاح بن أبى عمر عن الفخر ابن البخارى عن بركات بن إبراهيم الخشوعى عن أبى خمرو البلخى عن أبى خيرون عن عبد الملك ابن القاضى عبد الرحمن بن محمد السرخى عن أبيه القاضى عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله ابن خالد الدهنى عن إبراهيم بن عمرويه المروزى عن أحمد بن الصلت بن المفلس الحمّانى عن بشر ابن الوليد عن أبى يوسف عن الإمام أبى حنيفة قال : سمعت أنس بن مالك يقول : طلب العلم فريضة على كل مسلم وأروى مسند الإمام (الشافعى) به إلى ابن حجر عن محمد بن محمد الرفتاوى الحيرى عن سند الوزراء التنوخية عن الحسين المبارك الزبيدى عن أبى زرعة طاهر بن محمد بن طاهر عن مكى بن محمد بن منصور علامة السلارى عن أحمد بن الحسن الخرشى الحيرى عن الربيع بن سليمان المرادى عن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى وأروى مسند (الإمام أحمد بن حنبل) به إلى الحافظ ابن حجر العسقلانى عن ابن مبارك الهندى نزيل القاهرة الأزهرى عن أحمد بن محمد الحلبى المعروف بخفنجلة عن النجيب أبى الفرج عبد اللطيف الحرانى نزيل القاهرة عن عبد الله بن أحمد ابن أبى المجد الحربى عن هبة الله بن محمد الشيبانى عن الحسن بن على التميمى المذهب الواعظ عن أحمد بن جعفر القطيعى عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن والده المذكور ، وأروى (جميع ما اشتمل عليه كتاب الأوليات) الصغرى عن شيخنا الجمال العجيمى عن شيخه الشيخ محمد طاهر سنبل عن مؤلفها (الشيخ محمد سعيد سنبل) بسنده المذكور فيهما إلى كل واحد من مؤلفى تلك الكتب الستين أو ما يقرب منها المشتمل عليها الكتاب المذكور

كما أروى جميع ما اشتمل عليه (كتاب الأوليات الكبرى) عن شيخنا المذكور عن غير واحد من شيوخه من أجلهم الشيخ المرتضى وأشاركه فيه بإجازته العامة عن السيد عبد الرحمن بن أسلم المكى عن الشيخ عبد القادر بن أبى بكر مفتى مكة المشرفة بسنده المذكور فى إتحافه إلى كل واحد من مؤلفى ما اشتملت من الكتب المذكورة وقد اشتمل عليها وما يزيد عليها بكثير كتابنا (المنهل الرائق فى أسانيد الحديث والتفسير والطرائق) وهو عبيد المجاز المذكور (وأما كتب التفسير) فاقتصر له منها على أسانيد عشرة منها عشرة أثرية وعشرة تأويلية .

فمن القسم الأول :

١ ـ (التفسير المروى عن الإمام مالك) رواية أبى بكر محمد بن عمر الجبابى عنه . ٢ ـ التفسير المروى عن الإمام سيفان الثورى رواية أبى حذيفة موسى بن مسعود بن اليمان عنه . ـ ٣ ـ والتفسير المروى عن الإمام سفيان بن عيينة رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عليه . ـ ٤ ـ والتفسير المروى عن الإمام أحمد بن حنبل ـ ٥ ـ والتفسير المروى عن عبد الملك بن جريج ـ ٦ ـ وتفسير أبى بكر بن أبى شيبة ـ ٧ ـ وتفسير أبى جعفر محمد بن الطبرى الذى لم يؤلف على ظهرالبسيطة مثله ـ ٨ ـ وتفسير أبى إسحاق إبراهيم بن راهويه ـ ٩ ـ والتفسير المسند لأبى بكر أحمد بن موسى بن مردويه ـ ١٠ ـ وتفسير عبد الرزاق ابن همام الصفانى ـ ١١ ـ وتفسير أبى بكر محمد بن الحسين النقاش .

ومن القسم الثانى :

١ ـ تفسير ابن عطية ـ ٢ ـ وتفسير البغوى ـ ٣ ـ وتفسير القرطبى ـ ٤ ـ وتفسير العلبى ـ ٥ ـ وتفاسير الواحدى ـ ٦ ـ وتفسير الزمخشرى « الكشاف » ـ ٧ ـ وتفسير البيضاوى ـ ٨ ـ وتفسير العشير ـ ٩ ـ وتفسير الغزالى ـ ١٠ ـ وتفسير الحاتمى . وأسانيد جميعها بيد المجاز المذكور وأجزناه بجميعها وغيرها لما اشتمل عليها كتابنا المنهل الرائق (كما أجزناه بجميع ما وصل إلينا بالأسانيد الصحيحة من طرق السادات ، السادات الصوفية) المشتمل عليها كتابنا (السلسبيل المعين فى أسانيد طريق الأربعين) واقتصر له منها على

عشـــرة طـرق وهى (الطريقة المحمدية والطـريقة الصديقية والطريقة الخضريـة والطريقة الأويسية والطـريقة الجنيـدية والطريقـة القادريـة والطريقـة الشاذلية والطـريقة الخلـوتية والطريقة النقشبندية والطريقة السهروردية) فـاروق (الطريقة المحمدية) من وجوه عديدة أعلاها ما أخذناه عن شيخنا قطب العـارفين و إمام المحققين مولانا أبى العباس العرايشى المكى الهجـرة ، اليمنى الوفـاة ، عن شيخـه أبى المواهب التـازى الفاسى عن شيخـه أبى السعود السيد عبد العزيز بن مسعود الدباغ الفاسى عن سيدنا ومولانا أبى العباس الخضر عليه السلام عن النبى صلى الله عليـه وسلم حال حياته كأحد سائر الصحـابة عنه فأخذ السيد عبد العزيز عنه كأخذ سائر التابعين عن ثابتى الصحبة من معاصرى النبى صلى الله عليه وسلم وهلم جرا فتكـون الوسايط بيننا ، وبين النبى صلى الله عليـه وسلـم أربعة ولله الحمد وله الشكر ، وأمـا الأخذ عنه والاجتماع به صلى الله عليه وسلم يقظـة ، ومناما بعد موتـه صلى الله عليـه وسلم فقد حصل لكل من مشـايخ السنة الثلاثـة بل ، لم يكن لكل منهم فى آخر عمره معول فى شيء ما إلا عليه ولا رجـوع لأحد مطلقا إلا إليه صلى الله عليه وسلم بل أهل هـذه الطريقـة المحمديـة من خصـوصيتهم ذلك ، وبسببه خصت بـذلك الاسم ، وإن كان مرجع الطرق كلها إليه صلى الله عليه وسلم قال أبو البقاء رحمه الله : إن مبنى هذه الطريقة على استغراق باطن صاحبها فى شهوته ذاته صلى الله عليه وسلم وعمارة ظاهره بمتابعته قولا وفعلا ، وشغل لسانه بـالصلاة عليه وعكوفه عليها فى غالـب أوقاته فى خلواته وجلـواته إلى أن يستولى على قلبه ويخامره تعظيمه صلى اللـه عليه وسلم بحيث عند سماع ذكره ، ويغلب على قلبه مشـاهدته وتصير تماثيله بين عينى بصيرتـه فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة فتكثر رؤياه إياه فى غـالب أحيانه فى منامه أولا ثم فى وقائعه ثم فى سنة غفلته ثم فى حال يقظتـه وهى درجات لا تدرك إلا بالـذوق فيسترشده إذ ذاك فيما يهمه من غالب أمره واقفا عنـد أمره ونهيه فلا تبقى لمخلوق عليه منـة إلا النبى صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذه الرتبة محمديا لذلك حقيقيًّا ومريد سلوك سبيله مجازيا (قال العارف بالله أبـو البقاء المكى) بعد حكايـة قول ابن عطاء الله : وإيـاك أن تترك ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فإنه مفتاح لكل باب (ما نصه) .

ولهذا اقتصر على السلوك بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم خلق كثير لا يحصون من أهل اليمن وغيرهم من أماثل الشيوخ كسيدى الشيخ نور الدين على الشوفى وسيدى الشيخ أحمد الزواوى والشيخ أحمد المنزلاوى وغيرهم ، فلا يزالون يشتغلون بها حتى يظهر لهم الروح المحمدى عليه الصلاة والسلام مناما ثم يقظة فيريهم ويرشدهم ويوصلهم إلى أعلى المقامات فيأخذون منه ويستضيئون بمشكاته ، ويحشرون تحت لوائه يوم القيامة إذا حشر الفقراء تحت سناجق شيوخهم فيلحقون بالسابقين الأولين ، فيالها من نعمة ما أسناها ورتبة ما أسماها ، قال : وهى لابد قرية بذلك فإنه إذا كان أهل الطريقة الأويسية قد وصل منها خلق كثير بتربية روحانية سيدنا خير التابعين (أوس القرنى) ، وترقى سيدنا (بهاء الدين النقشبندى) بروحانية الخواجة عبد الخالق الفجروانى ، وتسلك سيدنا (أبو الحسن الخرقانى) بروحانية سيدنا أبى يزيد البسطامى ، وهو أيضا تكمل بروحانية (سيدنا جعفر الصادق) وترقى جماعة من القادرية بروحانية الروحانتين ووالديهما عليهما الرضوان كيف لا يحصل الترقى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهى من أفضل الأعمال وأشرف ما تمسك بالمثابرة عليه المتمسكون من العمال ، كما نطقت بذلك النصوص الصريحة من الأحاديث الصحيحة انتهى .

وهذا كما علم تمام حق كل أحد ولولا سند له فى ذلك أما من له سند فمدده أكبر وحظه أوفر سيما إن قربت وسائطه وتوفرت شرائطه (ولنا فيها من هذا القبيل أسانيد) منها روايتنا عن شيخنا البدرى المستغافى عن العلامة السندى أجازه عن شيخه العلامة عبد القادر الصديقى المكى عن أبى البقاء العجيمى ح وعن شيخنا الجمال العجيمى عن العلامه المرتضى وأشاركه فيه بإجازته العامة عن ابن الطيب الفاسى المدنى عن أبى البقاء المذكور ح ، وعن كل من شيخنا الجمال العجيمى ، والجمال العطار عن الشيخ سنبل عن الفتنى عن جد الأول أبى البقاء المذكور قائلا : أخبرنى الصفى الفشاش عن شيخه أحمد ابن على الشناوى عن عمه عبد الوهاب بن عبد القدوس عن الشيخ الخواص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم (وأرويها) أيضا بالسند إلى الشيخ أحمد بن على الشادى عن الشيخ عبد الوهاب الشعرانى عن الشيخ الخواص عن الشيخ إبراهيم المتبولى

وهو أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم بعضه إما بواسطة واحدة أو بدونها منهم شيخنا (أبو العباس العرايشى) فقدأخذ فى أول زمانه عن شيخه أبو المواهب التازى ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله وأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنه أياها قائلا : لا أنفع للعبد من لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كما لقن بها شيخ شيوخنا السيد محمد بن الصادق الريسونى قائلا : ما بينك وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا هذا الوجه (وقال : إنى سعمت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على نفسه بنفسه ، ومنهم شيخنا (سيدى محمد بن على بن الشارف) المازونى فكان رضى الله عنه كثير الاجتماع به وقد يقع له ذلك فى بعض دروسه ، ويعتريه لذلك أحوال عظيمة وهيبة جسيمة ، وغالبا يخبرنا بذلك فيمن حضر ويأمرنا ، إذ ذاك بقراءة القرآن العظيم أولا ماشاء الله ثم بقراءة الحديث ما شاء الله بخصوص الصحيحين والموطأ فإذا انصرف الرسول صلى الله عليه وسلم سَرِىَ عنه ورجع لعادته ومراده بتينك القراءتين والله أعلم ، أن يكون السماع عليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة إذ القراءة على الشيخ ، والسماع منه كما هو مذهب جمهور المحدثين كصاحبى الصحيحين وغيرهما ، وكما نعد ذلك من أجل النعم علينا إذ كان رضى الله عنه يأخذ عن النبى بلا واسطة ويتحف مريده بما يمكن منها ، وأما شيخنا (أبو العباس العرايشى) فكان له فى ذلك القدم الراسخ كشيخه التازى ، وشيخ شيخه الدباغ وتتبع أحواله معه صلى الله عليه وسلم لا يمكن استيفاؤه إذ كان آخر أمره وأوله وأوسطه ليس له مفعول إلا عليه ولا رجوع فى شىء إلا إليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم .

وأما الطريقة (الصديقية) والطريقة (الأويسية) وهما بيد المجاز فى كتاب المنهل الرائق أنت مجاز بها فيه .

وأروى الطريقة الخضرية مسلسلا بلبس الخرقة بالسند السابق فى الطريقة المحمدية إلى السيد عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه عن الخضرعليه السلام ومما لقنه به فى أول اجتماعه به ولازمه حتى فتح الله عليه الصلاة الخضرية المعروفة وهى اللهم يارب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اجمع بينى وبين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عيه وسلم فى الدنيا قبل الآخرة (وأرويها) بالسند الأخير فى الطريقة الأويسية إلى

الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربى قُدِّسَ سره (وهو لبسها) كما قال : فى الفتوحات فى الباب الخامس والعشرين منها من يد على بن عبد الله بن جامع الموصلى وهو عن الخضر عليه السلام وكان الخضر ألبسها إياه بحضرة الشيخ قضيب البان الموصلى فى بستان له خارج الموصل كان يسكن به قال ابن العربى : ولبسها على بن عبد الله المذكور بالموضع الذى ألبسه فيه الخضر من بستانه قال : وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقى الدين عبد الرحمن بن على بن ميمون بن أبى التوزرى وهو واليها من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية محمد بن حَمَوَيْه ، وكان جده لبسها من يد الخضر عليه السلام ، ومن ذلك الوقت قلت : بلباس الخرقة وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هى عبارة عن الصحبة ، والآداب ، والتخلق ، وهو المعبر عنه بلباس التقوى إلى آخر ما قاله قدس الله سره .

وأرويها أيضا بدون ذلك عن أبى البركات عبد القادر بن عبد الله المنياوى عن أبى حفص عمر بن عبد الله الفلانى عن الخضر عليه السلام وقد صحبه وأخذ عنه كثيراً وقد سأله تلميذه أبو البركات المذكور ذلك فأجابه بجمعه معه ، وكان الخليقة عليه من بعده كما أخبرنى به غير ما مرة فى عداد أسرار تلقاها منه وقد قال شيخ مشايخنا أبو البقاء المكى ما نصه ومن المجربات للاجتماع بيدنا أبو العباس المنذر على أبينا وعليه السلام قراءة ادعاء السيفى إحدى وأربعين مرة بنية الاجتماع به فإنه إذا قرأ لذلك بهذا العدد اجتمع العامل بسيدنا الخضر لا محالة بإذن الله تعالى وإن لم يشعر بعض العمال بحضوره عليه السلام لكثافة الحجاب فالمدامة على ذلك وردا كل يوم وليلة مع الروحانية يترقى العامل إلى الملاقاة به جهرا بإذن الله تعالى فيهتدى بهديه ، ويصدر فى جميع أحواله عن أمره ونهيه (قلت) : وقد وصلت إلينا روايته هذه عن حفيده أبى سليمان العجيمى عن الشيخ محمد طاهر سنبل عن الشيخ عارف الفتنى عنه عن قاضى الجن السيد شمهروش عنه صلى الله عليه وسلم .

وأروى (الدعاء السيفى) من غير هذا الطريق عاليا عن شيخنا أبى العباس

العرايشى عن العلامة المجيدرى عن الشيخ محمد القناوى قطب الجن عن سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبرني شيخنا أبو العباس المذكور أنه رواه بلا واسطة عنه صلى الله عليه وسلم ، وأمره بزيادة بعض كلمات لتمام نفعها أوقفنى عليها رضى الله عنه ، وأنه قال له عليه السلام : أنتم اقرأوه لله لا كغيركم الذين يقرأونه لتحصيل خواصه ومنافعه إذ ورد أن قراءته مرة تعدل عبادة سنة بصيامها وقيامها (وأرويه نازلاً عن أبى سليمان العجيمى) المذكور عن العلامة المرتضى عن العلامة ابن الطيب الفاسى المدنى عن الشيخ حسن العجيمى عن الشيخ أبى بكر بن سالم بن أحمد بن شيحان العلوى عن أبيه (والصفى القشاشى) كلاهما عن أبى المواهب الشناوى عن الشيخ السند صبغة الله ابن سيدى روح الله البروجى عن الشيخ المولى وجيه الدين العلوى عن السيد الشريف محمد الطارى المخاطب بالغوث صاحب الجواهر الخمس بأسانيده الستة فى الدعوة بالدعاء السيفى اختصر منها اختصارا على سند واحد وهو (أن سيدى محمد غوث أخذ عن الشيخ الظهور الحاج الحصور عن الشيخ أبى الفتح هدية الله سرمسة قاضى الشطارى عن السيد زاهد عن الشيخ عيسى الجوينيرى عن الشيخ فتح الله الجشتى عن الشيخ صدر الدين الشهاب التاكورى عن الشيخ نظام الدين الولى عن الشيخ فريد الدين شكونجى عن الشيخ قطب الدين الرهلى عن الشيخ معين الدين الجشتى عن الشيخ عثمان الهارونى عن الشيخ شريف الزندى عن الشيخ مرود الجشتى عن الشيخ يوسف الجشتى عن الشيخ محمد الجشتى عن الشيخ أحمد الجشتى عن الشيخ أبى إسحاق الجشتى عن الشيخ ممشاد العلوى الدينورى عن الشيخ معريرة البصرى عن الشيخ حذيفة المرعشى عن الشيخ إبراهيم بن أدهم عن الشيخ فضيل بن عياض عن الشيخ عبد الواحد ابن زيد عن الشيخ الحسن البصرى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وبقية الطرق المعشرة بأسانيدها ، وشرائطها بيد المجاز المذكور ، وإنما اقتصرنا له على هذه الطرائق الأربع هنا لقرب أسانيدها ، وغرابتها وجزيل فضلها وعظيم نائل خصلها أصبغ الله علينا وإياه فواعم ذلك الإمداد بتواتر الازدياد ونفعه ونفع من اجتباه ربه من العباد ، وجعله هاديًا بريًّا ذكيًّا

بمنه وكرمه آمين والحمد لله رب العالمين قاله بفمه ورقمه بقلمه عبد ربه (محمد بن على السنوسى الخطاب الإدريسى) غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه آمين ورقمه بعده المجاز المذكور بخير لمن استجازه إجازة تامة مطلقة عامة بالشروط المذكورة كما هى أولا مسطورة وأجزته أن يجيز فى كل ما أجيز ، وأنا العبد الفقير الموصوف بالعجز والتقصير (عبد الجليل بن عمر الجزايرى المولد الأندلسى المحتد التطاونى الدار) وصلى الله على سيدنا محمد النبى المختار وآله وصحبه الأبرار ، وذلك أوائل رجب سنة ١٢٥٩ تسع وخمسين ومائتين وألف انتهى وأجازه كتابةً شيخ الإسلام بشهادة مشايخه الأعلام الإمام الكبير والقطب الشهير (السيد محمد بن السيد على بن السنوسى الخطابى الإدريسى الحسنى) رضى الله تعالى عنه بقوله أخبرناكم بما أجازكم به ولدنا الشيخ (عبد الجليل بن عمر) المذكور على الشرط المعتبر عند أهل الأثر ، وتوفى المترجم له الشيخ حسين المذكور فى شوال سنة ١٢٩٢ ثنتين وتسعين ومائتين وألف .

١٠٠ـ الشيخ محمد بن على بن موسى

الأستاذ العلامة نخبة الأذكياء الفهامة المحصل لدقيق العلوم الدراكة للمنطوق والمفهوم سليل الأماجد الفضلاء ، وأعيان الأماثل النبلاء أبو عبد الله محمد بن على بن موسى المالكى الأشعرى رحمه الله تعالى ، ولد بطرابلس ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن العظيم وجوده وقرأ العلوم على والده ، ولزم درس الأستاذ الكبير الشيخ محمد الريفى المغربى نزيل طرابلس وغيره من فضلاء عصره وبرع فى المنقول والمعقول جلس للتدريس ، وكان له ذهن ثاقب وفهم لسائر العلوم ، صائبًا فصيحًا خطيبًا بليغًا متين الحفظ متسع المعرفة مؤلفًا عالمًا بأحكام مذهب الإمام الأعظم مستحضرا لمسائله إماما فى علوم القرآن المجيد ، وله تأليف جليل فى القراءات والتجويد ، ولى رياسة العدول بالمجلس الشرعى ، توفى رحمه الله تعالى بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ١٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة وألف .

١٠١ـ الأستاذ مصطفى بن إبراهيم باكير

العلامـة الفهامة الكـامل حاوى الكمالات ، والفـواضل واسطة عقد النبـلاء ونتيجة الأماثل الفضـلاء سيدى الشيخ مصطفى بن إبراهيـم بن مصطفى القاضى أبو بكـر شهر باكير الحنفى ، ولد بطرابلس ، وبها نشأ وبيته بيـت علم ومجد منذ أسلافه الكرام ، حفظ القرآن العظيم ، وجـوده ، ومتن الكنز ، وقـرأ العلوم على أساتيـذ بلده منهم الأستـاذ أبو الطاهر محمد المحجوب ، والشيخ على بن موسى ، وأخذ علم الحديث ، والتفسير على يد أبى عبـد اللـه الشيخ محمـد الصيـد ورواية بـالسنـد المتصل بشيخ الجماعـة على العـدوى الصعيـدى المسعودى ، وغيرهم من علماء عصره وأجـازه بما لـديهم من منقول ، ومعقـول فأصبح فقيها متفننا فـرضيا مدرسا خطيبـا وكان رحمه الله تعالى حليما كـريم الأخلاق ورعا ولى مرتبـة الإفتاء بنفس الثغر فحسنت سيرته واشتهـرت عفته ولا تأخذه فى الله لـومة لائم ولازال بها إلى أن توفى رحمه الله تعالى فى أول يوم شوال سنة إحدى عشـــر وثلاثمائة وألف .

١٠٢ـ الأستاذ محمد بن أحمد العكارى

العارف بـالله تعالى الأستـاذ محمد بن أحمد العكارى كان عـالمًا فاضًلا جليّـلا زاهـدًا ورعًا ، ولد سنة ١٢٤٠ بهنشير ساحل طـرابلس ، وتربى يتيما فى حجر جدته من قِبَل الأم وكـابد وجـاهـد وحفظ القرآن العظيم على روايـة نـافع وجودة ثم شرع فى أخـذ العلم على الشيخ البركة شهـاب الدين أحمد النعاس التاجـورى فأخذ عنه التوحيـد ، والفقه ، وعلم العربية والأدب وعلم الفرائض ، وأفيضت عليه من بركاته ما لم يكن فى حساب حتى صار الشيخ يراجعه فى بعض المسائل ثم رجع من المدرسة واشتغل بالتعليم والمطالعة وأخذ علم الحديث والتفسير والأصول عن عـلامة عصره الشيخ محمد أبى الفضل المسعـودى التوانى الصيد دراية ورواية بالسند المتصل بشيخ الجماعة الشيخ على العدوى الصعيدى ثم شرع فى

التأليف فألف (منظومة حدا بها لأجرمة) مختصرة مفيدة أشار فيها لعدة أبياتها ، وتاريخها بقوله (أبياتها كالكتب السماوية جاءت بحمد عام ١٢٧٠ شعر وافية) ، ثم انتقل إلى الأزهر للزيارة وأخذ العلوم فعرضها على بعض العلماء فاتهمه بأنها ليست له فقدم إليه كلاما منشورا فى التوحيد وطلب منه أن ينظمه فنظمه من ليلته ، وسماها (الياقوتة الفريدة فى الستة والستين عقيدة) ، وشرحها بشرح لطيف ، وعرضها على الشيخ أبى إسحاق إبراهيم السقا فرضيها ، وقرضها بتقريض عجيب يؤذن برفعة مؤلفها ، وعلو شأنه فى العلم والصناعة الشعرية ورمز لعام ختامها بقوله (سنة شعره ١٢٧٥ حباه البارى)، وألف فى الصلاة سماها (اللؤلؤ المكنون) رامزا لها بقوله (أبياتها قد نسجت بالتحف وبدر عامها بدا بشرف) عبر عن أبوابها ٨٨ بوصل جمع فيها ما تفرق فى غيرها من الكتب وقد انتصب لشرحها العلامة أبو العباس الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المسعودى الصيد المذكور ، وألف منظومة (فى الصوم) ومنظومة (فى الزكاة) ومنظومة (فى الحج) ومنظومة (فى الفرائض) اختصر فيه الرحبية وسماه (مختصر الرحبية أو درر الفرائض الإرثية) ، ونظم (أسماء الله الحسنى) وبالجملة كاد أن يكون تحت كل حرف من تأليفه درة لمن تأمل وله فكرة وعبرة بحيث لا يمكن اختصارها كان يظهر من جواهر معانيها حال تقريره لها ما لا يخطر إلا على قلب مُعانيها ولقد أخر مرة فى تقرير الدرر الإرثية بتقرير يبهر العقول ، ويبين وجه اختصاره وكثرة معانيه ويقول : كلامنا أخصر من كلام الأصل وأفيد فانتقد بعض الحاضرين هذه العبارة باطنا قائلا فى نفسه الفضل للسابق ومراعاة الحرمة لازم فلما أن كر راجعا من محل درســه انقطع شسع نعله فى الطريق ولما ولج الليل فى النهار ، وأخذ مضجعه رأى بلصق المحل الذى انقطع فيه الشسع كأن قصرا مشيدا ، وله رواشن مشرفة على طريق الحاج فصعد إلى القصر ودخل إلى مقصورة منه فوجد رجلا له جمال بارع وحلية وثياب بيض نقية أكحل العينين أهدبهما يكاد النور يخرج من ثناياه أخد من الرائى الدرر وتصفحها إلى باب الحساب ، ولذا تصفحه لها ألقى الله فى روع الرائى فقه المواريث ثم لما أسفر الصباح واجتمع بالأستاذ قص عليه رؤياه فسر بها ورمز بأن المرئى هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وأمره بكتبها ثم أخذ رحمه الله تعالى فى شرحها إلى أن بلغ فى شرحه

إلى باب الحساب وارتج عليه فلم يتيسر له الشرح بعد مع اعتنائه ، وأخذه فى الأسباب جهده كان يعلم رحمه الله تعالى القرآن والعلم حبه مع بشاشة وطلاقة وجه ويقول لو علمنا صدق نياتهم لأتيناهم فى بيوتهم ويقول : الوجود كله مشايخى واستمد منه العلوم وله كرامات جليلة من أعظمها الاستقامة على الكتاب والسنة وحب الخير وأهله وعدم تفريقه بين الطرق وانكبابه على الصلاة النبوية وتمسكه بالطريقة القادرية الجيلانية وكان آخر تآليفه توسله الموسوم .

قال الأستاذ العارف بالله تعالى الشيخ المغربى أبو عبد الله محمد ظافر رحمه الله تعالى ورضى عنه : فى الرحلة الظافرية فى التعريف بالزاوية الغربية هذه البلدة على بعد ثمان ساعات من مدينة طرابلس، وهى بلدة كبيرة ، وقراها كثيرة ، وفيها بساتين عامرة بالنخل والزيتون والتين يسقون من الآبار ، ويزرعون الدخن والبشنة والفلفل والبطيخ والقتا والخيار وغير ذلك ، وأهلها من قبائل مشهورة وطباعهم على الشجاعة ، والبسالة مفطورة جامعين بين الحضرية والبداوة ، واللين والقساوة يركبون الخيول العتاق ، ويحملون السلاح على العواتق والأعناق لهم فى ميدان الحرب وثبات ، وجأش قوى وثبات محافظون على حقوق الإنسانية متطوقون بالمكارم السنية سالكون فى الديانة أحسن المسالك ، متمذهب أغلبهم بمذهب الإمام مالك ، وفيها فقهاء وفضلاء وأدباء ونبلاء ، وسادة كرام يفتخر بهم المقام وزوايا معظمة وأماكن محترمة ولأوليائهم مقامات ، ومجاذيب من أرباب الحالات مما هو معلوم عند العامة والخاصة ، إن هذه البلد مأوى الصالحين وعش الأولياء المقَربين منهم من هو ظاهر للعيان ومنهم من لا يعرفه إلا من نوّر الله قلبه بنور الإيمان فلذا ينبغى لكل إنسان إذا وصل إليها أن يراعى فيها الأدب لكى لا يعرّض نفسه إلى التهلكة والعطب ويسلك المسلك القويم الهادى إلى الصراط المستقيم ، ولقد شاهدت فيها من أرباب الأحوال ، والكمل من الرجال ما يدل على أنها بلدة ملحوظة بعين العناية والجمال نرجو من الله تعالى أن لا يحرمنا بركة رجالها ، وصناديد أبطالها ، ونفعنا بهم فى الدارين بجاه طه آمين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وبهذه البلد مساجد ، ومكاتب ، ومدارس ، وسوق به دكاكين عامرة بأنواع التجارة ويوجد فيها ما يحتاج إليه

البـوادى ، وأهل الحاضرة ، ويجتمع فيهـا السـوق مـرتين فى الأسبـوع ، وتقصـده أربـاب الحاجـات من سائر الجهـات ، وأهل البلد يتعـاطون الـزراعة ، زراعـة القمح والشعير فى أرض فطيس ، وغيرهـا من أراضيهم المشهـورة ويكسبـون من ذلك الخيرات العظيمـة والمكاسب الجسيمة .

ثم قال رحمه الله تعالى وينسب إليها .

١٠٣ـ العارف بالله سيدى عبد الحميد اليربوعى الشهير ببحر السماح

حفظ القرآن فى زاوية الشيخ سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه ، وتفقه فى المختصر ، والرسـالة على أكـابر من علماء طـرابلس وارتحل إلى المشرق وأخـذ الفقه على الأخوين الشمس اللقـانى والناصر وغيرهما واعتنى بالتهذيب والرسـالة والموطأ وحج وزار واجتمع بجماعة من أكابر الأزهر ، ولازم ابن حجر الهيثمى وتبرك به ، وقيد عنه مسائل ثم قدم إلى طـرابلس واجتمع بالشيخ سيـدى عبد السـلام الأسمر وأخذ عنـه ، وخدمـه مدة وانتفع به وكان الشيخ رضى اللـه عنه يثنى عليه ، ويشهد له بالصـدق ويذكره دائما بخير وكان رحمه اللـه ذا كرامـات وكشف واطلاع وكـان وسيع الأخلاق لا يكـاد يغضب أبدا ، وكـان من أهل السخاء والكـرم ، توفى رحمه اللـه تعالى سنـة ٩٧٩ تسع وسبعين وتسعمائة وقبره بمكان يسمى (ديلة) مشهور وقال : ومن أهل الكمال والحال .

١٠٤ـ الشيخ أحمد الكمودى بن عبد الله

شقيق سيـدى عبـد الحميـد المذكـور ، كـان مجذُوبًـا مـن أهل الكمال ومن أربـاب الكشوفات يخبر الناس بما فى ضمائرهم ، ويذكـر وقوعات حدثت فى أمـاكن بعيدة ويظهر

صدقه فيها ويقول : أهل الله اجتمعوا على الأمر الفلانى وهكذا وإذا كان أحد من الناس وقع فى معصية فيأتيه سرا ، وينهاه ، ويهدده إن عاد إليها ، ولا يتكلم بالأمور المغيبات إلا إذا قوى عليه الوارد ، وإذا سئل قبل ذلك يقول لسائله : (دعنى فى حالى) وإن ألح عليه أو ألزمه بشيء يجب كتمانه يزوم زومة ، ويتعوذ بـالله من الشيطان الرجيم ، ويمتد كالميت ثم يفيق ، ولـه أحوال عجيبـة ، وكان كثير الصيـام قليل الأكل عنـد الإفطار ، ولا يـزال لسانه رطبًـا بذكر الله ، ومهما أحدث تـوضأ ، وكان كثير الصمت لا يتكلم إلا بما يعنيه ، وكرامـاته كثيرة ، ومن كـلامه فى بعض شطحـاته (يـا جالب النعم ودافع البـلاء والنقم) مشيراً للختام فيه بقوله (ختمت بأن جـاء البشير مؤرخاً وأبياتها حبى بها زاد فانجلا) فلما انجلى حبه دعاه محبـوبه إلى حضرته وآخر يوم الأربعـاء الموافق للرابع من جمادى الأولى عام ١٣١٣ ثلاث عشرة وثـلاثمائة وألف من هجرة مـن خلقه الله على أكمل وصـف صلى الله عليه وسلم فـأجاب وبات فى محلـه وفى تلك الليلة رآه بعض تـلامذتـه ، وأمره أن يمشط لحيته بمشط واسع الأسنـان ، وما سقط يلفـه فى داخل أكفانه فـاستحضر الرائى أن مثل هذا مكروه والشيخ لا يرضى به وأراد أن يأتى بكتـاب للشيخ فى ذلك الوقت فأجابه الشيخ مسرعا بأن المسألة مذكـورة فى منح الجليل على خليل ثم لما أن انشق الفجر ذهب الرائى إلى بعض أصدقائه ، وتذاكروا فى المسألة وطالعوا المنح فوجدوا المسألة حسبما دل عليه الأستاذ رحمه الله تعالى ثم أتى الشيخ السماتى وحار يسأل هل أوصى الشيخ بـوصية فلم يجبه أحد إلى أن وصل إلى مجلس المذاكـرة وقصت عليـه الـرؤيا فقـال : هـذه الـوصية إنـه كـان من الأقطـاب الخاملين الملقَّبين بـاسمه الحليم أو الـرحيم ودفن ضحى يـوم الخميس خـامس جمادى بمقبرة الهنشير وقبره هناك يزار نور الله ضريحه وأسكنه من الفردوس فسيحه آمين .

***

التعريف بزاوية أولاد سهيل
وزاوية أولاد سنان بلد الزاوية الغربية

قال فى الرحلة التيجانية : زاوية (أولاد سهيل) وهى رابطة حصينة يحف بها شجر كثير من التين ، والرمان ، والخوخ ، وغير ذلك ، ولها أرض متسعة تعرف بالصابرية ، وأولاد سهيل قوم من العمور والعمور فخد من الوشاحيين ينتسبون إلى عمر بن وشاح أخى جارية بن وشاح من المحاميد ، ولهم أخ رابع اسمه جراب هو أبو الجواربة وقبيلا العمور والجواربة فى زماننا هذا لم يبلغ من كثرتهم أن يقوم كل قبيل منهم بنفسه فهم تابعون لأحد قبيلى إخوتهم الجوارى أو المحاميد وقد كانت قبل هذا لهم بهذه الأراضى صولة ساعدتهم فيها من الأيام دولة ثم أخمد الدهر ذكرهم ، وطوى أمرهم ، وهم الآن تابعون للجوارى .

وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف (بأبى عيسى) يذكر عنه صلاح واعتناء بضيافة من كان يرد عليه ، وتوفى عام ٦٧٣ ثلاث وسبعين وستمائة ، وخلف فى إقامة رسم هذه الزاوية أبناؤه وهم ناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم ، فإنهم يرفقونهم بما يحتاجون إليه من زاد وغيره ويرجّعون إليهم ما استلبتهم العرب والدبابيون يراعون لهم حق رباطهم وحق مشاركتهم لهم فى النسب .

ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية وصل إلينا أهلها راغبين فى الوصول إلى موضعهم التحرم بطعامهم فسرنا مع مخدومنا إليهم فأصعدونا إليها فوجدناهم قد شحنوها بالعدد الثمينة على نحو التحبيس لها عليها ورأيت هنالك أيضا كتبا كثيرة محبسة وزرنا داخلها قبر الشيخ أبى عيسى رحمه الله تعالى ، ثم أتوا بطعام محتفل فطعمنا وانتشرنا وبتنا تلك الليلة بقرب منها ثم أصبحنا سرنا فاجتزنا بزاوية أضخم منها حالا وأكثر منها رجالا وبها مبان كثيرة ولهم أرض متسعة وتعرف بزاوية (أولاد سنان) إخوة الوشاحيين والغوائل وهم

بنو سنان وهذه الزاوية راجعة إليهم فى حكم عبد الله بن دباب بن عبد العزيز حار بن عسكر بن حميد بن جارية الشديد القوة المشهورة هناك انتهى .

أنــــا أحمد صـــاحب الحال　　أنــــا عمار البــــلادى
عنـــدى مفـــاتيح الأقفـــال　　حين ينـــادى المنـــادى
عنـــد الحرب أســد قتـــال　　مـن نضربـــه مـــا يـــدادى
أنــــا شربـت مـن منهـل زلال　　والشيـخ الأسمـــر أستــــاذى
ربـــــانى بعــــز ودلال　　شيخى هـــو مغيت مـــرادى
الأسمـــــر مليح الفعـــال　　كفـــانى كئـوس الـــودادى
وفـــزت عن جميع الـــرجـــال　　أهـل الحضر والبــــوادى

وكانت وفاته رضى الله تعالى عنه فى سنة ٩٨٤ أربع وثمانين وتسعمائة ودفن مع والده رحمهما الله تعالى وجميع المسلمين آمين .

١٠٥ـ الشيخ أحمد أبو قطاية المجذوب

قال فى الرحلة الظافرية : هو الشيخ الولى الصالح المكاشف سيدى أحمد أبو قطاية ابن محمد البِشت بكسر الباء الموحدة ، كان مجذُوبا مستغرقا فى الحال مكشوف الرأس له فرع مسدل بين كتفيه يسمى عندهم بالقطاية بضم القاف وتشديد الطاء وبها لقب ، وكانت له كرامات عديدة ، وأقوال مفيدة ، مات رحمه الله تعالى فى سنة ٩٨٩ تسع وثمانين وتسعمائة ودفن بمسجد جده وقبره ظاهر يزار.

١٠٦- الشيخ محمد بن على السملقى

كان من أعظم النقباء ، والسادات ، والأصفياء ، وكان لـه فى الفهم والإتقان شأن عظيم وأى شأن ، حفظ الرسالة ، ومختصر الشيخ خليل ، وتعاليقه ، وعقائد السنوسى ، وحكم ابن عطاء اللـه والبخارى ومسلم وله فى كل علم طـريق وهو من الرجال الـذين لو أقسموا على الله لأبرّهم ، وكان من المتعبدين الورعين له أتباع كثيرون ، وأخذ الطريقة عن سيدى عبد السلام الأسمر رحمه الله تعـالى وانتفع به ، مات رحمه الله تعالى سنة ٩٨٨ ثمان وثمانين وتسعمائة ودفن بجامعه الذى بالموضع المشهور بلواتة نفع الله به انتهى .

١٠٧- الشيخ عبد الحميد المشهور بضوء الهلال

قال الأستـاذ محمد ظافـر فى رحلته : هو العـابد الـزاهد الولى الصـالح مظهر الجمال والمنهل العذب الـزلال سيدى عبـد الحميدالشهير بضـوء الهلال بن عبد اللـه الكمودى ، وكـان رحمه اللـــه تعـالى ذا علـم صحيح ، وذوق صريح ، وكـان مـن العلماء العـاملين الناصحين الذين لا تأخـذهم فى الله لومة لائم . ولد بعـد صلاة الصبح فى يوم الاثنين فى العشر الأول من ذى القعدة سنة ٩٠٥ خمس وتسعمائة وحفظ القـرآن العظيم وهو ابن ثمان سنين قرأ النحو والمنطق والتوحيد على أكابـر من فقهاء تونس ، وتلقى علوما جمّةً من علماء فـــاس وارتحل إلى المشرق فحج وزار ، واجتمع بجماعـــة من علماء مصر كشيخنـا نـــاصر اللقانى ، والشريف يـوسف تلميذ السيـوطى ، والجمال ابن الشيخ زكريـا ، وأمين الدين وابن حجر ، وعبـد العزيز الطليطلى وعبد المعطى وغيرهم ، وانتفع منهم ولازم أبـا المكارم البكرى وتبرك به وقيد عنه فوائد ، ثم توجه إلى بغداد فى طلب الغوث ليأخذ منه التلقين فى طريـق الله فلما وصل إلى الشـام اجتمع بأحد أكـابر مشـايخها فلما قـرب منه ، وأخـذ يده يقبلها فقـال له مكـاشفا عليـه : يا عبـد الحميد ، أنت تطلـب الغوث ، وهـو فى بلادك

طرابلس الغرب اسمه عبد السلام بن سليم الفيتورى فرجع ، ولما وصلها اجتمع بالشيخ ، وأخذ عنه وخدمه وانتفع منه وكان رحمه الله تعالى ذكيًّا مشاركا فى العلوم وكان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس لا يبخل بجاهه وينقاد كل أحد لمطلوبه يحسن للفقراء والأرامل كثير العبادة شديد الورع له كرامات كثيرة ومزايا شهيرة ، وسبب تسميته بضوء الهلال أن امرأة صالحة تسمى الفقيرة مبروكة بنت الشيخ سيدى عبد الرحمن البشت بكسر الباء الموحدة قالت لوالدته وهى حاملة به : فى بطنك ابن يضئ كالهلال فلما ولدته تلقب بذلك ، توفى رحمه الله تعالى فى السابع عشر من شعبان سنة ٩٩١ إحدى وتسعين وتسعمائة ودفن بإزاء مسجد والده بموضع يسمى بالحرم من حيز الزاوية الغربية ، وقبره مشهور يزار انتهى .

١٠٨ـ أبو الحسن على بن محمد البشت

قال فى الرحلة المذكورة : هو الشيخ الولى الصالح الكامل سيدى أبى الحسن على بن محمد البشت بكسر الباء الموحدة ، كان من أجل أصحاب سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه ، وقد جمع الله قلوب أهل البلاد على محبته ، وتعظيمه وكان كلما يأتون إليه بالنذر يتصدق بها على الفقراء ، والمساكين ، ويقول : رزق الناس ، يرجع للناس ، ومن كراماته أنه يكاشف على ما فى ضمير الإنسان وإذا ضاع لأحد شىء وسأله يقول له : أمْض إلى المحل الفلانى تجد حاجتك الضائعة فيه فيتوجه له ويجدها ، وكان إذا أراد أحد أن يدخل إلى بيته من غير إذنه فلج ، وغير ذلك من الكرامات المتواترة الشهيرة وإنما أحضرناها من محلها تلخصا ، ومات رحمه الله تعالى فى سنة ٩٩٧ سبع وتسعين وتسعمائة فى ربيع الثانى وقبره بقرب ضريح جده وظاهر يزار رحمهما الله تعالى .

١٠٩ـ الشيخ إبراهيم بن على العوسجى

قال فى الرحلة الظافرية أبو إسحاق سيدى إبراهيم بن على العوسجى الإمام القدوة الربانى ، كان رحمه الله تعالى وليا صالحا واعظا ينتفع به الناس له كرامات وكشوفات واطلاع على المغيبات ، وكان يرسل إلى أمير طرابلس محمد التركى ، ويقول له : بادر بأفعال الخيرات فإنك لا تمكث فى الحكم بعد هذه السنة إلا شهرين فلم يلتفت لقوله ويقول : هذا مجذُوب لا عبرة بكلامه فكان الأمر كما قال الشيخ ، رضى الله تعالى عنه ، وكان قد حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وأخذ الفقه عن شيخنا الناصر ، وصحب سيدى عبد السلام الناصر وانتفع منه ، وكانت ولادته سنة ٩٠٤ أربع وتسعمائة ، وتوفى رحمه الله تعالى فى سنة ٩٩٨ ثمان وتسعين وتسعمائة ، ودفن بعوسجة الجديدة من حيز الزاوية ، وقبره مشهور يزار انتهى .

١١٠ـ الشيخ عمر بن عبد الرحمن القروى

وقال رحمه الله تعالى فى الرحلة الظافرية : هو الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة العابد الزاهد الفاضل الكارم العارف القطب الوارث المربى ذو الكرامات الظاهرة ، والخوارق الباهرة سيدى أبو حفص عمر بن عبد الرحمن الشهير بالقروى ولد ثانى عشر ربيع الثانى سنة ٩٠٦ ست وتسعمائة وتوفى أبوه قبل السابع ، وكفلته جدته حليمة القروية ، وبها لقب ولما كبر وضعته فى المدرسة فلما حفظ القرآن اشتغل بالعلم فأول ما قرأ النحو بمدينة تونس وارتحل إلى المشرق وقرأ الرسالة على شمس الدين اللقانى بحثا وتحقيقا ثم أخذ على شيخنا الناصر ، والشريف يوسف السيوطى ، والشهاب عبد الرحمن الأجهورى ، والجمال وحج ثم رجع إلى طرابلس واجتمع بسيدى عبد السلام الأسمر ، وأخذ عنه التلقين ودرس بداخل المحروسة وارتحل إلى الصابرية من حيز الزاوية الغربية ، وظهرت له كرامات وخوارق عادات ، توفى بها فى انسلاخ صفر سنة ٩٩٩ تسع وتسعين وتسعمائة ودفن هناك رحمه الله تعالى .

التعريف ببلد جانزور ومن ينتسب إليها من الأفاضل

جانزور بلدة غربى طرابلس تبعد عنهـا بنحو أحد عشر ميلا ، طيبة التربة وهواها فى غـاية الجودة متسعـة ، وبها جامع كبير ، ومسـاجد ، وسـوق ، ودكاكين ، ويجتمع فيهـا سـوق عمومى من الجهـات المجاورة مـرة فى الأسبـوع يجلب فيه كل مـا يحتاج إليـه ، وبها بساتين كثيرة مشجرة بالنخل ، والزيتون ، والتين ، والرمان ، ويسقون من الآبار ، ماؤها عذب فـرات ، وبطيخها الأخضر الكبير الحجم زنـة الواحـدة قنطارا حسن جـدا ، وقال الأستاذ التيجانى رحمه الله تعالى فى وصفها والتعريف بها قال : حللنا بمنزل جانزور فرأيت غابـة متسعة الأقطار ملتفـة الأشجار ميـاهها عذبـة وأكثر شجرهـا الزيتـون وأكثره ، من الغرس القديم على نحو زيتون الساحل وليس يعظم شجره فى موضع من المواضع ما يعظم فى هـذه القـريـة وبها مع ذلك نخل كثير ورطب متنـاهى الطيب وبها أيضـا من شجـرات التفاح والرمـان والعنب والتين كثير وهى كثيرة القصور وقد استولى الـرمل على أكثرها وهم الآن يتوقعـون استيلاءه على باقيهـا ويقال : إن طـولها الآن نحوًا من خمسين ميلا وعـرضها نصف ذلك ، وهى أشبه البقاع بجزيرة جربـة هيئة غراسة واتصال عمارة ولا فرق فى بعض المناظر بينهما إلا أن مسـاكن أهل جربة أخصاص من النخيل ، ومسـاكن هؤلاء دور مبنية وكانت فيما تقدم من أملاك أهل طرابلس فلما وقعت فتنة الميروقى بتلك الجهات ، وانقطع بسبب ذلك طرق أهل البلـد إليها ، وانتفـاعهم شىء من غللها زهدوا فيهـا فباعـوها من بعض البربر فهو أصـل تملك المجربين لها ، وبها جامع متسع للخطبة يـذكر أن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أسسه واحتجـز من هذا الجامع موضع فدفنت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولـده وضرب عليه ببـاب وبجوار هذا الجامع قصر قـريب متسع يعرفـونه بالقصر القـديم يقال : إنـه أول قصر بنى بجانـزور ولم يبق منه الآن إلا سـوره المحيط وهم يعظمون أمره ويقـولون إن بقايا ما بقى منـه يؤذن بخراب البلد وفنـاء أهلها ، وإلى جانب هذا المحيط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم ، وهى سوق نافعة ضخمة يجتمع البربر لها من الأقطـار المتباينـة فى كل جمعـة يبيعون هنـاك جميع مـا يجتلبونـه ، وأهل جـانزور قـوم من

البربرهواريون ثم مجريسيون وهـوارة يقال : إن أصلهم من البربر و إن أباهم هوار بن المثنى ابن المسـور بن يخصب ويقـال : ابن أبى المثنى وكذا رأيت بخـط أبى إسحاق الأجـدابى وسمى هوار الكلمة قالها فى حكاية طويلة اختصـارها أنه كان ساكنا فى الحجاز فضلت له إبل فتـوجـه فى طلبهـا إلى أن بلغ إلى مصر ودخل إلى بـلاد المغـرب طالبـا لها فمـر بجبـال طرابلس فقال لغلامه : أين نحن من الأرض فقال لـه الغلام : بأرض بإفريقية فقال : لقد تهورنا والتهـور الحمق فسمى هوار بـذلك وحالف بإفـريقية قوم من زنـاتة فتـزوج عندهم العرجاء أم صنهاج وزوج لمط الأكبر وقـد كان زوجها لمط توفى عنها وكانـت جميلة فتزوجها وكثر نسله منها واتسع (فهم الهواريون) (ومجريس) نجـد منهم سموا باسم أمهم وكانت لأبيهم زوج أخرى تسمى تاسا ينسب إليها (التاسـاويون) فبنو مجريس وبنو تاسا بنو أب واحد وكانت لمجريس قبل هذا قوة واشتـداد بقريتهم هذه وامتناعهم عن العرب ، لم يكن أحد من العرب ولا غيرهم يدخل غابتهـا ولا يتجاوز على شجرة واحدة منها إلا بإذن منهم وكان بها إذ ذاك أجناد مرتسمون فى ديوان العطاء كلهم من أهلها قد عدوا هنالك جندًا لمن يلى طـرابلس ورسم لهم عطاء يقبضـونـه من خراج طـرابلس فكـانوا يـذيقون العـرب شرا ويكفـون منهم فسادًا كثيرًا وأضرارًا ، ولم تـزل العـرب حاقـدة عليهم إلى أن ضعف الأمـر وتمكن مرغم بن صابر من الدولة وطلـب من الملك أخذ هذه القرية بظهير فأعطيها وذلك فى أول سنة ٦٧٦ ست وسبعين وستمائة فأخبرنى صـاحبنا الفقيه أبو العبـاس أحمد بن عبد السـلام الأموى التـاجورى قـال : لما وصل مرغم بن صـابر إلى طـرابلس أرانى الظهير ، وسألنى هل هو صحيـح ؟ فقلت له : إنه صحيح وهـو بالعلامـة الجارية قـال : فحينئذ أيقن بتملكها ، ولم يكـن يصدق بذلك ، ولا خطـر له قط أن يحوزهـا سالكـاً قاصرى أن يجوزها مالكا ، ثم أخذ فى إضعافهم ، والسعى فى إتلافهم إلى أن كاد يفنيهم وفى وقتنا هذا متفرقـون إلى جماعـــات كثيرة ، وأظهـر فرقهم فرقـة تعرف بالقيـادة وأمرهم راجع إلى رجل اسمه جابـر بن مالك وهو نافذا لـرياسة فيهم وتناظـر هذه الفرقة فرقـة أخرى تعرف ببنى سـلام ، وبنى حسين تجتمع مع الفريقين ولا تـزال الحرب قـائمة بينهما ، وينضـاف إليهما باقى الفرق كـالخطابيين ، وبنى مزيلة والإبـراهيميين ، وبنى رزق وبنى مدين وغيرهم فى

حالتى الحرب والسلام بالحلف والمعاقدة وجميعهم منقسمون بين المراغمة من الجوارى على رتبتهم ، لكل واحد منهم جماعة يجبيها ويحميها ، وربما تبايعوهم فيشترى أحدهم ونسائه وولده للجباية مما يتراضى مع صاحبه عليه ويجعل أداء فى كل عام بحسب شجرة وسعة أرضه ، وليس أهلها ملاكا فى الحقيقة لشىء منها ، وإنما هى أُجَراء للعرب ناصحون واسم الملكية لهم هو النصح فى الخدمة ، ومن أهل جانزور صاحبنا .

١١١ـ الفقيه أبو يحيى أبو بكر بن برنيق الهوارى المجريسى

انتقل من زانزور إلى طرابلس فاستوطنها ، وله مشاركة فى علوم منها ، أصول الدين على طريق القدماء قرأها على الفقيه أبى محمد ابن أبى الدنيا ، ومنها الفقه ، وغير ذلك لقيته بزانزور ثم لازمنى بطرابلس كثيرا ، وهو شيخ كبير السن حافظ ممتع الحديث ذو دين متين يذكر أنه كان فى صغره آية فى الجمال ، وحسن الصورة وافتضح فى محبته بعض الكبراء من أهل طرابلس فأدركه خبال فى عقله فكان ، مولعًا بتكرار اسمه لا يجيب من كلمة إلا بذلك وأخبرنى بعض أهل طرابلس أن هذا المفتضح المخبل العقل كتب يوما فى جدار من جدار طرابلس إيلام من يحب أنا بكر فقرأه بعض الظرفاء فكتب تحته إن كان أبا بكر الصديق فأنت مؤمن على التحقيق وإن كان أبو بكر برنيق فأنت فاسق زنديق وزرت بخارج الغابة من هذه القرية قبر الشيخ أبى محمد عبد الجليل الحليمى .

وهو على ساحل البحر ببيت مجاور مسجده الذى كان انفرد فيه بنفسه ، وتخلى عن أبناء جنسه ، وهذا المسجد من المحارس القديمة البنا المفرطة الحصينة وإنما أضيف إليه لسكناه به وبناية إلى جانبه وأهله من العرب الحليميين وأهل هذه الجهة يعظمونه كثيرا ، وأخبرنى جماعة منهم أنه مات وقد نيف عمره على المائة والعشرين سنة ، وكانت وفاته يوم الأحد الثالث لشهر ربيع الأول المبارك من عام ٦٨٥ خمسة وثمانين وستمائة رأيت هذا

مكتوبا على قبره وعلى مسـافة يسيرة من مسجده . هذا من جهة غربيـة على السـاحل أيضا مسجد يعرف بسيقاطة بكسر السين المهملة وبالقاف ابتناه .

١١٢ـ الفقيه الصالح أبو الحسن السيقاطى رحمه الله تعالى

وبه كان يتعبد وهنـاك قبره زرته ، ودعوت الله عنده ، وكانت وفـاته قديما سنة ٤٢٠ عشرين وأربعمائة وخرج جميع أهل طرابلس ، ومن حف بها من النـواحى ، والبلاد فصلوا عليه ، وكـان له يـوم مشهود ، وعلى هـذا الساحل بطـوله مسـاجد كثيرة ، وهى مسـاكن الصالحين قديما وحـديثا شهيرة والناس يزورونها ويتبركـون بها وإنها لمن أحسن المساكن لمن يريـد الانفراد لعبـادة ربه ، والسـاكن بها يجمع بين الاحتراس ومجانبة النـاس وأكثرهـا من مبانى ابن الأغلب مبتنى المحارس من الإسكندرية إلى مجار سبتة .

***

تراجم سقطت من الناسخ

★ زهرون بن حشنون الجمال

قال فى رياض النفوس : زهرون بن حشنون الجمال الطرابلسى ، كان شيخاً صالحاً متعبدًا ناسكاً مجتهداً ظهرت له براهين ، وكرامات ، وحج حججا على طريق الوحدة ، ولا يحمل معه زادا ، وكان يأكل من المناهل من أتاه بشىء أكله فقال لنفسه يوما : يازهرون صار يذكر عنك أنك لا تحمل الزاد فصار لك هذا عادة وليس هذا من حقيقة التوكل إن كان حقا ما تقول ، فهذه طريق خالية ليس فيها الماء خذها وأنت تعلم أن ما كان لك من رزق سوف يأتيك أينما كنت قال : فمضى عليها حتى أتى إلى ماء فنزل عليه وشرب وتوضأ وصلى وقال فى نفسه : هذا الماء للوضوء والشراب فالله عز وجل معك فى كل مكان ، وهو الرازق فاصبرى ها هنا واقعدى فى هذه الخلوة قال : فبينما هو كذلك جالسا إذ رأى شيخًا فى الصحراء مقبلا إليه يسلم واستقى الماء وسقى دابته هذا رجل قد تاه وانقطع وأضعفه الجوع ، قال ففتح سفرة فيها طعام فقال له : تعال نأكل فلم يكلمه فقال : الرجل بلغ منه الجوع وأضعفه فقام إليه بالسفرة ووضعها بين يديه ، وقال له كل فلم يكلمه ولا أكل فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد بلغ منه الجوع ، فأخذ اللقمة فأتى بها إلى فمه فوجد أسنانه مسدودة قال فأخذ يعالج أسنانه حتى يفتحها قال : فقال زهرون : بمن قصده سمع من أبى عبد الله الحميرى وابن المنذر ، وابن رمضان ، وابن شعبان وابن الأعرابى ، وابن الجارود ، وصحب جماعة من النساك روى عنه أبو الحسن القابسى وأبو القاسم بن نمر وأبو على الحسن بن المثنى قاضى طرابلس وعبدوس بن محمد الأندلسى الطليطلى ، وغير واحد وبه انتفع أهل طرابلس ، وكانوا يعظمونه فعلّم الناس الفقه ، والحديث ، والورع ، وأقام خمسين سنة لم يحلف بالله وتوفى سنة سبعين وثلاثمائة .

★★ أبو الحسن على بن عمر المنمر الفرضى

قال فى الرحلة الناصرية : ومن علماء طرابلس ، الشيخ أبو الحسن على عمر بن المنمر

الفرضى المشتهر فضلـه ، وعلمه ، وله تآليف منها الكـافى فى الفرائض ، وقد لقى الشيخ أبا زيد وقرأ عليه ولقى بمكة الشيخ أحمد بن زريق البغدادى وروى عن أبى القاسم ، وعاد إلى طرابلس فلم يزل بها إلى سنة ثلاثين وأربعمائة فخرج منهـا لمحنة جرت عليه لغنيمة قرية من قرى مسـلاتة ،.فسكن بها حتى توفى سنة ثنتين وثـلاثين وأربعمائة ، وقبره على الطريق معروف والناس إلى الآن يزورونه و يتبركون به .

★★★ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطّاب

قال فى كتاب كفايـة المحتاج : محمد بن عبد الرحمن بن حسين أبو عبـد الله الرعينى شُهِرَ بـالحطاب أندلسى الأصل ثم طرابلسيـه ، وبها ولد ، تفقه على محمد الفـاسى وأخيه فى المختصر ثم قدم مع أبويه وأخويه إلى مكة سنة سبع وسبعين وثمانمائة وحضرعند السراج معمر فى الفقه ، وجلس للإقراء فى الفقه والعربية ولد وقت صلاة الجمعة فى العشر الأخير من صفر سنة ٨٦١ إحدى وستين وثمانمائة انتهى . من السخاوى .

قلت : وأخذ أيضـا عن السنهورى وعبد المعطى بـن خطيب والعلمى ومحمد بن أحمد السخـاوى قـاضى المدينـة والإمـام زروق والحافظ أبى الخير السخـاوى والشمس المرغنى وغيرهم ، ذكر ذلك ولـده العلامة محمد الحطـاب وأخذ عنه ولداه وغيرهما وكـان حَيًّا سنة ٩٤٤ أربع وأربعين وتسعمائة انتهى

وأثنى عليه العلامة محمد الخروبى .

قال ياقوت الحموى فى معجم البـــلدان : وينسب إلى طرابلس الغرب عمـــر بن عبـد العزيـز بن عبيـد بن يوسف الطـرابلسى المالكى لقيـه السلفى ، وأثنى عليه ، وهــو القائل فى كتب الغزالى

هذب المذهـب حبر أحسن أنه خـلاصة ببسيط ووسيـط ووجيـز وخُـــلاصـــه

وسافر إلى بغداد ومات بها سنة ٥١٠ .

وأبو الحسن علي بن عمران بن مخلوف الطرابلسى كان له اهتمام بالتواريخ وصنف تاريخًا لطرابلس ، وكان فاضلاً فى فنون شتى أخذ عنه السلفى ، وسافر إلى الحج وأدركته المنية بمكة ومات بها سنة ٥٣٣ .

ومن شعراء سرت أبو بكر بن عتيق بن القاسم السرتى

محمد بن الحسن بن أبى الأسبى الطرابلسى كان قاضيًا بها ، وكان موجودًا سنة ٣٦٩

فصـــل

قال فى ملخص من ترتيب مختصر مدارك القاضى الشهير أبى الفضل عياض رضى الله عنه .

على أبو الحسن بن أحمد بن زكريا بن الخطيب ويعرف بابن زكرون الطرابلسى كان رجلاً صالحًا متعبدًا ناسكًا ذا فضل وعبادة وعقل رصين ، وشارة جميلة منور الوجه له فى الفقه والفرائض ، والشروط ، والرقائق مصنفات كثيرة ، وله فى الرجال ، والحديث تآليف وكان كريم الأخلاق بارًّا بمن قصده يسمع من أبى عبد الله الحميرى وابن المنذر وابن رمضان وابن شعبان وابن الأعرابى وابن الجارود ، وصحب جماعة من النساك روى عنه أبو الحسن القابسى وأبو القاسم بن نمر وأبو على الحسن بن المثنى قاضى طرابلس وعبدوس ابن محمد الأندلسى الطليطلى ، وغير واحد وبه انتفع أهل طرابلس ، وكانوا يعظمونه فعلم الناس الفقه والحديث والورع وأقام خمسين سنة لم يحلف بالله ، وتوفى سنة ٣٧٠ سبعين وثلاثمائة .

***

قائمة بالمصادر
والمراجع العربية والأجنبية

(أ) المصادر

١ ـ **ابن الآبار :** (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

(أ) الحلة السيراء . جزءان ، تحقيق حسين مؤنس سنة ١٩٦٣ م القاهرة .

(ب) التكملة لكتاب الصلة . جزءان نشر كوديرا طبعة مدريد سنة ١٨٨١ ،وطبعة القاهرة ١٩٥٩ م ضمن المكتبة الأندلسية .

(جـ) المعجم فى أصحاب القاضى الإمام أبى على الصدفى القاهرة ١٩٦٧ م دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

٢ ـ **ابن الأثير :** (ت ٦٣٠ هـ / ١١٥٤ م) :

ـ كتاب الكامل فى التاريخ ، طبعة القاهرة فى سنة ١٣٠٣ هـ .

٣ ـ **الإدريسى :** (٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م) .

ـ وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس .

ـ « مستخرج من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » .

ـ طبعة ليدن سنة ١٨٦٦ م بعناية دوزى ودى غوى .

٤ ـ **ابن أبى أصيبعة :** (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) .

ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ـ ط بيروت ١٩٦٥ م .

٥ـ **الأندلسى** : أبو عبد الله محمد بن محمد .

ـ الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ، الطبعة الأولى تونس ١٢٨٧ م .

٦ـ **الباجى** : الشيخ أبو عبد الله محمد المسعودى

ـ الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية ، تونس ١٣٢٣ هـ .

٧ـ **ابن بشكوال** : (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) .

ـ كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم تحقيق عزت عطار الحسينى ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

٨ ـ **البيذق** : أبو بكر الصنهاجي (كان حيًّا فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) .

ـ كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، وابتداء دولة الموحدين ، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال سنة ١٩٢٨ م . نشره عبد الوهاب بن منصور بعد ذلك بالرباط سنة ١٩٧١ م .

٩ـ **ابن جبير** : (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :

ـ رحلة ابن جبير ، بيروت سنة ١٩٤٩ م .

١٠ـ **الجزنائى** :

ـ كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس . نشر الفريد بيل الجزائر سنة ١٩٢٣ م

١١ـ **الحميري** : (ت أواخر القرن ٩ هـ / ١٥ م) :

ـ كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار . نشر ليفي بروفنسال طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

١٢ـ **ابن الخطيب** : (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) :

(أ) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، القسم الثانى ، تحقيق ونشر ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ م .

(ب) أعمال الأعلام فيمن بـويع قبل الاحتلام من ملوك الإســلام ، القسم الثالث ، تحقيق ونشر أحمد مختار العبادي ومحمد إبـراهيم الكتاني بعنوان « تاريخ المغرب فى العصر الوسيط » الدار البيضاء ١٩٦٤ م .

(ج) الإحاطة فى أخبـار غرناطة . تحقيـق محمد عبد الله عنـان القاهرة ١٩٥٦ م ، وطبعة ١٩٦٤ م .

١٣ ـ ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٧أجزاء طبعة جديدة عن طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .

١٤ ـ ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .

ـ وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان . طبعـة القـاهـرة سنـة ١٢٩٩ هـ وطبعة ١٩٥٠ م .

١٥ ـ ابن أبى دينار : (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م) .

ـ المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس ، طبعة ١٢٨٦ هـ .

١٦ ـ ابن الزبير :

ـ كتاب صلة الصلة ، نشر ليفي بروفنسال الرباط سنة ١٩٣٨ م .

١٧ ـ ابن أبى زرع : (ت نحو منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م) .

ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر كارل يوحن نورتبرغ ، أوبسالة ١٨٤٣ م .

١٨ ـ الزركشى :

ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية . تونس سنة ١٢٨٩ هـ .

١٩ ـ **ابن زيدان** : عبد الرحمن بن محمد .

إتحـــاف أعــلام الناس بجمـــال أخبــار حاضرة مكناس ، ٥ أجزاء طبعــة الرباط سنة ١٩٤٩ م .

٢٠ ـ **زينى دحلان** : أحمد بن السيد زينى دحلان .

ـ الفتوحات الإسلامية ، جزءان ، المطبعة الحسينية بمصر .

٢١ ـ **ابن سعيد** : (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٧ م) .

(أ) المغــرب فى حلى المغــرب ، تحقيق ونشر شــوقى ضيف ، طبعــة القاهــرة سنــة ١٩٥٣ م ، وطبعة ١٩٦٤ م .

(ب) الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة . تحقيق إبراهيم الإبيارى ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٥ م .

٢٢ ـ **ابن صاحب الصلاة** : (كان حيا سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) :

ـ كتاب المن بــالإمامــة على المستضعفين بأن جعلهم اللــه أئمة وجعلهم الــوارثين ، تحقيق عبد الهادى التازى . بيروت سنة ١٩٦٤ م .

٢٣ ـ **ابن صاعد** : (ت ٤٦٢ هـ) .

ـ كتاب طبقات الأمم . مطبعة السعادة بمصر .

٢٤ ـ **الصفاقسي** : محمود بن سعيد بن مقديش .

ـ نزهة دائرة الأنظار فى علم التواريخ والأخبار ، الجزء الأول تونس سنة ١٣٢١ هـ

٢٥ ـ **الضبى** : (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م) .

ـ بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس وعلمائها وأمــرائها وشعرائها وذوى النباهة فيها ومن دخل إليها أو نزح عنها ، ضمن المكتبة الأندلسية .

٢٦ ـ **ابن عذارى** : (كان حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) .

(أ) البيان المغْرِب فى أخبار الأندلس والمغرب . الجزء الرابع تحقيق إحسان عباس ، بيروت سنة ١٩٦٧ م .

(ب) البيان المغْرِب فى أخبار الأندلس والمغرب . القسم الثالث ، تحقيق أمبروثو هويثى ميرندا ومحمد بن تاويت وإبراهيم محمد الكتانى طبعة تطوان سنة ١٩٦٠ م .

٢٧ ـ **ابن غازى** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن على (ت ٩١٩ هـ) .

ـ الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون ، طبع الحجر مغربى .

٢٨ ـ **الغبرينى** : الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٥ م) .

ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، نشر محمد ابن أبى شنب الجزائر ١٣٢٨ هـ .

٢٩ ـ **ابن القاضى** : أحمد بن محمد بن محمد :

ـ جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس ، طبع الحجر فاس سنة ١٣٠٩ هـ .

٣٠ ـ **ابن القطان** : (كان حيا فى منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) .

ـ نظم الجمان من أخبار الزمان ، نشر محمود على مكي ، تطوان ١٩٦٤ م .

٣١ ـ **القفطى** : (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) .

ـ أخبار العلماء بأخبار الحكماء طبعة ١٣٦١ هـ بمصر .

٣٢ـ القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .

ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، الجزء الخامس ، طبعة دار الكتب الخديوية ، المطبعة الأميرية ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م .

٣٣ ـ المراكشى : (كان حيا فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) .

ـ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، نشر محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

٣٤ـ المقرى : (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) .

(أ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، عشرة أجزاء تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٠٢ هـ . عشرون جزءا ، مطبوعات دار المأمون ١٩٣٦ م .

(ب) أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض . ثلاثة أجزاء نشر مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٣٥ـ ابن المؤقت : محمد بن محمد بن عبد الله :

ـ السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، جزءان طبع الحجر مراكش سنة ١٣٣٥ هـ .

٣٦ـ مؤلف مجهول :

ـ الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، طبع الرباط ١٩٣٦ م .

٣٧ـ مؤلف مجهول :

ـ الذخيرة السنية فى تاريخ الدول المرينية ، طبع الجزائر سنة ١٩٢٠ م .

٣٨ ـ **مؤلف مجهول** : (كان حيا فى النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)

ـ كتاب الطبيخ ، نشر وتحقيق أمبروثو هويثى ميراندا . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، المجلدان التاسع والعاشر سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ م .

٣٩ ـ **الناصرى** : أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٢ م) :

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . الجزء الثانى والثالث تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى . الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م .

٤٠ ـ **النباهي** : أبو الحسن المالقى (ت أواخر القرن الثامن الهجرى) (الرابع عشر الميلادى) .

ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . نشر ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٤٨ م .

٤١ ـ **الونشريشي** : أبو العباس أحمد بن يحيى ن محمد التلمسانى: (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) .

ـ أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر ، نشر وتحقيق حسين مؤنس ، مجلة مدريد للدراسات الإسلامية المجلد الخامس ١٩٥٧ م .

***

٣٨ ـ **مؤلف مجهول** : (كان حيا فى النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)

ـ كتاب الطبيخ ، نشر وتحقيق أمبروثو هويثى ميراندا . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، المجلدان التاسع والعاشر سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ م .

٣٩ ـ **الناصرى** : أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٢ م) :

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . الجزء الثانى والثالث تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى . الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م .

٤٠ ـ **النباهي** : أبو الحسن المالقى (ت أواخر القرن الثامن الهجرى) (الرابع عشر الميلادى) .

ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . نشر ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٤٨ م .

٤١ ـ **الونشريشي** : أبو العباس أحمد بن يحيى ن محمد التلمسانى: (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) .

ـ أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر ، نشر وتحقيق حسين مؤنس ، مجلة مدريد للدراسات الإسلامية المجلد الخامس ١٩٥٧ م .

***

(ب) المراجع العربية

١ ـ أحمد بن عامر :

ـ الدولة الصنهاجية . للدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٢ م .

٢ ـ أحمد لطفى عبد البديع :

ـ الإسلام فى إسبانيا . المكتبة التاريخية الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ م بالقاهرة .

٣ ـ أحمد مختار العبادى :

ـ دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م .

٤ ـ أرشيبالد لويس :

ـ القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط . ترجمة / أحمد محمد عيسى .

٥ ـ أرنست رينان :

ابن رشد والرشدية . باريس ١٨٨١ م . ترجمة / عادل زعيتر .

٦ ـ أنخل جنثالث بالنثيا .

ـ تاريخ الفكر الأندلسى . ترجمة / حسين مؤنس . القاهرة ١٩٥٥ م .

٧ ـ ج . ترند واخرون :

ـ تراث الإسلام جزءان . ترجمة / زكى حسين وآخرين . لجنة الجامعيين لنشر العلم بالقاهرة سنة ١٩٣٦ م .

٨ ـ حسن أحمد محمود :

ـ قيام دولة المرابطين . صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى . مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧ م .

٩ـ الحسن السائح :

ـ الحضارة المغربية عبر التاريخ . الدار البيضاء . الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥ م .

١٠ـ حسن على حسن عبد الجواد :

ـ الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة . رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم بإشراف د / أحمد شلبى سنة ١٩٧٣ م .

١١ـ حنا الفاخورى وخليل الجر :

ـ تاريخ الفلسفة العربية . جزءان . دار المعارف بيروت .

١٢ـ خواد بخشى :

ـ الحضارة الإسلامية . ترجمة / على حسنى الخربوطلى . القاهرة ١٩٦٠ م .

١٣ـ ديلاسى أوليرى :

ـ الفكر العربى ومكانه فى التاريخ . ترجمة / تمام حسان ومراجعة مصطفى حلمى . وزارة الثقافة والإرشاد القومى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

١٤ـ سلفادور غومث نوغالس :

ـ الفلسفة الإسلامية وتأثيرها الحاسم فى فكر الغرب أثناء العصور الوسطى .
ترجمة / عثمان الكعاك . الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٧م .

١٥ـ شارل أندريه جوليان :

(أ) تاريخ إفريقيا الشمالية . ثلاثة أجزاء ترجمة / محمد فرالى والبشير بن سلامة عن الطبعة الثانية ١٩٥٨ م التى نقّحها وزاد عليها روجيه لوتورنو . الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٨ م ١٣٩٨ هـ .

(ب) تاريخ إفريقيا . ترجمة / طلعت أباظة ومراجعة عبد المنعم ماجد . دار النهضة بمصر سنة ١٩٦٨ م .

١٦ـ شاخت وبوزورث :

ـ تراث الإسلام . ثلاثة أقسام . ترجمة ونشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ضمن سلسلة عالم المعرفة سنة ٩٨ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .

١٧ـ الشخات السيد زغلول :

ـ السريان والحضارة الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . فرع الإسكندرية سنة ١٩٧٥ م .

١٨ـ طارو وجان جيروم :

ـ أزهار البساتين فى أخبار المغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين . ترجمة وتعليق أحمد بلا فريج ومحمد الفاسى طبعة الرباط سنة ١٣٤٩ هـ .

١٩ـ عبد الله العراوى :

ـ تاريخ المغرب . محاولة فى التركيب . ترجمة / ذوقان قرقوط سنة ١٩٧٧ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

٢٠ـ عبد الله على علام :

ـ الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على . دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م .

٢١ـ عبد الله كنون :

ـ النبوغ المغربى فى الأدب العربى . الطبعة الثالثة . دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٥٧ م بيروت (٣ أجزاء) .

٢٣ـ عبد الرحمن على الحجى :
الحضارة الإسلامية فى الأندلس . بيروت ١٩٦٩ م / ١٣٨٩ هـ .
٢٤ـ عثمان أمين :
ـ إحصاء العلوم للفارابى . الطبعة الثانية . دار الفكر العربى سنة ١٩٤٩ م .
٢٥ـ ليبولد توريس بالباس :
ـ الفن المرابطى والموحدى . ترجمة / سيدي غازى . منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧٦ م .
٢٦ـ ليفى بروفنسال :
(أ) الإسلام فى المغرب والأندلس . ترجمة / سيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى . مراجعة أحمد لطفى عبد البديع . نشر مكتبة النهضة بمصر .
(ب) نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى . باريس ١٩٤٨ م .
٢٧ـ مانويل جوميث مورينو :
ـ الفن الإسلامى فى إسبانيا . ترجمة / أحمد لطفى عبد البديع وسيد محمود عبد العزيز سالم . مراجعة جمال محمد محرز . الدار العربية للترجمة والنشر .
٢٨ـ محمد بيصار :
ـ فى فلسفة ابن رشد . الوجود والخلود . دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .
٢٩ـ محمد عبد الله عنان :
(أ) دولة الإسلام فى الأندلس . القسم الأول والثانى من العصر الثالث . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٤ م .

(ب) الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال . القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م مؤسسة الخانجى .

٣٠ـ محمد المرزوقى :

ـ قابس تونس ١٩٦٢ . الناشر مكتبة الخانجى بمصر ، والمثنى ببغداد .

٣١ـ محمد ولد أدادة :

ـ مفهوم الملك فى المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع الهجرى . دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٧٧ م .

٣٢ـ محمود على مكى :

ـ مدريد العربية . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .

٣٣ـ محمود قاسم :

ـ دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م .

٣٤ـ مراجع عقيلة الغناي :

(أ) قيام دولة الموحدين . الطبعة الأولى ١٩٧١ ، المكتبة الوطنية ببنغازى . ليبيا .

(ب) سقوط دولة الموحدين ، منشورات جامعة بنغازى ليبيا ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ م .

٣٥ـ نجاة باشا :

ـ التجارة فى المغرب الإسلامى من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة ، منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٦ م .

٣٦ـ يوسف أشباخ :

ـ تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ترجمة / محمد عبد الله عنان . مجلدان القاهرة ١٩٤١ ، مجلد واحد القاهرة ١٩٥٨ م .

(ج) المراجع الأجنبية

1 - **Altamira. R** : A history of Spain from the beginnings to the present day. Translated by Muna Lee. Copyright 1949. by D. Van Nostrand Company Canand. Ltd.

2 - **Artz. F. B** : The mind of the middle ages, Newyork 1953 .

3 - **Darbour. N** : A Survey of north west Africa (The Maghrib) Oxford University press, London 1959 .

Barbour. N : Morocco, Thames and Hudson Lt. London 1965 .

4 - **Barker. E and Clark. G** : The European inheritance. 3 Volumes Oxford 1954 .

5 - **Bell. F.** : Les Benou Ghanga. Paris 1903 .

6 - **Bernard. L. and Hodges. T. B** : Readings in european history Newyork 1958 .

7 - **Cambridge Medieval History** : 8 Volumes, Cambridge 1936 .

8 - **Cantor. F. N** : The medieval world, 300 - 1300, Columbia University, Third printing 1964 .

Cantor. F. N : Medieval history, the life and death of a civilization, Columbia University, first Printing 1963. The Macmillan company, Newyork .

9 - **Chapman. C.E** : A history of Spain, Newyork 1931 .

10 - **Encyclopeadia Judaica,** Massadah publishing company Ltd. Jerusalem, Tel - Aviv, 1958 - 1959 .

11 - **Haskins. H. Ch** : Studies in medieval culture, Newyork 1929 .

12 - **Hayes. F. C. and Baldwin. W. M** : A history of Europe. The Macmillan company, Newyork, fifth printing 1959 .

13 - **Hirschberg. J. W** : A history of the Jews in north Africa. V. I second revised edition. Transiated from the hebrew. Leiden 1974 .

1 4 - **Hulme. M. E** : The middle ages. Newyork, Henry Haltanel comany 1936 .

15 - **Ibars. A. P** : Valencie arabe, Valencia 1901 .

16 - **Lafuente. M** : Historia general de Espana. T. III Y IV. Barcelona 1977 .

17 - **Lea. Ch. H** : A history of the inquistion in spain. V. I, II . London . Macmillan company 1906 .

18 - **Meakin. B** : The moorish empire, London, Newyork 1899.

19 - **O'callaghan. F. J** : A history of medieval Spain, copyright 1975, Cornell University, Ithaca, Newyork.

20 - **Painter. S** : A history of the middle ages. 284 - 1500, Newyork 1954 .

21 - **Prestage. E** : Chivalry, members of king's college, London 1928 .

22 - **Remiro G. M** : Historia de murcia musulmana, Zaragoze 1903 .

23 - **Russel. B** : History of western philosoph. London, second impression 1947

24 - **Scott. S. P** : A history of the moorish empire in Europe V. II, III philadelphia, London 1904 .

25 - **Sephenson. G** : Medieval history (Europe from the second to the sixteenth century) Harper and brotheres publishers, Newyork and London .

26 - **Thompson. W. J** : The middl ages, 300 - 1500, V. II, III printed in the United States of America, by the plimpon press .

(د) الدوريات

١ ـ إحسان عباس :

ـ نوازل ابن رشد . مجلة الأبحاث عن الجامعة الأمريكية ببيروت . المجلد ٢٢ ، الأجزاء ٣ ، ٤ سنة ١٩٦٩ م .

٢ ـ أحمد الأهوانى :

ـ الفلسفة فى الأندلس . مجلة كلية الآداب ، مجلد ١٥ ، الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٣ م .

٣ ـ أحمد لطفى عبد البديع :

ـ التروبادور غرسية فرنانديث ، مجلة مدريد للدراسات الإسلامية المجلد الثانى سنة ١٩٥٤ م .

٤ ـ أحمد المكناسى :

ـ دراسة تمهيدية عن الخزف الإسلامى القديم فى المغرب مجلة تطوان ، العدد الثانى سنة ١٩٥٧ م .

٥ ـ أرنولد شتيجر :

ـ التأثيرات والمصادر العربية فى مؤلفات ألفونسو الحكيم العاشر . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، المجلد الثالث سنة ١٩٥٥ م .

٦ ـ أمبروثو هويثى ميراندا :

(أ) موقعة الأرك . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الثانى سنة ١٩٥٤ م .

(ب) المطبخ الأندلسى المغربى خلال العصر الموحدى . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الخامس سنة ١٩٥٧ م .

٧ ـ جون بكويث :

ـ أثر الفن الإسلامى فى الفن الغربى الحديث . مجلة الأبحاث تصدر عن الجامعة الأمريكية ببيروت العدد ١٠١٣ آذار سنة ١٩٦٠ م .

٨ ـ حسين مؤنس :

(أ) الثغر الأعلى الأندلسى . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد الحادى عشر ، ج ٢ ديسمبر ١٩٤٩ م .

(ب) عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبد الله المعروف بالخليفة الناصر الموحدى . . مجلة كلية الآداب . . بجامعة القاهرة ، المجلد الثالث عشر الجزء الثانى ديسمبر سنة ١٩٥٠ م .

(ج) نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، المجلد الثالث سنة ١٩٥٥ م .

٩ ـ خنثو بوسك بيلا :

ـ الوثائق العربية المحفوظة فى كاتدرائية وشقة . . مجلة مدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الخامس سنة ١٩٥٧ م .

١٠ ـ خوسيه كامون أثنار :

ـ الأساليب الفنية المستمرة فى الفن الإسلامى . . . مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الثالث ١٩٥٥ .

١١ ـ خنثو مياس بياكروزوا :

(أ) المؤلفات الأولى عن الاسطرلاب فى إسبانيا العربية . مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الثالث سنة ١٩٥٥ م .

(ب) كتاب الـرد على اليهود لـرامون لل . مجلـة المعهد المصرى بمـدريد للـدراسات الإسلامية المجلد الخامس ١٩٥٧ م .

(ج) نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس . . نفس الدورية والعدد .

١٢ ـ خوليان ريبيرا :

ـ المكتبـات وهواة الكتب فى إسبـانيـا الإسـلاميـة . . . ترجمة جمال محرز مجلـة معهـد المخطوطات العربية ، المجلدان الرابع والخامس سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ م .

١٣ ـ رامون مننديث بيدال :

(أ) إسبانيـا حلقة اتصال بين المسيحيـة والإسـلام . . ترجمة أحمد لطفى عبـد البديع مجلة المعهـد المصـرى بمدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الأول ١٩٥٣ م .

(ب) إسبانيـا وإدخال العلوم العربيـة إلى الغرب . . . مجلة المعهد المصرى بمـدريد للدراسات الإسلامية . المجلد الثالث ١٩٥٥ م .

١٤ ـ سعد زغلول عبد الحميد :

ـ العلاقة بين صلاح الدين وأبى يـوسف يعقوب المنصور الموحدى . مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية . المجلدان السادس والسابع سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ م .

١٥ ـ الصديق بن العربى

ـ طـوائف وشخصيات مسيحيـة بالمغـرب . . مجلة تطـوان المغربيـة العدد الأول سنـة ١٩٥٦ م .

١٦ ـ عبد العزيز بن عبد الله :

(أ) العـربية لغـة الـــعلم والحضارة . مجلـة المعهـد المصرى بمدريـد للدراســـات الإسلامية ، العدد الخامس سنة ١٩٥٧ م .

(ب) البحرية المغربيـة والقرصنة . مجلة تطوان المغربية العـددان الثالث والرابع سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ م .

(ج) تطور الفن فى عهد الموحدين . مجلة البينة ، السنة الأولى ، العدد التاسع شعبان ١٣٨٣ هـ/ يناير ١٩٦٣ م .

١٧ ـ ليبولد توريس بالباس :

ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية . ترجمة علية إبراهيم العنانى . مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية ، العدد الأول سنة ١٩٥٣ م .

١٨ ـ الأب مانويل ألونسو ألونسو :

ـ ابن سينا وآثاره الأولى فى العالم اللاتينى . ترجمة تاج الدين أبو زيد . . مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية . . العدد الأول سنة ١٩٥٣ م .

١٩ ـ محمد المنونى :

ـ تاريخ المصحف الشريف بالمغرب ، مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الخامس عشر ، ربيع الأول سنة ١٣٨٩هـ/ مايو سنة ١٩٦٩ م .

٢٠ ـ نيفل باربر :

(أ) سفارة جون ملك انجلترا إلى محمد الخامس ملك المغرب . ترجمة محمد ابن تاويت . مجلة تطوان المغربية العدد الخامس سنة ١٩٦٠ م .

(ب) أخبار الأندلس فى المدونات الإنجليزية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية . المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م .

فهرست الموضوعات

الموضوع	صفحة

رقم الإيداع ٢٦٠٨ لسنة ١٩٩٤
الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 — 5496 — 04 — 7

مطابع
ت ٩٣٢٢٧٠٦



هـذا الكـتاب

ليبيا مصطلح حديث يطلق على واحدة من أهم دول العالم العربى فى العصر الحديث وهى تتألف من ثلاثة أقاليم هى : برقة وفزان وطرابلس ، وكلها انفصلت عنها خلال عصور الفوضى السياسية التى أصابت ليبيا - والمغرب الإسلامى كله ابتداء من العصر الفاطمى ، ثم عادت إلى الانضمام إليها بفضل رجال السنوسية الذين جددوا شباب القطر الليبى كله ومهدوا الطريق لتوحيده على النحو الذى نراه عليه اليوم .

والكتاب الذى بين أيدينا « نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان » يلقى الضوء على علماء وفقهاء ليبيا منذ القرن الثانى الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى بطريقة مفصلة ومتعددة فإذا نظرنا إلى فقيه أو عالم ندرك مدى قوة وضعف العصر ، إلى جانب هذا الكتاب يشتمل على آلاف المصنفات والمؤلفات ما بين مخطوط ومنشور معظمها تتناول مسائل فقهية مالكية وأحياناً خارجية وشافعية . فلهذا حرصت على تقديم هذا الكتاب الذى يعد موسوعة تاريخية جغرافية فقهية تبرز مدى قيمة ليبيا على مر العصور .

والله المستعان ،،،

الناشر

دار الفرجانى

القاهرة : ٩ ميدان الذهبى ــ منشية البكرى

مصر الجديدة

ص.ب : ٢٣٨٢ الحرية تليفون : ٢٩٠٥٨٩٥